الجامع الصحيح
في القدر

تأليف
أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت: ٨٦٤٢٤٠

منی

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى خلق كل شيء فقدره تقديرا ، القائل فى كتابه الكريم فى معرض الامتنان على عباده : ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه فى قرار مكين * إلى قدر معلوم * فقدرنا فنعم القادرون ﴾ ، والقائل سبحانه وتعالى : ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ . والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل : « كتبت نبيا وآدم بين الروح والجسد » وعلى آله وأصحابه المؤمنين بالقدر خيره وشره حلوه ومره . أما بعد :

فإنه مما قدر الله على بعض البلاد اليمنية أن تعيش زيادة على ألف سنة فى ظلمات التشيع المبتدع وأباطيل الرفض الممقوت ، حتى اختلطت البدعة بدمائهم ولحومهم ، وأشربت بها قلوبهم . انتشرت تلكم البدعة التى غيرت بها معالم الدين تحت ستار محبة أهل بيت النبوة رحمهم الله ، ولما كانت الدولة ، دولة الشيعة أصبحت اليمن مستورد ومستودع خزعبلات الرفض والتشيع ومن عرف عن السنة شيئا وأراد أن ينكر تلكم البدع والمحدثات عوقب بأشد العقوبات ، فذلكم محمد بن إبراهيم الوزير الذى قال فيه الشوكانى : لو قلت إن اليمن لم تنجب مثله لما أبعدت عن الصواب ذلكم صاحب المؤلفات التى انتفع بها المسلمون ، ضيق عليه حتى أصبح يفر بدينه من شعب إلى رأس جبل .

قال رحمه الله يصف حالته :

فحينا بطود تمطر السحب دونه ... أشم منيف بالغمام مؤزر

وحينا بشعب بطن واد كأنه ... حشا قلم تمسى به الطير تصفر

إذا التفت السارى به نحو قلة توهمها من طولها تتأخر
أجاور فى أرجائه البوم والقطا فجيرتها للمرء أولى وأجدر
هنالك يصفو لى من العيش ورده وإلا فورد العيش رمق مكدر
فإن يبست ثم المراعى وأجدبت فروض العلا والعلم والدين أخضر
ولا عار أن ينجو كريم بنفسه ولكن عارا عجزه حين ينصر
فقد هاجر المختار قبلى وصحبه وفر إلى أرض النجاشى جعفر

وهكذا صالح بن مهدى المقبلى على أنه ما تخلص من التشيع والاعتزال كما يعلم من كتابه « العلم الشامخ فى ذم تقليد الآباء والمشايخ » ولكنه انتقد مذهب الشيعة فضيقوا عليه حتى هاجر إلى مكة واستقر بها إلى أن توفى رحمه الله ، وبعده محمد بن إسماعيل الأمير الذى أراد العنسى من شيعة برط طرده من اليمن بل توعده جاهل حاقد من بيت القاسم وقال : أنت خطبت وما ذكرت جدنا القاسم فى الخطبة لئن صعدت المنبر مرة أخرى لأقتلنك ، ومن وقف على ديوانه رأى ما يذهله من عتو التشيع على علماء السنة .

وهكذا حسين بن مهدى النعمى ، صاحب معارج الألباب وهو فى عصر محمد بن إسماعيل الأمير فقد أوذى بسبب دعوته إلى السنة وانتقاده للمذهب الشيعى المبتدع .

أما الشوكانى فإنك إذا قرأت فى كتاب أدب الطلب ترى ما يدهشك من تنكر الشيعة لسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولأهل السنة ويعجبنى البيت الذى ذكره محمد بن إسماعيل فى ديوانه متمثلا به ومبينا سطوة التشيع على أهل السنة .

حكوا باطلا وانتضوا صارما فقالوا صدقنا فقلنا نعم

ولم يزل اضطهادهم لأهل السنة إلى عصرنا هذا ، ثم شاء الله أن يظهر بيننا من بدعة التشيع المبتدع ، ووفق بعض طلبة العلم لدراسة كتب السنة

والعكوف عليها ، ووفقهم ولله الحمد والمنة للدعوة إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ فانقشعت ظلمات التشيع وأصبح التشيع ينحسر شيئا فشيئا وصدق الله إذ يقول : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ ، ويقول : ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴾ ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء * تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ .

وعند أن عيى القوم عن مواجهة السنة ، ولم يستطيعوا الوقوف أمام سنة رسول الله عليه وعلى آله وسلم استوردوا كتب الزيغ والضلال من كتب الرافضة من إيران ولبنان بل استوردوا كتب الكفر والإلحاد ؛ ليصدوا الناس عن سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ومن كان يظن أن كتاب « الكافى » للكلينى يدخل اليمن ويباع بالأسواق وفيه الكفر البواح ، ولو كان أئمة الزيدية أحياء ما أذنوا لمثل هذا الكتاب الزائغ يدخل إلى اليمن ، الله أكبر كتب الرفض تباع وتستورد إلى بلدنا المسلمة التى أثنى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عليها وعلى أهلها بقوله : « الإيمان يمان والحكمة يمانية والفقه يمان » وأخبر أن أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوبا .

وبين يدى كتاب من كتب الضلال بل من كتب الكفر والإلحاد اسمه « عيون المعجزات » للرافضى الأثيم بل الملحد الرجيم حسين بن عبد الوهاب من جهلة القرن الخامس بل من غواة القرن الخامس وإليك شيئا مما احتوى عليه من الكفر والإلحاد والزندقة :

(١) ذكر قول الشمس لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هو بكل شيء عليم (ص ١٤) .

(٢) قالت الجارية لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه يا عالم السر وأخفى (ص ٢٧) .

(٣) قول أبيها لعلى رضى الله عنه أشهد أنك تعلم ما فى الأرحام (ص ٢٨) .

(٤) عزى إلى على رضى الله عنه أنه قال إنه هطل بأمره السحاب (ص ٢٩) .

(٥) قول الأعرابى لعلى بلغنا عنك أنك تحيى الموتى وتميت الأحياء وتفقر وتغنى وتقضى فى الأمر وتمضى (ص ٣٠) .

(٦) قول من كان ميتا فأحياه على كما زعمت القصة لبيك يا محيى العظام (ص ٣٢) .

(٧) قول على لمن يخاطبه أما تعلم أنى أعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور (٤٣) .

هذا ومما ينبغى أن يعلم أن عليا رضى الله عنه برىء من هذه الأباطيل ولو كان حيا رضى الله عنه لحرق صاحب الكتاب كما فعل بالذين ادعوا ألوهيته رضى الله عنه .

ألا وإن دخول مثل هذه الكتب الزائغة إلى اليمن يعتبر جناية على الدين ومحادة لله رب العالمين .

وأما الأمة الحمقى التى استوردت هذه الكتب لتدفع بها سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فإن أهل السنة إذا قاموا بما أوجب الله عليهم من البيان والدعوة فإن الأمر سينعكس ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ ولا يحيق

المكر السيئ إلا بأهله ﴾ وعلى نفسها براقش تجنى .

فإن الأمة المسلمة إذا علمت ما فى هذه الكتب من الكفر والضلال تنفر منها وممن ألفها وممن استوردها وصدق الله إذ يقول : ﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ .

هذا ولما كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد شقت طريقها وهزم التشيع أمامها هزيمة منكرة ، أصبح المتشيعون يخجلون أن يبوحوا باعتقادهم الردىء من سب الصحابة ، والتمسح بأتربة الموتى ، ومن الفتاوى الزائغة التى كانوا يفتون بها ؛ أن من وضع يده اليمنى على يده اليسرى فى الصلاة ، أو قال آمين بعد قراءة الفاتحة فى الصلاة ، فصلاته باطلة ، ولا تسأل عن جرأتهم وقلة حيائهم فى الفتاوى . خطب بعض إخواننا خطبة يحذر من التقليد ، فاستنكر جماعته ما قال لأنهم عوام جاهلون فقال حفظه الله : هذه الخطبة مكتوبة واسألوا عنها فذهبوا إلى عالمهم الذى يلقبونه بكرسى الزيدية فلما قرأوا عليه أول الخطبة إلى أن وصلوا إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ قال يكفى هذا يكفركم ويكفر آباءكم لا تصلوا بعده .

فعلى قول هذا المفتن الجاهل ، النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يكفر الصحابة ولا تصح الصلاة بعده ؛ لأنه كان يقولها فى خطبته . أين أنت أيها المفتون الأعمى المفترى على الله من قوله تعالى فى صدر الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فهو يثبت لهم الإيمان ثم قوله فى آخر الآية وأنتم مسلمون أى اثبتوا على الإسلام ولو كان المطلوب إسلامهم لما صدر تعالى آية بتحليتهم بالإيمان ولقال فى آخرها أسلموا . هذه بعض تلبيسات من لا يستحيى ولا يخاف من الله ولا يبالى بدينه وصدق الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ يقول : « إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت » .

وكان من بقية التى يعيروننا بها ، وينفرون عن سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أننا نقول بالقدر كما يقال رمتنى بدائها وانسلت ، ويعنون أننا نقول إن الله قدر الخير والشر ، فاستعنت بالله على جمع بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبعض أقوال أئمة المسلمين رحمهم الله وسميته (الجامع الصحيح فى القدر) أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الإسلام والمسلمين وأن يجعله خالصا لوجهه إنه جواد كريم .

وإنى أحمد الله سبحانه ، فإن أول من استفاد من هذا البحث أنا ، فقد ازددت بحمد الله ثباتا ومحبة لعقيدة أهل السنة والجماعة رحمهم الله .

تنبيه : أنا فى هذا الكتاب وفى بعض كتبى الأخرى لا أحرص على التخريج بل ربما أنقل الحديث من البخارى بسنده وأجده بسنده فى مسلم فلا أعزوه إليه ؛ لأنى قد ذكرت الحديث بسنده ولأن مقصودى ـ الله يعلم ـ هو أن تصل الفائدة إلى القارئ فى أقرب وقت ممكن على أنى لا أنكر فائدة التخريج الحديثة التى لها فائدة .

وأما أن يصدر البحث عن الحديث بحديث أخرجه ابن عدى أو العقيلى أو أبو نعيم فى الحلية وفى سنده متروك أو كذاب ثم يلتمس له شواهد ومتابعات ، بل ربما يكون الحديث فى سنن أبى داود من طريق أخرى بل ربما يكون فى الصحيحين أو أحدهما فهذا لم يفعله أئمة الحديث فهم لم يستشهدوا بالمتروك ولا بالكذاب فضلا عن أن يجعلوه أصلا ويلتمسوا له شواهد ومتابعات فتنبه لهذا حتى لا تكون إمَّعة .

والله الموفق .

من ثمرات الإيمان بالقدر

(١) أداء عبادة الله عز وجل فالقدر مما تعبدنا الله سبحانه وتعالى بالإيمان به .

(٢) قوة الإيمان فالذى يؤمن بالقدر لا يتزعزع ولا يبالى بما ناله فى سبيل الحق .

(٣) الشجاعة والإقدام والثبات فالذى يؤمن بالقدر يعلم أنه لا يموت إلا إذا جاء أجله ولا يناله من البلاء إلا ما كتب له ، لا يبالى بما ناله من الأذى والمصائب والمكاره .

(٤) الطمأنينة وتخفيف الهموم والأحزان .

(٥) الصبر والاحتساب والذين لا يؤمنون بالقدر ربما يؤدى ببعضهم الجزع إلى أن يكفر بالله وبعضهم يُجَنُّ وبعضهم يصبح موسوسا وبعضهم يقتل نفسه ولذلك كثر الانتحار فى البلاد التى لا يؤمن أهلها بالقدر كأمريكا والدانمرك والسويد . والغالب على الذين يبتلون بأمراض الأعصاب أنهم لا يؤمنون بالقدر أو إيمانهم بالقدر ضعيف .

(٦) الكرم فالذى يؤمن أنه لا يفتقر إلا إذا قدر الله عليه فإنه ينفق ولا يبالى .

(٧) الإخلاص فالذى يؤمن بالقدر لا يعمل العمل من أجل الناس ، لأنه يعلم أنهم لا يستطيعون أن ينفعوه بشىء لم يقدره الله ، ولا يستطيعون أن يضروه بشىء لم يقدره الله عليه .

(٨) التوكل واليقين والاعتماد على الله والاستسلام له ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ .

(٩) عدم الاعتماد على الكهان والمنجمين والمشعوذين ، والتمسح بأتربة القبور ودعاء غير الله ، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ؛ لأنه يعلم أن هذه الأمور لا تملك له نفعا لم يرده الله ولا ضرا لم يرده الله .

(١٠) القناعة وعدم التكالب على الدنيا .

(١١) التواضع فإذا رفعه الله بمال أو جاه أو علم أو غير ذلك فهو يعلم أن هذا من عند الله ولو شاء الله لانتزعه منه إنه على كل شيء قدير .

(١٢) إغاظة المبتدعة الذين يتحكمون فى حكمة الله وشرعه .

وبعد فقد حرصت على جمع ما تيسر لى جمعه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ، وأقوال بعض علماء السنة وابتعدت عن أقوال أهل الكلام وفلسفتهم المعقدة العقيمة عن الخير وهذا دأبى ـ والحمد لله ـ فى جميع كتبى لأنى أعتقد أن الذى لا يتأثر بالكتاب والسنة فلن يتأثر بفلسفة المهوسين الحيارى ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

وجوب الإيمان بالقدر

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله (ج ١ ص ٣٦) : حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ، حدثنا وكيع ، عن كهمس ، عن عبد الله بن بريدة ، عن يحيى بن يعمر (ح) وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى ، وهذا حديثه حدثنا أبى ، حدثنا كهمس ، عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر ، قال : كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين ، فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر ، فوفِّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبى ، أحدنا عن يمينه ، والآخر عن شماله فظننت أن صاحبى سيكل الكلام إلىّ فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم ، وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم براء منى ، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام ؟ فقال رسول اللهصلى الله عليه وعلى آله وسلم « الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » ، قال صدقت ، قال فعجبنا له يسأله ويصدقه .

قال فأخبرنى عن الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » . قال صدقت . قال فأخبرنى عن الإحسان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . قال فأخبرنى عن الساعة ؟ قال : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » . قال : فأخبرنى عن أماراتها ؟ قال : « أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان » ، قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لى : « يا عمر : أتدرى من السائل ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص ٤٤١) : ثنا أبو جعفر السويدى ، قال ثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة الدمشقى ، قال ثنا يونس بن ميسرة ، عن أبى إدريس عائذ الله ، عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا مكذب بالقدر » .

هذا حديث صحيح ورجاله ثقات ، وأبو جعفر السويدى هو محمد بن النوشجات قال السمعانى فى الأنساب فى ترجمة السويدى وكان صدوقا ثقة محتاطا فى الأخذ ، ونقل عن أبى داود توثيقه .

قال أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص ٤٦٦) : حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا سفيان عن أبى سنان ، عن وهب بن خالد الحمصى ، عن ابن الديلمى قال : أتيت أبى بن كعب فقلت له : وقع فى نفسى شىء من القدر فحدثنى بشىء لعل الله تعالى أن يذهبه من قلبى ، فقال : لو أن الله تعالى عذب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهبا فى سبيل الله تعالى ما قبله الله تعالى منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لدخلت النار . قال ثم أتيت ابن مسعود فقال مثل ذلك . قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك . قال ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثنى عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم مثل ذلك .

هذا حديث حسن ، وأبو سنان ، هو : سعيد بن سنان ، مختلف فيه والذى يظهر لى أن حديثه لا ينزل عن الحسن ، والله أعلم .

وقال الإمام أبو عبد الله بن ماجة رحمه الله (ج ١ ص ٢٩) : حدثنا على بن محمد ثنا اسحاق بن سليمان قال : سمعت أبا سنان عن وهب بن خالد الحمصى ، عن ابن الديلمى قال : وقع فى نفسى شيء من هذا القدر خشيت أن يفسد على دينى وأمرى فأتيت أبى بن كعب فقلت : أبا المنذر إنه وقع فى نفسى شيء من هذا القدر فخشيت على دينى وأمرى فحدثنى من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعنى به ، فقال : لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ، ولو كان لك مثل جبل أحد ذهبا ، أو مثل جبل أحد تنفقه فى سبيل الله ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار ، ولا عليك أن تأتى أخى عبد الله بن مسعود فتسأله فأتيت عبد الله فسألته فذكر مثل ما قال أبى وقال لى : ولا عليك أن تأتى حذيفة فأتيت حذيفة فسألته فقال مثل ما قال وقال ائت زيد بن ثابت فاسأله فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ، ولو كان لك مثل أحد ذهبا أو مثل جبل أحد ذهبا تنفقه فى سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأنك إن مت على غير ذلك دخلت النار » .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٢ ص ١٨١) : ثنا أنس بن عياض ثنا أبو حازم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » . قال

أبو حازم : لعن الله دينا أنا أكبر منه يعنى التكذيب بالقدر .

وقال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٢ ص ٢١٢) : ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن أبى حازم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » .

عمرو بن شعيب ، مختلف فى الاحتجاج به ، ووالده لم يوثقه معتبر وقد كتبت الحديث لأنه فى الشواهد .

القـــدرة[1]

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وكان الله على كل شيء مقتدرا ﴾ .

---

(١) وهذا هو تفسير الإمام أحمد رحمه الله فقد فسر القدر بالقدرة – كما سيأتى فى ترجمته إن شاء الله – فمن يريد أن ينفى القدر فإنه ينفى قدرة الله .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شىء قدير ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وخلق كل شىء فقدره تقديرا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أَلَّنْ نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوى بنانه ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من منى يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه فى قرار مكين * إلى قدر معلوم * فقدرنا فنعم القادرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ .

ومن القدرة الإلهية

قوله تعالى : ﴿ وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها

رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ .

فإن الذين يسافرون فى البواخر وهكذا الذين يعملون فى البحر يقولون إنهم يجدون البحرين ملتصقين بعضهما ببعض لا فاصل بينهما محسوس ولكنه فاصل إلهى فخابت وخسرت آمال الملحدين .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٩٤) : حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صفحتها ولتنكح . فإن لها ما قدر لها » .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٩٤) : حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا إسرائيل عن عاصم عن أبى عثمان عن أسامة قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ جاءه رسول إحدى بناته ـ وعنده سعد وأبى بن كعب ومعاذ ـ أن ابنها يجود بنفسه فبعث إليها : « لله ما أخذ ولله ما أعطى كل بأجل فلتصبر ولتحتسب » .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٤٦) : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وأبو كريب ، قالا : حدثنا وكيع عن سفيان عن زياد بن إسماعيل عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومى عن أبى هريرة قال : جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى القدر فنزلت : ﴿ يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ .

قال الإمام أبو محمد بن أبى حاتم رحمه الله كما فى تفسير ابن كثير (ج ٦ ص ٤٧٩) : حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزرى عن عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبى رباح قال : أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له : قد تكلم فى القدر فقال : أو قد فعلوها قلت : نعم قال : فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم : ﴿ ذوقوا مس

سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ أولئك شرار هذه الأمة فلا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا على موتاهم إن رأيت أحدا منهم ففقأت عينيه[1] بأصبعى هاتين .

ابن جريج مدلس ولم يصرح بالتحديث ، ولكنه يشهد له حديث أبى هريرة .

الحديث أخرجه اللالكائى فى السنة (ج ٣ ص ٥٤١) فقال أخبرنا عبد العزيز بن محمد قال حدثنا الحسين بن يحيى قال ثنا الحسن بن عرفة به ، وعبد العزيز بن محمد هو : الدقيقى كما جاء منسوبا عند المؤلف (ج ١ ص ٧٠) ولم أجد ترجمته ولا يضر إذ قد وجدنا الحديث فى تفسير ابن كثير بسند أعلى منه كما سبق ، والحسين بن يحيى هو : القطان ترجمته فى سير أعلام النبلاء (ج ١٥ ص ٣١٩) قال فيه الذهبى : الشيخ المحدث الثقة ثم قال : وثقه القواس ، وكان صاحب حديث .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٥٢) : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وابن نمير قالا حدثنا عبد الله بن إدريس عن ربيعة بن عثمان عن محمد ابن يحيى بن حبان عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

قال الإمام محمد بن حبان رحمه الله كما فى موارد الظمآن (ص ٤٥١) : أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا يزيد بن صالح اليشكرى ، ومحمد بن أبان الواسطى قالا حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت أبا رجاء العطاردى قال :

---

(١) عند اللالكائى : ولو أرأيتنى واحدا ففقأت عينه .

سمعت ابن عباس وهو على المنبر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا يزال أمر هذه الأمة مواتيا أو مقاربا ما لم يتكلموا فى الولدان والقدر » .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح إلا يزيد بن صالح اليشكرى ، وقد قال ابن أبى حاتم عن أبيه أنه مجهول فتعقبه الذهبى فى الميزان فقال : وكان ورعا مجتهدا كبير القدر .

قال الحسن بن سفيان فاتنى لأجل أمى يحيى بن يحيى فعوضنى الله بأبى خالد الفراء ثم ذكر الذهبى قول أبى حاتم الرازى أنه مجهول فقال : قلت وثقه غيره . ا هـ .

وهو مقرون بمحمد بن أبان الواسطى وقد وثقه مسلمة كما فى تهذيب التهذيب ، وقد قيل فيه أنه من شيوخ البخارى .

وأما الحسن بن سفيان وإن كان أنزل من رجال الصحيح طبقة فإنه إمام عظيم الشأن .

هذا (ما قررته) على ظاهر السند ثم رأيت فى كشف الأستار (ج ٣ ص ٣٦) قال البزار قد رواه جماعة فوقفوه على ابن عباس فأنا أتركه هنا للفائدة .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٩٤) : حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهرى قال : أخبرنى عبد الله بن محيريز الجمحى أن أبا سعيد الخدرى أخبره ، أنه بينما هو جالس عند النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم جاء رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله إنا نصيب سبيا ونحب المال كيف ترى فى العزل قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أو إنكم تفعلون ذلك لا عليكم ألا تفعلوا فإنه ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هى كائنة » .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٣٩٠) : حدثنا اسحاق حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا موسى هو ابن عقبة ، حدثنى محمد بن يحيى ابن حبان عن ابن محيريز عن أبى سعيد الخدرى فى غزوة بنى المصطلق ، أنهم أصابوا سبايا فأرادوا أن يستمتعوا بهن ولا يحملن فسألوا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن العزل فقال : « ما عليكم ألا تفعلوا فإن الله قد كتب من هو خالق إلى يوم القيامة » .

وقال مجاهد عن قزعة سمعت أبا سعيد قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها » .

قال الإمام أبو عبد الله ابن ماجه رحمه الله (ج ١ ص ٣٤) : حدثنا على بن محمد ثنا خالى يعلى عن الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن جابر قال : جاء رجل من الأنصار إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يا رسول الله إن لى جارية أعزل عنها ، قال : « سيأتيها ما قدر لها » . فأتاه بعد ذلك فقال : قد حملت الجارية ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ما قدر لنفس شيء إلا هى كائنة » .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح إلا شيخ ابن ماجة على بن محمد وهو أبو الحسن الطنافسى وقد وثقه أبو حاتم وأثنى عليه خيرا كما فى تهذيب التهذيب .

الحديث أخرجه الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ ص ٣١٣) فقال : ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش به .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٩٩) : حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن عبد الله بن مرة ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : نهى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن النذر وقال إنه لا يرد شيئا وإنما يستخرج به من البخيل .

أخرجه مسلم (ج ٣ ص ١٢٦٠) .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٩٩) : حدثنا بشر بن محمد أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لا يأتى ابن آدم النذر بشىء لم يكن قدرته ولكن يلقيه النذر وقد قدرته له أستخرج به من البخيل » .

أخرجه مسلم (ج ٣ ص ١٢٦١) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٤٤) : حدثنا أبو الطاهر أحمد ابن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح حدثنا ابن وهب أخبرنى أبو هانئ الخولانى عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » قال : « وعرشه على الماء » .

حدثنا ابن أبى عمر حدثنا المقرئ حدثنا حيوة .

(ح) وحدثنى محمد بن سهل التميمى ، حدثنا ابن أبى مريم أخبرنا نافع يعنى ابن يزيد كلاهما عن أبى هانئ بهذا الإسناد مثله ، غير أنهما لم يذكرا وعرشه على الماء .

قال الإمام البزار رحمه الله فى كشف الأستار (ج ٣ ص ٢٠) : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى ثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن أيوب وإسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال فى القبضتين : « هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه » قال : فتفرق الناس وهم لا يختلفون فى القدر .

قال البزار لا نعلم من رواه عن الثورى إلا أبو أحمد ولا عنه إلا إبراهيم ولا نعرفه عن أيوب ولا عن إسماعيل إلا من هذا الوجه .

قلت : هو حديث صحيح رجاله رجال الصحيح .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٤٥) : حدثنى عبد الأعلى ابن حماد قال قرأت على مالك بن أنس (ح) وحدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك فيما قرئ عليه عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس أنه قال : أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقولون كل شيء بقدر قال : وسمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » أو « الكيس والعجز » .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٤٠) : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو الزبير . (ح) وحدثنا يحيى بن يحيى ، أخبرنا أبو خيثمة ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال : يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيما العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل قال : « لا ، بل فيما جفت الأقلام وجرت به المقادير » قال : ففيم العمل ؟ قال زهير ثم تكلم بشيء لم أفهمه فسألت ما قال فقال : « اعملوا فكل ميسر » .

حدثنى أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهذا المعنى وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « كل عامل ميسر لعمله » .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٧١٩) : وحدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، وحجاج بن الشاعر ، وأحمد بن خراش قال عبد الله أخبرنا ، وقال الآخران حدثنا مسلم بن إبراهيم قال : حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا » .

قال البخارى رحمه الله (ج ٣ ص ٣٨٨) : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حماد بن زيد عن عمرو عن جابر بن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ﴾ قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أعوذ بوجهك » فقال : ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أعوذ بوجهك » قال : ﴿ أو يلبسكم شيعا ﴾ فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « هذه أيسر » . الشاهد فى قوله تعالى : ﴿ قل هو القادر ﴾ .

قال البخارى رحمه الله (ج ٣ ص ٤٨) : حدثنا قتيبة قال حدثنا عبد الرحمن بن أبى الموالى ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : « إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إنى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ـ أو قال : فى عاجل أمرى وآجله ـ فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ـ أو قال : فى عاجل أمرى وآجله ـ فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به » . قال : « ويسمى حاجته » .

قال مسلم رحمه الله (ج ٣ ص ١٢٨٠) : حدثنا أبو كامل الجحدرى ، حدثنا عبد الواحد (يعنى ابن زياد) حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه قال : قال أبو مسعود البدرى : كنت أضرب غلاما لى بالسوط ، فسمعت صوتا من خلفى (اعلم أبا مسعود) فلم أفهم الصوت من الغضب قال : فلما دنا منى إذا هو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإذا هو يقول : اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود قال : فألقيت السوط من يدى فقال :

« اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » قال : قلت لا أضرب مملوكا بعده أبدا .

وحدثناه إسحاق بن إبراهيم أخبرنا جرير (ح) وحدثنى زهير بن حرب ، حدثنا محمد بن حميد (وهو المعمرى) عن سفيان (ح) وحدثنى محمد بن رافع ، حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان (ح) وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة كلهم عن الأعمش بإسناد عبد الواحد نحو حديثه غير أن فى حديث جرير (فسقط من يدى السوط من هيبته) .

وحدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه عن أبى مسعود الأنصارى قال : كنت أضرب غلاما لى فسمعت من خلفى صوتا : « اعلم أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه » ، فالتفت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله فقال : « أما لو لم تفعل للفحتك النار » أو « لمستك النار » .

وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار (واللفظ لابن المثنى)قالا : حدثنا ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه عن أبى مسعود أنه كان يضرب غلامه فجعل يقول : أعوذ بالله قال : فجعل يضربه فقال : أعوذ برسول الله فتركه فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « والله لله أقدر عليك منك عليه » . قال : فأعتقه .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٧٢٨) : حدثنى أبو الطاهر وحرملة بن يحيى قالا أخبرنا ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب أخبرنى نافع بن جبير بن مطعم ، عن عثمان بن أبى العاص الثقفى أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجعا يجده فى جسده منذ أسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ضع يدك على الذى تألم من جسدك وقل : « بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

فهم عمر رضى الله عنه للقدر

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١٠ ص ١٧٩) : حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن عبد الله بن عباس ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد ؛ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام قال ابن عباس : فقال عمر ادع لى المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع فى الشام ، فاختلفوا فقال بعضهم : قد خرجنا لأمر ولا نرى أن نرجع عنه وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال : ارتفعوا عنى ثم قال ادعوا لى الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال : ارتفعوا عنى ثم قال : ادع لى من كان هٰهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر فى الناس أنى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة بن الجراح : أفرارا من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت إن كانت لك إبل هبطت واديا له عدوتان أحداهما خصيبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، قال فجاء عبد الرحمن وكان متغيبا فى بعض حاجته فقال : إن عندى فى هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا

عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » قال : فحمد الله عمر ثم انصرف .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٧٤٠) .

باب من جهل صفة القدرة فشك فيها

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء * قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾ .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٥١٤) : حدثنى عبد الله بن محمد ، حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهرى ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه إذا أنا مت فأحرقونى ، ثم اطحنونى ، ثم ذرونى فى الريح فوالله لئن قدر الله علىّ ليعذبنى عذابا ما عذبه أحدا فلما مات فعل به ذلك فأمر الله الأرض فقال اجمعى ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال يا رب خشيتك . فغفر له » . وقال غيره مخافتك يا رب .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٤٦٦) : حدثنا عبد الله بن أبى الأسود حدثنا معتمر سمعت أبى ، حدثنا قتادة ، عن عقبة بن عبد الغافر ، عن أبى سعيد ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أنه ذكر رجلا فيمن سلف أو فيمن كان قبلكم قال كلمة يعنى أعطاه الله مالا وولدا فلما حضرت الوفاة قال لبنيه : أى أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب . قال : فإنه لم يبتئر[1] أو لم يبتئز عند الله خيرا وإن يقدر الله عليه يعذبه ، فانظروا

---

(١) أى لم يقدم خيرا كما فى الفتح .

إذا مت فأحرقونى ، حتى إذا صرت فحما فاسحقونى أو قال : فاسحكونى فإذا كان يوم ريح عاصف فاذرونى فيها . فقال نبى الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فأخذ مواثيقهم على ذلك وربى ففعلوا ثم أذروه فى يوم عاصف فقال الله عز وجل كن ، فإذا هو رجل قائم . قال الله أى عبدى ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك أو فرق منك . قال : فما تلافاه أن رحمه عندها » . وقال مرة أخرى فما تلافاه غيرها . فحدثت به أبا عثمان فقال : سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد فيه : أذرونى فى البحر أو كما حدث . حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا معتمر وقال لم يبثر . وقال لى خليفة حدثنا معتمر وقال لم يبثز فسره قتادة لم يدخر .

لا يعير من ارتكب معصية ثم تاب

قال البخارى رحمه الله تعالى (ج ١١ ص ٥٠٥) : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، قال حفظناه من عمرو عن طاوس ، سمعت أبا هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « احتج آدم وموسى فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا[1] من الجنة قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومنى على أمر قدره الله علىّ قبل أن يخلقنى بأربعين سنة فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٤٢) : قال سفيان حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم مثله . أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٤٣) .

---

(١) موسى عليه السلام لم ينكر على آدم عليه السلام الوقوع فى المعصية ولكنه أنكر عليه أنه كان سببا لإخراج ذريته من الجنة فحج آدم موسى لأنه أمر مقدر وآدم خُلِقَ للأرض ولم يخلق للسماء قال الله سبحانه وتعالى للملائكته : ﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ .

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص ٤٦٩) : حدثنا أحمد بن صالح أخبرنا ابن وهب أخبرنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر ابن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن موسى قال : يا رب أرنا آدم الذى أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه الله آدم فقال : أنت أبونا آدم ؟ فقال له آدم : نعم . قال : أنت الذى نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك ؟ فقال : نعم قال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ قال له آدم ومن أنت ؟ قال أنا موسى قال : أنت نبى الله إلى بنى إسرائيل الذى كلمك الله من وراء حجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه ؟ قال : نعم قال : أفما وجدت أن ذلك كان فى كتاب الله قبل أن أخلق قال : نعم قال : ففيم تلومنى فى شيء سبق من الله تعالى فيه القضا قبلى . قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند ذلك : فحج آدم موسى فحج آدم موسى عليهما السلام » .

هذا حديث حسن ، وهشام بن سعد مختلف فيه ، ولكن قال أبو داود إنه أثبت الناس فى زيد بن أسلم كما فى تهذيب التهذيب .

قال الإمام الترمذى رحمه الله (ج ٨ ص ٤٥٧) : حدثنا عبد بن حميد أخبرنا أبو نعيم ، أخبرنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عينى كل إنسان منهم . وبيصا من نور ، ثم عرضهم على آدم فقال : أى رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال : أى رب من هذا ! قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود قال : أى رب وكم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة . قال أى رب : زده من عمرى أربعين سنة ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت ، فقال أو لم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها لابنك داود قال فجحد آدم ، فجحدت ذريته ، ونسى آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم وخطئت ذريته » .

هذا حديث صحيح وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ا هـ .

قال أبو عبد الرحمن : هو حديث حسن ، وهشام بن سعد متكلم فيه ، ولكن أبا داود يقول إنه أثبت الناس فى زيد بن أسلم .

قال الإمام الترمذى رحمه الله (ج ٩ ص ٣٠٤) : حدثنا محمد بن بشار أخبرنا صفوان بن عيسى أخبرنا الحارث بن عبد الرحمن بن أبى ذباب عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال : الحمد لله فحمد الله بإذنه فقال له ربه يرحمك الله يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقل السلام عليكم قالوا : وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع إلى ربه قال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم فقال الله له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال : أى رب ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم فقال : يا رب من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود وقد كتبت له عمر أربعين سنة قال يا رب زده فى عمره قال : ذاك الذى كتب له قال : أى رب فإنى قد جعلت له من عمرى ستين سنة قال : أنت وذاك قال ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها فكان آدم يعد لنفسه قال فأتاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت قد كتب لى ألف سنة قال بلى ، ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة فجحد ، فجحدت ذريته ، ونسى فنسيت ذريته قال فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود » . هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ا هـ .

فى حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ، عن أبى صالح ، عن أبى

هريرة أن عمر داود ستون سنة ، وأن آدم زاده من عمره أربعين سنة وفى سائر الطرق إلى أبى هريرة أن عمر داود عليه السلام أربعين سنة وأن آدم عليه السلام زاده ستين سنة ، وهى أرجح كما تراه ، والله أعلم .

قال الإمام أبو جعفر الطبرى فى التاريخ (ج ١ ص ٨١) : حدثنى محمد ابن خلف العسقلانى قال حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان قال : حدثنى محمد ابن عمرو عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال أبو خالد ، وحدثنى عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال أبو خالد ، وحدثنى داود بن أبى هند عن الشعبى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال أبو خالد ، وحدثنى ابن أبى ذباب الدوسى قال : حدثنا سعيد المقبرى ويزيد بن هرمز عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « وخلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له ، فجلس فعطس ، فقال الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك الله ائت أولئك الملأ من الملائكة فقل لهم السلام عليكم فأتاهم فقال : السلام عليكم فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال له : هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ثم قبض له يديه فقال : خذ واختر قال اخترت يمين ربى وكلتا يديه يمين ففتحها فإذا فيها صورة آدم وذريته كلهم وإذا كل رجل مكتوب عنده أجله وإذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة وإذا قوم عليهم النور فقال : يا رب من هؤلاء الذين عليهم النور ؟ فقال : هؤلاء الأنبياء والرسل الذين أرسل إلى عبادى وإذا فيهم رجل هو أضوأهم نورا ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة فقال ذاك ما كتب له فقال : يا رب انقص له من عمرى ستين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فلما أسكنه الله الجنة ثم أهبط إلى الأرض كان يعد أيامه فلما أتاه ملك الموت ليقبضه قال له آدم : عجلت علىّ يا ملك الموت فقال : ما فعلت ، فقال : قد بقى من عمرى ستون سنة فقال له ملك الموت :

ما بقى من عمرك شيء قد سألت ربك أن يكتبه لابنك داود فقال : ما فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فنسى آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته فيومئذ وضع الله الكتاب وأمر بالشهود » .

هذا حديث صحيح .

قال الإمام محمد بن الحسين الآجرى رحمه الله فى الشريعة (ص ١٨٠) حدثنا الفريابى قال : حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات قال : أخبرنا موسى بن إسماعيل قال : حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « احتج آدم وموسى عليهما السلام فقال موسى : يا آدم أنت الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك جنته وفعلت ما فعلت فأخرجت ولدك من الجنة فقال آدم : أنت موسى الذى بعثك الله عز وجل برسالته وكلمك ، وآتاك التوراة ، وقربك نجيا أنا أقدم أم الذكر فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فحج آدم موسى » .

شيخ الآجرى فيه هو جعفر بن محمد الفريابى ، وبقية الرجال من رجال التهذيب وحميد والحسن مدلسان ، وزيادة على هذا أن الإمام أحمد رحمه الله يقول : لا يصح للحسن سماع من جندب كما فى تهذيب التهذيب .

وقد ذكر الحافظ المزى فى تحفة الأشراف للحسن عن جندب ثلاثة أحاديث ؛ الأول متفق عليه ، والثانى رواه مسلم ، والثالث رواه النسائى فى التفسير ، وهو هذا الحديث وعلى كل فما كتبت هذا الحديث إلا لأنه فى الشواهد كما ترى .

ما جاء فى القضاء

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء إن الله هو السميع البصير ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ .

قال عبد الله بن أحمد فى السنة (ص ١٤١) حدثنى أبى حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس قال : كنت مع ابن عباس فى حلقة ، قال : فذكروا أهل القدر ، قال : فقال : أفى الحلقة منهم أحد فآخذ برأسه ثم أقرأ عليه : ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ وأقرأ عليه آية كذا وآية كذا .

هذا الأثر صحيح .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وكان أمرا مقضيا ﴾ .

قال الإمام النسائى رحمه الله (ج ٣ ص ٥٤) : أخبرنا يحيى بن حبيب ابن عربى ،قال حدثنا حماد قال : حدثنا عطاء بن السائب ، عن أبيه قال : صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها فقال له بعض القوم : لقد أوجزت الصلاة فقال : أما على ذلك فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فلما قام تبعه رجل من القوم هو أبى غير أنه كنى عن نفسه فسأله عن الدعاء ثم جاء فأخبر به القوم : « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا علمت الوفاة خيرا لى ، اللهم وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب ، وأسألك القصد فى الفقر والغنى ، وأسألك نعيما لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضا ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة[1] النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين » .

هذا حديث صحيح ، وعطاء بن السائب وإن كان مختلطا فقد روى عنه حماد بن زيد قبل الاختلاط على أنه قد توبع متابعة قاصرة .

قال الإمام النسائى رحمه الله (ج ٣ ص ٥٥) : حدثنا عبيد الله بن سعد ابن إبراهيم بن سعد قال حدثنا عمى قال حدثنا شريك عن ابن هاشم الواسطى عن أبى مجلز عن قيس بن عباد قال : صلى عمار بن ياسر بالقوم صلاة فأخفها

---

(١) هذا من جملة الأدلة على أن المؤمنين يرون ربهم فى الآخرة .

فكأنهم أنكروها فقال : ألم أتم الركوع والسجود ؟ قالوا : بلى ، قال : أما إنى دعوت فيها بدعاء كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو به : « اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا علمت الوفاة خيرا لى ، وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وكلمة الإخلاص فى الرضا والغضب ، وأسألك نعيما لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بالقضا ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ، وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداه مهتدين » .

شريك : هو ابن عبد الله النخعى ساء حفظه لما ولى القضاء يصلح فى الشواهد والمتابعات ، وأبو هاشم : هو الرمانى ، وأبو مجلز : هو لاحق بن حميد كلاهما من رجال الجماعة ، الأول ترجمته فى الكنى من تهذيب التهذيب ، والثانى فى الأسماء .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص ١٩٩) : ثنا وكيع ثنا يونس بن أبى اسحاق ، عن بريد بن أبى مريم السلولى ، عن أبى الحوراء ، عن الحسن ابن على قال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلمات أقولهن فى قنوت الوتر : « اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن توليت وبارك لى فيما أعطيت وقنى شر ما قضيت فإنك تقضى ولا يقضى عليك إنه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت »[1] .

هذا حديث صحيح وهو من الأحاديث التى ألزم الدارقطنى البخارى ومسلما أن يخرجاها .

---

(١) فى هذا الحديث رد على من يزعم أنه متشيع لأهل البيت ولا يجيز القنوت إلا بالقرآن فها هو النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعلم الحسن رضى الله عنه قنوتا ليس من القرآن أفتحكمون على صلاة الحسن بن على وسائر المسلمين أنها باطلة ﴿ ما لكم كيف تحكمون ﴾ .

قال الإمام الترمذى رحمه الله (ج ٦ ص ٣٥٩) : حدثنا أحمد بن منيع وعلى بن حجر المعنى واحدا ، قالا : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، عن أبى المليح ، عن أبى عزة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة » ، أو قال : « بها حاجة » .

هذا حديث صحيح ، وأبو عزة له صحبة اسمه يسار بن عبد ، وأبو المليح ابن أسامة : اسمه عامر بن أسامة بن عمير الهذلى ، وهو من الأحاديث التى ألزم الدارقطنى البخارى ومسلما أن يخرجاها .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٤١) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا عزرة بن ثابت ، عن يحيى بن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، عن أبى الأسود الديلى قال : قال لى عمران بن الحصين : أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشىء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلون به مما آتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقلت : بل شىء قضى عليهم قال : فقال : أفلا يكون ظلما قال : ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شىء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لى : يرحمك الله ، إنى لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالا : يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشىء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما آتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال : لا بل شىء قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل : ﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾ .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٥١٣) : حدثنا مسدد ، حدثنا سفيان عن سمى ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « تعوذوا بالله من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٨٠) .

قال الإمام أحمد بن أبى عاصم النبيل رحمه الله (ج ١ ص ١٨٦) : حدثنا عمرو بن عثمان ثنا أبى ، عن محمد بن مهاجر ، عن ابن حلبس ، عن أم الدرداء أن فضالة بن عبيد كان يقول : (اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر[1] فى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، وزعم أنها دعوات كان يدعو بها النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم) .

هذا حديث صحيح رجاله ثقات .

قال الإمام محمد بن حبان البستى رحمه الله كما فى موارد الظمآن أخبرنا أبو يعلى من كتابه حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا وكيع ، عن عزرة ابن ثابت ، عن ثمامة ، عن أنس قال : خدمت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عشر سنين فما بعثنى فى حاجة لم أتمها إلا قال : « لو قضى لكان ، أو لو قدر لكان » .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح إلا أحمد بن على بن المثنى أبا يعلى الموصلى صاحب المسند ، وهو إمام جليل الشأن .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٢١٥) : حدثنا أبو الربيع العتكى ، وقتيبة بن سعيد كلاهما عن حماد بن زيد ، واللفظ لقتيبة حدثنا حماد

---

(١) هذا من الأدلة المتواترة على أن المؤمنين يرون ربهم فى الآخرة . وقال بعض أهل العلم :

مما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتا واحتسب
ورؤية شفاعة والحوض ومسحُ خفين وهذى بعض

ونحن نكرر التنبيه على هذا ، لأن المعتزلة المبتدعة يرون أن الذى يقول : إن الله يرى فى الآخرة كافر تأويل فنحن نقول لهم موتوا بغيظكم فنحن نؤمن بما جاء فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ ، ولا نبالى بهذيانكم .

ابن زيد ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أبى أسماء ، عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة ، وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربى قال يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا » .

وحدثنى زهير بن حرب ، وإسحاق بن إبراهيم ، ومحمد بن المثنى ، وابن بشار قال إسحاق أخبرنا وقال الآخرون : حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة ، عن أبى قلابة عن أبى أسماء الرحبى ، عن ثوبان أن نبى الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إن الله زوى لى الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأعطانى الكنزين الأحمر والأبيض » .

ثم ذكر نحو حديث أيوب عن أبى قلابة .

جف القلم بما هو كائن

قال البخارى رحمه الله (ج ٩ ص ١١٧) : وقال أصبغ أخبرنى ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله إنى رجل شاب وأنا أخاف على نفسى العنت ، ولا أجد ما أتزوج به النساء فسكت عنى ، ثم قلت مثل ذلك فسكت عنى ، ثم قلت مثل ذلك فسكت عنى ثم قلت مثل ذلك فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلك أو ذر » .

قال الحافظ رحمه الله فى تغليق التعليق (ج ٤ ص ٣٩٦) : قال أبو بكر

الجوزقى فى الجمع بين الصحيحين : أنا أبو حامد بن الشرقى ومكى بن عبدان قالا : ثنا محمد بن يحيى ثنا أصبغ بن القزح بهذا . وزاد بعد قوله العنت فأذن لى أن أختص .

ورواه الإسماعيلى عن القاسم عن الرمادى عن أصبغ .

ورواه الفريابى فى كتاب القدر عن محمد بن إسحاق بن المنوخى عن أصبغ به .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٤٠) : حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو الزبير ، (ح) وحدثنا يحيى بن يحيى ، أخبرنا أبو خيثمة عن أبى الزبير ، عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم ، قال : يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيما العمل اليوم ؛ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ، أم فيما نستقبل قال : « لا بل فيما جفت الأقلام وجرت به المقادير » قال : ففيم العمل ؟

قال زهير ثم تكلم بشىء لم أفهمه فسألت ما قال فقال : اعملوا فكل ميسر .

حدثنى أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهذا المعنى وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « كل عامل ميسر لعمله » .

قال الإمام الترمذى رحمه الله (ج ٧ ص ٤٠١) : حدثنا الحسن بن عرفة أخبرنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن عمرو السيبانى ، عن عبد الله بن الديلمى قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن الله تبارك وتعالى خلق خلقه فى ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ، فلذلك أقول جف القلم على علم الله » .

هذا حديث حسن .

الحديث أخرجه ابن أبى عاصم رحمه الله (ج ١ ص ١٠٧) حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود ثنا إسماعيل بن عياش به .

وقال الآجرى فى الشريعة (ص ١٧٥) : وأخبرنا الفريابى ، قال : حدثنا عثمان بن أبى شيبة قال : حدثنا إسماعيل بن عياش به . وإسماعيل روايته عن الشاميين مقبولة وشيخه شامى ، على أنه قد توبع قال ابن أبى عاصم (ج ١ ص ١٠٧) : ثنا ابن مصفا ثنا ضمرة عن يحيى بن أبى عمرو السيبانى[1] به . وضمرة : هو ابن ربيعة الفلسطينى ترجمته فى تهذيب التهذيب . وهو حسن الحديث .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٢ ص ١٩٧) ثنا أبو المغيرة ثنا محمد بن مهاجر ، أخبرنى عروة بن رويم ، عن ابن الديلمى الذى كان يسكن بيت المقدس قال ثم سألته هل سمعت يا عبد الله بن عمرو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يذكر شارب الخمر بشىء ؟ قال : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « لا يشرب الخمر أحد من أمتى فيقبل الله منه صلاة أربعين صباحا » قال : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن الله خلق خلقه ثم جعلهم فى ظلمة ثم أخذ من نوره ما شاء الله فألقاه عليهم فأصاب النور من شاء أن يصيبه ، وأخطأ من شاء فمن أصابه النور يومئذ فقد اهتدى ، ومن أخطأ يومئذ فقد ضل ، فلذلك قلت جف القلم بما هو كائن » .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح إلا عروة بن رويم وقد وثقه ابن معين ، ودحيم ، والنسائى كما فى تهذيب التهذيب وابن الديلمى : هو عبد الله .

---

(١) فى الترمذى والشريعة للآجرى ، الشيبانى بالشين المعجمة والصواب بالسين المهملة كما أثبتناه .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٢ ص ١٧٦) : ثنا معاوية بن عمرو ثنا إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الفزارى ، ثنا الأوزاعى حدثنى ربيعة بن يزيد ، عن عبد الله بن الديلمى قال : دخلت على عبد الله بن عمرو ، وهو فى حائط له بالطائف يقال له الوهط وهو مخاصر فتى من قريش يزن بشرب الخمر فقلت : بلغنى عنك حديث أن من شرب شربة خمر لم يقبل الله له توبة أربعين صباحا ، وأن الشقى من شقى فى بطن أمه وأنه من أتى بيت المقدس لا ينهزه إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق ثم قال عبد الله بن عمرو : إنى لا أحل لأحد أن يقول علىّ ما لم أقل ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « من شرب من الخمر شربة لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد قال لا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة فإن عاد كان حقا على الله أن يسقيه من ردغة الخبال يوم القيامة » قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن الله عز وجل خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ فمن أصابه من نوره يومئذ فقد اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله » .

وسمعته يقول : « إن سليمان بن داود سأل الله ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة فسأله حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه إياه وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة فى هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطاه إياه » .

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا عبد الله بن فيروز الديلمى ، وقد وثقه يحيى بن معين كما فى تهذيب التهذيب ، ولكن ربيعة بن يزيد لا يدرى أسمع من عبد الله بن الديلمى ، أم لا ، فإنه ربما أدخل بينه وبين عبد الله بن الديلمى

أبا إدريس الخولانى كما فى تحفة الأشراف وتهذيب التهذيب ، ولكن موضع الشاهد مروى من طرق عن عبد الله بن عمرو والحمد لله .

رفعت الأقلام وجفت الصحف

قال الإمام الترمذى رحمه الله (ج ٧ ص ٢١٩) : حدثنا أحمد بن محمد ابن موسى أخبرنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا الليث بن سعد وابن لهيعة عن قيس بن الحجاج .

قال : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ، أخبرنا أبو الوليد ، أخبرنا ليث بن سعد حدثنى قيس بن الحجاج المعنى واحد عن حنش الصنعانى عن ابن عباس قال : كنت خلف النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوما فقال : « يا غلام إنى أعلمك كلمات ؛ احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

هذا حديث حسن صحيح

قال أبو عبد الرحمن : قيس بن الحجاج لم أجد فيه توثيقا معتبرا إلا قول أبى حاتم وهذا لا يرفع الحديث إلى الحسن ، لكنه قد جاء الحديث من طرق عن ابن عباس كما فى جامع العلوم والحكم لابن رجب رحمه الله .

الله أعلم بما كانوا عاملين

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص ٧٣) : ثنا عفان ثنا حماد يعنى ابن سلمة أنا عمار يعنى ابن أبى عمار عن ابن عباس ، قال : أتى علىّ زمان وأنا أقول : أولاد المسلمين مع المسلمين وأولاد المشركين مع المشركين ، حتى

حدثنى فلان عن فلان أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سئل عنهم فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين قال فلقيت الرجل فأخبرنى فأمسكت عن قولى » .

وقال أيضا (ج ٥ ص ٤١٠) ثنا إسماعيل بن إبراهيم ثنا خالد الحذاء عن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس قال : كنت أقول فى أولاد المشركين هم منهم . فحدثنى رجل عن رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فلقيته فحدثنى عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « ربهم أعلم بهم وهو خلقهم وهو أعلم بهم وبما كانوا عاملين » .

هذا حديث حسن على شرط مسلم .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٩٣) : حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سئل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن أولاد المشركين فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٤٩) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٩٣) : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال وأخبرنى عطاء بن يزيد أنه سمع أبا هريرة يقول : سئل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : عن ذرارى المشركين ؟ فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٤٩) .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٩٣) : أخبرنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر ، عن همام ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا

أنتم تجدعونها » . قالوا يا رسول أفرأيت من يموت وهو صغير ؟ قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٤٨) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ٢٤) : ثنا على بن عبد الله ثنا معاذ بن هشام قال حدثنى أبى عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود ابن سريع أن نبى الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « أربعة يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئا ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات فى فترة . فأما الأصم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا ، وأما الأحمق فيقول : رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونى بالبعر ، وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا ، وأما الذى مات فى الفترة فيقول : رب ما أتى لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار قال فوالذى نفسى بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح .

ثم قال الإمام أحمد بعد هذا الحديث ثنا على ثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن الحسن عن أبى رافع عن أبى هريرة مثل هذا غير أنه قال فى آخره فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ، ومن لم يدخلها يسحب إليها .

الحديث أخرجه البيهقى فى الاعتقاد (ص ١٦٩) ثم قال هذا إسناد صحيح . ا هـ .

وقد سقط من مسند الإمام أحمد رحمه الله قتادة فهو مذكور بين هشام ابن عبد الله والحسن كما عند البيهقى ومذكور عند الإمام أحمد ، نقله ابن كثير فى التفسير (ج ٣ ص ٢٩) فالظاهر أنه سقط من المسند المطبوع والله أعلم .

المشـــيئة

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير * تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا أباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون * قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما * يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ الله يجعله على صراط مستقيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين * ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور *. إن أنت إلا نذير ﴾ .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ كلا إنه تذكرة * فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى حكاية عن حوار شعيب عليه السلام مع قومه : ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك

من قريتنا أو لتعودنّ فى ملتنا قال أو لو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما ﴾ .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٤٤٥) : حدثنا مسدد حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إذا دعوتم الله فاعزموا فى الدعاء ولا يقول أحدكم إن شئت فاعطنى فإن الله لا مستكره له » .

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى .

(ح) وحدثنا إسماعيل حدثنى أخى عبد الحميد عن سليمان عن محمد بن أبى عتيق عن ابن شهاب عن على بن الحسين أن حسين بن على عليهما السلام أخبره أن على بن أبى طالب أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة فقال لهم : « ألا تصلون » قال على : فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع إلىّ شيئا ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول ﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ﴾ .

حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال بن على عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « مثل المؤمن كمثل خامة الزرع يفىء ورقه من حيث أتتها الريح تكفئها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء » .

حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب عن الزهرى أخبرنى سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وعلى آله وسلم وهو قائم على المنبر يقول : « إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أعطى أهل التوراة التوراة حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا ثم أعطى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين قال أهل التوراة ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر أجرا قال هل ظلمتكم من أجر من شيء قالوا : لا فقال : فذلك فضلى أوتيه من أشاء » .

حدثنا عبد الله المسندى حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهرى عن أبى إدريس عن عبادة بن الصامت قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى رهط فقال : « أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصونى فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فأخذ به فى الدنيا فهو له كفارة وطهور ومن ستره الله فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » .

حدثنا معلى بن أسد ثنا وهيب عن أيوب عن محمد عن أبى هريرة أن نبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام كان له ستون امرأة فقال : لأطوفن الليلة على نسائى فلتحملن كل إمرأة ولتلدن فارسا يقاتل فى سبيل الله فطاف على نسائه فما ولدت منهن إلا امرأة ولدت شق غلام قال نبى الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لو كان سليمان استثنى لحملت كل امرأة منهن فولدت فارسا يقاتل فى سبيل الله » .

حدثنا محمد حدثنا عبد الوهاب الثقفى حدثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم دخل على أعرابى يعوده فقال : « لا بأس عليك طهور إن شاء الله » قال : قال الأعرابى طهور ؟ بل حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فنعم إذا » .

حدثنا ابن سلام أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عبد الله بن أبى قتادة ، عن أبيه حين ناموا عن الصلاة قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء » فقضوا حوائجهم وتوضأوا إلى أن طلعت الشمس وابيضت فقام فصلى .

حدثنا يحيى بن قزعة حدثنا إبراهيم عن ابن شهاب عن أبى سلمة والأعرج .

وحدثنا إسماعيل حدثنى أخى ، عن سليمان ، عن محمد بن أبى عتيق ، عن ابن شهاب ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم والذى اصطفى محمدا على العالمين فى قسم يقسم به ، فقال اليهودى والذى اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودى فذهب اليهودى إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخبره بالذى كان من أمره وأمر المسلم فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا تخيرونى على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق قبلى أو كان ممن استثنى الله » .

حدثنا إسحاق بن أبى عيسى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله » .

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب ، عن الزهرى ، حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لكل نبى دعوة فأريد إن شاء الله أن أختبى دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة » .

حدثنا يسرة بن صفوان بن جميل اللخمى ، حدثنا إبراهيم بن سعد عن

الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « بينا أنا نائم رأيتنى على قليب فنزعت ما شاء الله أن أنزع ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ثم أخذها عمر فاستحالت غربا فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه حتى ضرب الناس حوله بعطن » .

حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن بريد ، عن أبى بردة ، عن أبى موسى قال كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا أتاه السائل وربما قال جاء السائل أو صاحب الحاجة قال : « اشفعوا فلتؤجروا ويقضى الله على لسان رسوله ما شاء » .

حدثنى يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام سمع أبا هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لا يقل أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت ، ارحمنى إن شئت ، ارزقنى إن شئت وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء لا مكره له » .

حدثنى عبد الله بن محمد حدثنا أبو حفص عمرو حدثنا الأوزاعى حدثنى ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزارى فى صاحب موسى ؛ أهو خضر فمر بهما أبى بن كعب الأنصارى فدعاه ابن عباس فقال إنى تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى الذى سأل السبيل إلى لقيه هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يذكر شأنه قال : نعم إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « بينا موسى فى ملأ بنى إسرائيل إذ جاءه رجل فقال هل تعلم أحدا أعلم منك ، فقال موسى : لا فأوحى إلى موسى بل عبدنا خضر ، فسأل موسى السبيل إلى لقيه فجعل الله له الحوت آية وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت فى البحر فقال فتى موسى لموسى أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة

فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره قال موسى ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا خضرا وكان من شأنهما ما قص الله » .

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى .

وقال أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « ننزل غدا إن شاء الله بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يريد المحصب » .

حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن أبى العباس عن عبد الله بن عمر قال حاصر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أهل الطائف فلم يفتحها فقال : « إنا قافلون إن شاء الله » ، فقال المسلمون نقفل ولم نفتح قال فاغدوا على القتال فغدوا فأصابتهم جراحات قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إنا قافلون غدا إن شاء الله » فكأن ذلك أعجبهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٤٤) : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى أخبرنى سعيد وعطاء بن يزيد أن أبا هريرة أخبرهما عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وحدثنى محمود حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى هريرة قال : قال أناس : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال : « هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا : لا يا رسول الله . قال : « هل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ » قالوا : لا يا رسول الله . قال : « فإنكم ترونه[1] يوم القيامة كذلك يجمع

---

(١) نؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم فى الآخرة وعلى رغم أنوف المبتدعة .

الله الناس فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فى غير الصورة التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم فى الصورة التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب جسر جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلّم سلّم وبه كلاليب مثل شوك السعدان أما رأيتم شوك السعدان » قالوا : بلى يا رسول الله قال : « فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله فتخطف الناس بأعمالهم ؛ منهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ، ثم ينجو حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل من بنى آدم أثر السجود فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم ماء يقال له ماء الحياة فينبتون نبات الحبّة فى حميل السيل ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار فيقول يا رب قد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها فاصرف وجهى عن النار فلا يزال يدعو الله فيقول لعلك إن أعطيتك أن تسألنى غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره فيصرف وجهه عن النار ثم يقول بعد ذلك يا رب قربنى إلى باب الجنة فيقول أليس قد زعمت أن لا تسألنى غيره ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فلا يزال يدعو فيقول لعلى إن أعطيتك ذلك تسألنى غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره فيعطى الله ما شاء من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره فيقربه إلى باب الجنة فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول رب أدخلنى الجنة ثم يقول أوليس قد زعمت أن لا تسألنى غيره ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول يا رب لا تجعلنى أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها فإذا دخل فيها قيل

تمن من كذا فيتمنى ثم يقال له تمن من كذا فيتمنى حتى تنقطع به الأمانى فيقول له هذا لك ومثله معه » .

قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا .

قال عطاء وأبو سعيد جالس مع أبى هريرة لا يغير عليه شيئا من حديثه ، حتى انتهى إلى قوله : هذا لك ، ومثله معه . قال أبو سعيد : سمعته يقول : هذا لك وعشرة أمثاله معه .

قال أبو هريرة حفظت مثله معه .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٣٩٢) : حدثنى معاذ بن فضالة حدثنا هشام عن قتادة عن أنس أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أما ترى الناس ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول : لست هناك ويذكر لهم خطيئته التى أصاب ، ولكن ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول : لست هناك ويذكر خطيئته التى أصاب ، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن فيأتون إبراهيم فيقول لست هناكم ويذكر لهم خطاياه التى أصابها ، ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوارة وكلمه تكليما فيأتون موسى فيقول : لست هناكم ويذكر لهم خطيئته التى أصابها ، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونى فأنطلق فأستأذن على ربى فيؤذن لى عليه فإذا رأيت ربى وقعت له ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقال : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع فأحمد ربى بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لى حدا فأدخلهم الجنة ثم

أرجع فإذا رأيت ربى وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقال ارفع محمد ، وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع فأحمد ربى بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لى حدا فيدخلهم الجنة ، ثم أرجع فإذا رأيت ربى وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقال ارفع محمد ، قل يستمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع فأحمد ربى بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لى حدا فأدخلهم الجنة ثم أرجع فأقول يا رب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه ما يزن من الخير ذرة » .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٦٠) : حدثنا عبد الله بن عثمان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهرى أخبرنى حمزة بن عبد الله بن عمر أنه سمع ابن عمر رضى الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٢٠٦) فقال : وحدثنى حرملة بن يحيى التُّجِيبى أخبرنا ابن وهب أخبرنى يونس به . وعنده إذا أراد الله بقوم عذابا ـ إلى آخر الحديث .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ٨ ص ٥٩٥) : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر ، عن همام ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « تحاجت الجنة والنار فقالت النار للجنة أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله تبارك وتعالى : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها

فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز جل من خلقه أحدا وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا » .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ٦٦٩) : حدثنا يحيى بن يحيى التميمى ، ويحيى بن أيوب ، وقتيبة بن سعيد قال يحيى بن يحيى أخبرنا ، وقال الآخران حدثنا إسماعيل بن جعفر عن شريك ، وهو ابن أبى نمر عن عطاء ابن يسار ، عن عائشة أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلما كان ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لا حقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » . ولم يقم قتيبة قوله وأتاكم .

وحدثنى هارون بن سعيد الأيلى حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرنا ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير بن المطلب أنه سمع محمد بن قيس يقول سمعت عائشة تحدث فقالت ألا أحدثكم عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعنى ؟ قلنا : بلى .

(ح) وحدثنى من سمع حجاجا الأعور واللفظ له قال حدثنا حجاج بن محمد ، حدثنا ابن جريج ، أخبرنى عبد الله : رجل من قريش ، عن محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب أنه قال يوما ألا أحدثكم عنى وعن أمى قال فظننا أنه يريد أمه التى ولدته قال : قالت عائشة ألا أحدثكم عنى وعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ قلنا : بلى قال : قالت لما كانت ليلتى التى كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيها عندى انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويدا وانتعل رويدا وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويدا ، فجعلت درعى فى رأسى واختمرت وتقنعت إزارى ثم انطلقت

به راحلته فقال الناس : حل حل . فألحت فقالوا خلأت القصواء ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل » . وذكر الحديث .

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ١٨) : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى ، قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « بينما راع فى غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعى فالتفت إليه الذئب فقال : من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى ، وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته فقالت : إنى لم أخلق لهذا ولكنى خلقت للحرث » . فقال الناس : سبحان الله قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فإنى أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما » .

قال الإمام أبو حاتم محمد بن حبان رحمه الله كما فى الموارد (ص ٥١٩) : أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا هدبة بن خالد القيسى ، حدثنا القاسم بن الفضل الحدانى ، حدثنا الجريرى ، حدثنا أبو نضرة ، حدثنا أبو سعيد الخدرى قال : بينا راع يرعى بالحرة إذ عرض ذئب لشاة فجاء الراعى يسعى فانتزعها منه فقال للراعى : ألا تتقى الله ؟ تحول بينى وبين رزق ساقه الله إلىّ . قال الراعى : العجب لذئب يتكلم والذئب مقع على ذنبه يكلمنى بكلام الإنس فقال الذئب للراعى : ألا أحدثك بأعجب من هذا ؟ هذا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق ، فساق الراعى شاءه إلى المدينة فزواها فى زاوية من زواياها ، ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال له ما قال الذئب فخرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال للراعى : « فأخبر الناس ما قال الذئب » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « صدق الراعى ألا إن من

فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله فقال « أرأيت لو أن رجلا له خيل دهم بهم ألا يعرف خيله » قالوا بلى يا رسول الله قال فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقا سحقا » .

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز يعنى الدراوردى .

(ح) وحدثنى إسحاق بن موسى الأنصارى حدثنا معن حدثنا مالك جميعا عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خرج إلى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » بمثل حديث إسماعيل بن جعفر غير أن حديث مالك فليذادن رجال عن حوضى .

قال البخارى رحمه الله (ج ٨ ص ٦١٩) : حدثنا محمد بن عبد الله ابن حوشب حدثنا عبد الوهاب حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس .

(ح) وحدثنى محمد ، حدثنا عفان بن مسلم ، عن وهيب حدثنا خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال وهو فى قبة يوم بدر : « اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم » فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك وهو يثب فى الدرع فخرج وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) ، ومحمد شيخ البخارى فى السند الثانى هو الذهلى قاله الحافظ فى الفتح .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٥١٣) حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا داود بن أبى الفرات ، حدثنا عبد الله بن بريدة ، عن يحيى بن يعمر ، عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قالت :

سألت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الطاعون فأخبرنى أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء ، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين ليس من أحد يقع فى الطاعون فيمكث فى بلدة صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب له إلا كان له مثل أجر شهيد .

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله (ج ٤ ص ٢٢٠٢) : حدثنى إسحاق بن عمر بن سليط الهذلى ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت قال قال أنس كنت مع عمر .

(ح) وحدثنا شيبان بن فروخ واللفظ له حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت عن أنس بن مالك قال كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال ، وكنت رجلا حديد البصر فرأيته وليس أحد يزعم أنه رآه غيرى قال : فجعلت أقول لعمر ؛ أما تراه ، فجعل لا يراه قال : يقول عمر سأراه وأنا مستلق على فراشى ، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول : « هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله » ، قال : فقال عمر : فوالذى بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التى حد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى انتهى إليهم فقال : « يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا ، فإنى قد وجدت ما وعدنى الله حقا » قال عمر : يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها قال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئا » .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٩٤٢) : حدثنى هارون بن عبد الله حدثنا حجاج بن محمد ، قال : قال ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول أخبرتنى أم مبشر أنها سمعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول عند حفصة : « لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة

أحد الذين بايعوا تحتها قالت : بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : قد قال الله عز وجل : ﴿ ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ .

قال الإمام البيهقى رحمه الله فى الأسماء والصفات (ص ١٩٦) : أخبرنا أبو القاسم الحربى ببغداد ثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عثمان النيسابورى ، ثنا محمد بن المسيب الأرغيانى ، ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى ، ثنا أبو أسامة ، ثنا بريد بن عبد الله ، عن أبى بردة ، عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله تعالى إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها سلفا وفرطا ، وإذا أراد هلاك أمة عذبها ونبيها حى فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره » .

أخرجه مسلم فى الصحيح فقال حدثت عن أبى أسامة رضى الله عنه .

هذا حديث صحيح ، أبو القاسم الحربى هو عبد الرحمن بن عبيد الله قال الخطيب فى التاريخ (ج ١٠ ص ٣٠٣) : كتبنا عنه وكان صدوقا غير أن سماعه فى بعض ما يرويه عن النجاد كان مضطربا . ا هـ المراد منه .

وأحمد بن محمد بن أبى عثمان ترجمه الذهبى فى تذكرة الحفاظ (ج ٣ ص ٩٢٠) ووصفه بأنه حافظ إمام . ومحمد بن المسيب ترجمه الذهبى فى السير (ج ١٤ ص ٤٢٢) ووصفه بالحافظ شيخ الإسلام العابد .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ ص ٤٧٧) : ثنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن كرز بن علقمة الخزاعى قال : قال رجل يا رسول الله هل للإسلام من منتهى قال : « أيما أهل بيت » وقال فى موضع آخر « قال نعم أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرا أدخل عليهم الإسلام » قال ثم مه ؟ قال : « ثم تقع الفتن كأنها الظلل » قال كلا والله إن شاء الله قال : « بلى ، والذى نفسى بيده لتعودن فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب

بعض » . وقرأ على سفيان قال الزهرى أساود صبا قال سفيان الحية السوداء تنصب أى ترتفع .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح وهو من الأحاديث التى ألزم الدارقطنى البخارى ومسلما أن يخرجاها . وقد تابع الزهرى عبد الواحد بن قيس وعبد الواحد ضعيف إلا أن ابن عدى ذكر أن رواية الأوزاعى عنه مستقيمة كما فى تهذيب التهذيب .

قلت : وهذا منه كما فى المسند (ج ٣ ص ٤٧٧) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص ٧٢) : ثنا بهز وعفان قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ربعى بن حراش ، عن طفيل ابن سخبرة أخى عائشة لأمها أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود فقال : من أنتم ؟ قالوا نحن اليهود قال : إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيرا ابن الله ، فقالت اليهود وأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، ثم مر برهط من النصارى فقال : من أنتم قالوا نحن النصارى فقال : إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله ، قالوا إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، فلما أصبح أخبر بها من أخبر ثم أتى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخبره فقال « هل أخبرت بها أحدا » قال عفان قال نعم فلما وصلوا خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن طفيلا رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعنى الحياء منكم أن أنهاكم عنها » قال « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد » .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص ٣٧١) : ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا يحيى[1] المسعودى قال حدثنى معبد بن خالد ، عن عبد الله بن يسار ،

---

(١) يحيى مزيدة فى السند ، والصواب يحيى بن سعيد ثنا المسعودى كما فى تحفة الأشراف وتهذيب الكمال ترجمة معبد بن خالد . والمسعودى هو عبد الرحمن بن عبد الله ، وهو مختلط ولكنه متابع كما تراه عند النسائى .

عن قتيلة بنت صيفى الجهينية قالت أتى حبر من الأحبار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يا محمد نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون ، قال : « سبحان الله وما ذاك ؟ » قال تقولون إذا حلفتم والكعبة قالت : فأمهل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شيئا ثم قال إنه قد قال « فمن حلف فليحلف برب الكعبة » قال يا محمد نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله ندا ، قال « سبحان الله وما ذاك ؟ » قال تقولون ما شاء الله وشئت قال فأمهل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شيئا ثم قال إنه قد قال : « فمن قال ما شاء الله فليفصل بينهما ثم شئت » .

وقال النسائى رحمه الله (ج ٧ ص ٦) أخبرنا يوسف بن عيسى قال حدثنا الفضل بن موسى ، قال حدثنا مسعر عن معبد بن خالد ، عن عبد الله بن يسار ، وعن قتيلة امرأة من جهينة أن يهوديا أتى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت ، وتقولون والكعبة فأمرهم النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ويقولوا ما شاء الله ثم شئت » .

هذا حديث صحيح .

قال البخارى رحمه الله تعالى (ج ٨ ص ٥٩٥) : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن همام ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم « تحاجت الجنة والنار . فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة ما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار : إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادى ، ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢١٨٦) .

الهدى والضلال من الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا * ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يهدى الله لنوره من يشاء ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وكفى بربك هاديا ونصيرا ﴾ .

قال إبراهيم عليه السلام فى صفة الله كما حكاه الله عنه : ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا * إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوى * والذى قدر فهدى ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ .

قال الإمام الطبرى رحمه الله (ج ٣٠ ص ١٩٩) : حدثنا أبو كريب قال ثنا ، وكيع عن سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ﴿ وهديناه النجدين ﴾ قال الخير والشر .

وقال ابن جرير رحمه الله (ص ٢٠٠) : حدثنا ابن المثنى قال ثنا هشام ابن عبد الملك ، قال : ثنا شعبة قال : أخبرنى عاصم قال : سمعت أبا وائل يقول : كان عبد الله يقول فى ﴿ وهديناه النجدين ﴾ قال نجد الخير ونجد الشر .

هذا الأثر حسن ولا يضر الاختلاف فيه على عاصم بن أبى النجود إذ شيخاه كلاهما ثقة فالأثر كيفما دار دار على ثقة .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى فى ذكر المنافقين : ﴿ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ﴾ .

إقرار أهل النار أن الهداية بيد الله

قال الله سبحانه وتعالى فيما أخبر به عن أهل النار : ﴿ وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ .

قال البخارى رحمه الله (ج ٨ ص ٥٠٦) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى سعيد بن المسيب ، عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فوجد عنده أبا جهل ، وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال : « أى عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله » فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعرضها عليه ، ويعيدانه بتلك الكلمة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله : ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ وأنزل الله فى أبى طالب فقال لرسوله صلى الله عليه

وعلى آله وسلم :﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ .

الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص ٥٤) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ١ ص ٥٥) : حدثنا محمد بن عباد وابن أبى عمر قالا : حدثنا مروان عن يزيد وهو ابن كيسان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعمه عند الموت : « قل لا إله إلا الله ، أشهد لك بها يوم القيامة » فأبى . فأنزل الله : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ﴾ الآية .

حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا يزيد بن كيسان ، عن أبى حازم الأشجعى ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعمه : « قل لا إله إلا الله ، أشهد لك بها يوم القيامة » قال : لولا أن تعيرنى قريش . يقولون : إنما حمله ، على ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل الله : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ٥٩٣) : وحدثنا إسحاق بن إبراهيم ، ومحمد بن المثنى كلاهما عن عبد الأعلى ، قال ابن المثنى : حدثنى عبد الأعلى ، وهو أبو همام ، حدثنا داود عن عمرو بن سعيد ، عن سعيد ابن جبير ،عن ابن عباس ، أن ضمادا قدم مكة ، وكان من أزد شنوءة وكان يرقى من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : إن محمدا مجنون فقال : لو أنى رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدى قال : فلقيه فقال يا محمد إنى أرقى من هذه الريح وإن الله يشفى على يدى من شاء ، فهل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » . أما بعد : قال فقال : أعد علىّ كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول الله صلى الله

عليه وعلى آله وسلم ، ثلاث مرات قال فقال : لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن ناعوس البحر قال فقال : هات يدك أبايعك على الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « وعلى قومك » قال وعلى قومى . قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سرية فمروا بقومه فقال صاحب السرية للجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئا فقال رجل من القوم أصبت منهم مطهرة فقال : ردوها فإن هؤلاء قوم ضماد .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٥١٥) : حدثنا أبو النعمان ، أخبرنا جرير ، هو ابن حازم ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال رأيت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم الخندق ينقل التراب معنا وهو يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ٦ ص ١٥٣) : حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود فى خطبة الحاجة فى النكاح وغيره .

(ح) وحدثنا محمد بن سليمان الأنبارى المعنى أخبرنا وكيع ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص وأبى عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : علمنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خطبة الحاجة : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده

ورسوله : ﴿ يا أيها الذين[1] آمنوا اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ » لم يقل محمد بن سليمان (أن)[2] . هذا حديث صحيح ، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه لكنه مقرون بعوف بن مالك أبى الأحوص ، فصح الحديث والحمد لله .

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله (ج ٤ ص ١٩٩٤) : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمى ، حدثنا مروان يعنى ابن محمد ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن يزيد ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم ، يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ، يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم ، يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم ، يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب

---

(١) كذا فى رواية الحديث عند أبى داود . وفى المصحف : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ وقال الطيبى : لعلها قراءة ابن مسعود .

(٢) وذلك فى قوله : إن الحمد لله .

رجل واحد ما نقص من ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

قال سعيد : كان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه .

حدثنيه أبو بكر بن إسحاق ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز بهذا الإسناد غير أن مروان أتمها حديثا .

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله (ج ٢ ص ٥٨٦) : حدثنا أبو كريب وواصل بن عبد الأعلى ، قالا : حدثنا ابن فضيل عن أبى مالك الأشجعى ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، وعن ربعى بن حراش ، عن حذيفة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق » . وفى رواية واصل المقضى بينهم .

حدثنا أبو كريب أخبرنا ابن أبى زائدة ، عن سعد بن طارق ، حدثنى ربعى ابن حراش ، عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « هدينا إلى الجمعة وأضل الله عنها من كان قبلنا » فذكر بمعنى حديث ابن فضيل .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ٥٩٣) : وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطب الناس يحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله ثم يقول : « من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وخير الحديث كتاب الله » ثم ساق الحديث بمثل حديث الثقفى .

يعنى الإمام مسلم رحمه الله الحديث المتقدم فى صحيحه قبل هذا الحديث .

فصل : ومن هذا الباب هداية الله سبحانه وتعالى للحيوان قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوى * والذى قدر فهدى ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى حكاية عن الحوار بين موسى عليه السلام وبين فرعون : ﴿ قال فمن ربكما يا موسى * قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى فى قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد : ﴿ وتفقد الطير فقال ما لى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين * فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم

تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين * إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألَّا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم * قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين * اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون * قالت يا أيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم * إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلوا على وأتونى مسلمين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين * وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون * حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون * فتبسم ضاحكا من قولها ﴾ الآية .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنّا له الحديد ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون * ولله يسجد ما فى السموات ومافى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء » .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٠ ص ٤٣١) : حدثنا الحكم بن نافع البهرانى ، أخبرنا شعيب ، عن الزهرى ، أخبرنا سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « جعل الله الرحمة فى مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل فى الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢١٠٨) والدارمى (ج ٢ ص ٢٢٩) .

وقال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢١٠٨) : حدثنا محمد بن عبد الله ابن نمير ، حدثنا أبى حدثنا عبد الملك ، عن عطاء ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخّر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » .

عبد الملك هو ابن أبى سليمان وعطاء هو ابن أبى رباح .

قال البخارى رحمه الله (ج ٤ ص ٣٢٠) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا عبيد الله ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فى غزاة فأبطأنى جملى وأعيا فأتى على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « جابر ؟ قلت : نعم قال : ما شأنك ؟ قلت : أبطأ على جملى وأعيا فتخلفت فنزل بحجنة ثم قال اركب فركبته فلقد رأيته أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : تزوجت ؟ قلت : نعم قال : بكرا أم ثيبا ؟ قلت : بل ثيبا . قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ قلت : إن لى أخوات فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن قال : أما إنك قادم فإذا قدمت فالكيس الكيس ثم قال : أتبيع جملك ؟ قلت : نعم . فاشتراه منى بأوقية ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبلى وقدمت بالغداة فجئنا إلى المسجد فوجدته على باب المسجد قال : الآن قدمت ؟ قلت : نعم قال : فدع جملك فادخل فصل ركعتين . فصليت فأمر بلالا أن يزن له أوقية ، فوزن له بلال فأرجح فى الميزان . فانطلقت حتى وليت فقال : ادعوا لى جابرا . فقلت : الآن يرد على الجمل ولم يكن شىء أبغض إلىّ منه . قال : خذ جملك ولك ثمنه » .

أخرجه مسلم (ج ٢ ص ١٠٨٩) ، وأخرجه أيضا (ج ٢ ص ١٢٢١) من حديث الشعبى ، عن جابر وفيه : أن جابرا قال للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : قد أصابته بركتك .

قال البخارى رحمه الله (ج ٥ ص ٣٢٩) : حدثنى عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر قال : أخبرنى الزهرى ، قال : أخبرنى عروة ابن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان ـ يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ـ قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذاهم بقترة الجيش ، فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت

به راحلته فقال الناس : حل حل . فألحت فقالوا خلأت القصواء ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل » . وذكر الحديث .

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ١٨) : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى ، قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « بينما راع فى غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعى فالتفت إليه الذئب فقال : من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى ، وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته فقالت : إنى لم أخلق لهذا ولكنى خلقت للحرث » . فقال الناس : سبحان الله قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فإنى أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما » .

قال الإمام أبو حاتم محمد بن حبان رحمه الله كما فى الموارد (ص ٥١٩) : أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا هدبة بن خالد القيسى ، حدثنا القاسم بن الفضل الحدانى ، حدثنا الجريرى ، حدثنا أبو نضرة ، حدثنا أبو سعيد الخدرى قال : بينا راع يرعى بالحرة إذ عرض ذئب لشاة فجاء الراعى يسعى فانتزعها منه فقال للراعى : ألا تتقى الله ؟ تحول بينى وبين رزق ساقه الله إلىّ . قال الراعى : العجب لذئب يتكلم والذئب مقع على ذنبه يكلمنى بكلام الإنس فقال الذئب للراعى : ألا أحدثك بأعجب من هذا ؟ هذا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق ، فساق الراعى شاءه إلى المدينة فزواها فى زاوية من زواياها ، ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال له ما قال الذئب فخرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال للراعى : « فأخبر الناس ما قال الذئب » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « صدق الراعى ألا إن من

أشراط الساعة كلام السباع الإنس ، والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ويكلم الرجل نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بحدث أهله بعده » .

هذا حديث صحيح .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص ٢٠٤) : حدثنا بهز وعفان ، قالا : حدثنا مهدى ، ثنا محمد بن أبى يعقوب ، عن الحسن بن سعد مولى الحسن ابن على ،عن عبد الله بن جعفر قال : أردفنى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذات يوم خلفه فأسر إلى حديثا لا أخبر به أحدا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحب ما استتر به فى حاجته هدف أو حائش نخل فدخل يوما حائطا من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه ، قال بهز وعفان فلما رأى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم حن وذرفت عيناه فمسح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سراته وذفراه ، فسكن ، « فقال من صاحب الجمل ؟ » فجاء فتى من الأنصار فقال هو لى يا رسول الله فقال : « أما تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملككها الله إنه شكا إلىّ أنك تجيعه وتدئبه » .

وقال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص ٢٠٥) : ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبى ، قال : سمعت محمد بن أبى يعقوب يحدث عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله بن جعفر قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بغلته وأردفنى خلفه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا تبرز كان أحب ما تبرز فيه هدف يستتر به أو حائش نخل ، فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا فيه ناضح له ، فلما رأى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم حن وذرفت عيناه ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فمسح ذفراه وسراته فسكن فقال : « من رب هذا الجمل » ، فجاء شاب من الأنصار فقال : أنا فقال : « ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها فإنه

شكاك إلىّ ، وزعم أنك تجيعه وتدئبه » ، ثم ذهب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الحائط فقضى حاجته ، ثم توضأ ثم جاء والماء يقطر من لحيته على صدره فأسر إلىّ شيئا لا أحدث به أحدا فحرجنا عليه أن يحدثنا ، فقال : لا أفشى على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سره حتى ألقى الله .

هذا حديث صحيح على شرط مسلم وقد أخرج بعضه (ج ١ ص ٢٦٩) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ ص ١٥٨) : ثنا خلف بن خليفة ، عن حفص ، عن عمه أنس بن مالك ، قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه ، وإن الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالوا : إنه كان لنا جمل نسنى عليه وإنه استصعب علينا ومَنعنا ظهره ، وقد عطش الزرع والنخل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأصحابه : « قوموا » ، فقاموا فدخل الحائط والجمل فى ناحية فمشى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم نحوه فقالت الأنصار يا نبى الله إنه قد صار مثل الكَلْبِ الكَلِب وإنا نخاف عليك صولته ، فقال : « ليس على منه بأس » ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله فى العمل ، فقال له أصحابه : يا رسول الله هذه بهيمة لاتعقل تسجد لك ، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال : « لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، والذى نفسى بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنجس بالقيح ، والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه » .

قال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (ج ٦ ص ١٥٥) : وهذا إسناد جيد .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص ٢٠٩) : ثنا وكيع عن يونس يعنى ابن أبى إسحاق ، عن مجاهد ، عن عائشة قالت : « كان لآل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحش فكان إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، اشتد ولعب فى البيت فإذا دخل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سكن ، فلم يتحرك كراهية أن يؤذيه » .

هذا حديث حسن .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ٣٥٠) : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ثور قال حدثنى راشد بن سعد ، عن عبد الله بن لحى ، عن عبد الله بن قرط أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « أعظم الأيام عند الله يوم النحر ، ثم يوم النفر » ، وقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خمس بدنات فطفقن يزدلفن إليه أيتهن يبدأ بها فلما وجبت جنوبها قال كلمة خفيفة لم أفهمها فسألت بعض من يلينى ما قال : قالوا قال « من شاء اقتطع » .

هذا حديث حسن وثور ، هو ابن يزيد .

الحديث أخرجه أبو داود (ج ٥ ص ١٨٤) .

لا يخفى أن هداية الحيوان أمر واسع وقد ذكر الحافظ ابن القيم رحمه الله فى شفاء العليل الكثير الطيب ، ولكنى أحببت أن أقتصر على ما ورد فى كتاب الله أو فى سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وليس معناه أننى أنفى ما لم يرد فى الكتاب والسنة ، ولكنى أقول إن بعضه بالظن والتخمين . والله أعلم .

إخبار الله عن عدم إيمان بعض الكفار
لأنه قد سبق فى علم الله أنهم لا يؤمنون

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ﴾ . وضمير الغائب فى سلكناه يعود إلى القرآن .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يس * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم * تنزيل العزيز الرحيم* لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون * لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم ﴾ .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴾ .

الله هو الذى يفتن وهو الذى يهدى

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فإنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم ﴾ . ومعنى قوله : ﴿ ما أنتم عليه بفاتنين ﴾ ما أنتم عليه بمضلين أى لا يستطيعون إضلال أحد إلا من أراد الله إضلاله .

قال ابن جرير رحمه الله (ج ٢٣ ص ١٠٩) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن خالد ، قال : قلت للحسن قوله : ﴿ ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم ﴾ قال ما أنتم عليه بمضلين إلا من كان فى علم الله أنه سيصلى الجحيم .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ﴾ .

وفى الموطأ (ج ٣ ص ٩٣) عن زياد بن سعد عن عمرو بن دينار أنه قال : سمعت عبد الله بن الزبير يقول فى خطبته : إن الله هو الهادى والفاتن .

هذا الأثر صحيح .

باب ما جاء أن الله يغوى من أراد غوايته

قال الله سبحانه حاكيا لخطاب نوح عليه السلام لقومه : ﴿ ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون ﴾ .

السعادة والشقاوة من الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضآلين ﴾ . والشقوة وإن أضيفت إليهم فهى مقدرة من الله وإنما أضيفت إليهم لكونهم العاملين لها بقدرة الله .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ .

وقال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٧٧) : حدثنا أبو الوليد هشام ابن عبد الملك حدثنا شعبة أنبأنى الأعمش قال : سمعت زيد بن وهب ، عن عبد الله قال : « حدثنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهو الصادق المصدوق قال : إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ، ثم علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقى ، أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح فوالله إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » .

قال آدم : إلا ذراع .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٣٦) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٨ ص ٧٠٩) : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السلمى ، عن على رضى الله عنه قال : كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : « ما منكم من أحد وما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » . قال رجل يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة . قال : « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة » ، ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى ﴾ الآية .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٣٩) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٧٧) : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد ، عن عبيد الله بن أبى بكر بن أنس ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « وكل الله بالرحم ملكا فيقول : أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فإذا أراد أن يقضى خلقها قال : أى رب ذكر أم أنثى ، أشقى أم سعيد ، فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك فى بطن أمه » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٣٨) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص ٤٤١) : ثنا هيثم قال عبد الله ، وسمعته أنا من هيثم ، قال : أنا أبو الربيع ، عن يونس ، عن أبى إدريس ، عن

أبى الدرداء قالوا : يا رسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم أمر نستأنفه قل بل أمر قد فرغ منه قالوا : فكيف بالعمل يا رسول الله ؟ قال : « كل امرئ مهيئ لما خلق له » .

هذا حديث صحيح ورجاله ثقات ، هيثم هو ابن خارجة ، وأبو الربيع هو سليمان بن عتبة السلمى ، ويونس هو ابن ميسرة .

قال أحمد بن عمرو بن أبى عاصم النبيل فى السنة (ج ١ ص ٨١) ثنا أبو مسعود الجحدرى ، ثنا الفضيل بن سليمان ، عن عمر بن سعيد ، حدثنى الزهرى أن ابن أبى هنيدة حدثه ، أن عبد الله بن عمر أخبره ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « يقبض ملك الأرحام الرحم معترضا فيقول : أى رب ذكر أم أنثى ، فيقضى الله تعالى فى ذلك أمره بما شاء ثم يقول : أى رب أشقى أم سعيد ، فيوحى الله فى ذلك، أمره » . ثنا ابن كاسب ، ثنا عبيد الله بن معاذ ، ثنا معمر عن الزهرى ، عن ابن هنيدة ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إذا خلق الله تعالى النسمة قال ملك الأرحام معترضا : أى رب أذكر أم أنثى ، فيقضى الله فى ذلك أمره ويقول : أشقى أم سعيد ، فيقضى فى ذلك أمره » . ثنا ابن أبى عمر ، ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ومعمر ، عن الزهرى ، عن ابن هنيدة سمعت ابن عمر نحوه ، ثنا سلمة ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن ابن هنيدة ، عن ابن عمر نحوه .

الحديث يدور على ابن هنيدة وهو عبد الرحمن بن هنيدة ويقال : ابن أبى هنيدة وثقه أبو داود ، وأبو زرعة كما فى تهذيب التهذيب .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص ١٠٧) : ثنا سريج و عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ،

وإنه لمكتوب فى الكتاب من أهل النار ، فإذا أقبل موته تحول فعمل بعمل أهل النار فمات فدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه لمكتوب فى الكتاب من أهل الجنة فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل الجنة فدخلها » .

وقال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص ١٠٨) : ثنا سريج ثنا ابن أبى الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : يا ابن أختى قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « والذى نفسى بيده إن الرجل ليعمل الزمان بعمل أهل النار ، وإنه عند الله عز وجل لمكتوب من أهل الجنة ، وإن الرجل ليعمل الزمان بعمل أهل الجنة ، وإنه عند الله عز وجل لمكتوب من أهل النار » .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٩١) : حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا يزيد الرشك قال : سمعت مطرف بن عبد الله بن الشخير يحدث عن عمران بن حصين قال : قال رجل يا رسول الله أيعرف أهل الجنة ، من أهل النار قال : « نعم » ، قال فلم يعمل العاملون قال : « كل يعمل لما خلق له – أو – لما يسر له » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٤١) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ١٧٦) : ثنا عبد الصمد ، ثنا حماد يعنى ابن سلمة ، ثنا الجريرى ، عن أبى نضرة أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقال له أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يعودونه ، وهو يبكى فقالوا له : ما يبكيك ، ألم يقل لك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، « خذ من شاربك ، ثم أقره حتى تلقانى » ، قال : بلى ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن الله عز وجل قبض

بيمينه قبضة ، وأخرى باليد الأخرى ، وقال : هذه لهذه ، وهذه لهذه ولا أبالى » فلا أدرى فى أى القبضتين أنا .

حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، قال أخبرنا سعيد الجريرى ، عن أبى نضرة قال : « مرض رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فدخل عليه أصحابه يعودونه ، فبكى فقيل له ما يبكيك يا أبا عبد الله ، ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقانى » ، قال بلى ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن الله عز وجل قبض قبضة بيمينه وقال هذه لهذه ، ولا أبالى ، وقبض قبضة أخرى بيده فقال هذه لهذه ، ولا أبالى » فلا أدرى فى أى القبضتين أنا .

هذا حديث صحيح ، وسعيد بن إياس الجريرى ، وإن اختلط فى آخره فإن حماد بن سلمة سمع منه قبل الاختلاط كما فى الكواكب النيرات .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٥٠) : حدثنى زهير بن حرب ، حدثنا جرير ، عن العلاء بن المسيب ، عن فضيل بن عمرو ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : توفى صبى فقلت : طوبى له عصفور من عصافير الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أو لا تدرين أن الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا » .

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا وكيع ، عن طلحة بن يحيى ، عن عمته عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : دعى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى جنازة صبى من الأنصار فقلت : يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ، ولم يدركه قال : « أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلا ، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم » .

حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا إسماعيل بن زكرياء ، عن طلحة بن يحيى .

(ح) ، وحدثنى سليمان بن معبد ، حدثنا الحسين بن حفص .

(ح) وحدثنى إسحاق بن منصور ، أخبرنا محمد بن يوسف كلاهما ، عن سفيان الثورى ، عن طلحة بن يحيى بإسناد وكيع نحو حديثه .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٣٧) : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ، وزهير بن حرب ، واللفظ لابن نمير قالا : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبى الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر فى الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول : يا رب أشقى أو سعيد فيكتبان فيقول : أى رب أذكر أو أنثى ، فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ، ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص » .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٤٢) : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز ، يعنى ابن محمد ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ، ثم يختم له عمله بعمل أهل النار . وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ، ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة » .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦٦ ص ٤٤١) ثنا هيثم ، قال عبد الله ، وسمعته أنا منه ، قال ثنا أبو الربيع ، عن يونس ، عن أبى إدريس ، عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء ، كأنهم الذر ، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء ، كأنهم الحمم فقال للذى فى يمينه إلى الجنة ولا أبالى ، وقال للذى فى كفه اليسرى إلى النار ولا أبالى » .

هذا حديث صحيح ورجاله ثقات . الهيثم هو ابن خارجة . وأبو الربيع هو سليمان بن عتبة ، ويونس هو ابن ميسرة .

قال الإمام البزار رحمه الله كما فى كشف الأستار (ج ٣ ص ٢٣) : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبد الرحمن بن المبارك ، ثنا حماد عن هشام ، عن محمد ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « الشقى من شقى فى بطن أمه ، والسعيد من سعد فى بطنها » . قال البزار لا نعلم رواه عن هشام إلا حماد ، ولا عنه إلا عبد الرحمن .

هذا حديث صحيح . رجاله رجال الصحيح . وحماد هو ابن زيد .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص ٢٢٤) : ثنا زيد بن الحباب ، ثنا معاوية بن صالح ، حدثنى عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عمرو ابن الحمق الخزاعى ، أنه سمع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إذا أراد الله بعبده خيرا استعمله » قيل : ما استعمله ؟ قال : « يفتح له عمل صالح بين يدى موته حتى يرضى عنه من حوله » .

هذا حديث حسن .

ورواه البزار كما فى كشف الأستار (ج ٣ ص ٢٥) فقال حدثنا بشر ابن آدم ، ثنا زيد بن الحباب به ، ولفظه عند البزار « إذا أراد الله بعبد خيرا عَسله »[1] قالوا : يا رسول الله وما عَسله قال « يوفقه لعمل صالح ثم قبضه عليه » .

---

(١) العسل بالعين المهملة ، قال ابن الأثير فى النهاية : العَسْل طيب الثناء مأخوذ من العسل يقال : عسل الطعام يعسله ، إذا جعل فيه العسل شبه ما رزقه الله من العمل الصالح الذى طاب به ذكره بين قومه بالعسل الذى يجعل فى الطعام فيحلولى به ويطيب ا هـ .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٩٩) : حدثنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا أبو غسان ، حدثنى أبو حازم عن سهل بن سعد ، أن رجلا من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين ، فى غزوة غزاها مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فنظر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا » ، فاتبعه رجل من القوم وهو علىّ تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح فاستعجل الموت فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه ، حتى خرج من بين كتفيه فأقبل الرجل إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم مسرعا فقال : أشهد أنك رسول الله فقال : « وما ذاك » ، قال قلت لفلان من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين فعرفت أنه لا يموت على ذلك فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه . فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند ذلك : « إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم » .

فى الإرادة

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما * يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى حكاية عن الرجل الصالح : ﴿ أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدى من يريد ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال ﴾ .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ ص ٤٧٧) : ثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن كرز بن علقمة الخزاعى قال : قال رجل يا رسول الله هل للإسلام من منتهى قال : « أيما أهل بيت » وقال فى موضع آخر قال : « نعم ، أيما أهل بيت من العرب ، أو العجم أراد الله بهم خيرا أدخل عليهم الإسلام » قال ثم مه ؟ قال : « ثم تقع الفتن كأنها الظلل » ، قال : كلا والله إن شاء الله ، قال : « بلى والذى نفسى بيده ثم تعودن فيها أساود صبا » . قال سفيان احية السوداء تنصب أى ترتفع . ثنا عبد الرزاق قال : ثنا معمر ، عن الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن كرز بن علقمة الخزاعى ، قال : قال أعرابى : يا رسول الله هل للإسلام من منتهى ، قال : « نعم أيما أهل بيت من العرب ، أو العجم أراد الله عز جل بهم خيرا أدخل عليهم الإسلام » قال : ثم ماذا يا رسول الله ، قال : « ثم تقع فتن كأنها الظلل » ، فقال الأعرابى كلا يا رسول الله قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « بلى والذى نفسى بيده لتعودن فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح ، وهو من الأحاديث التى ألزم الدارقطنى البخارى ومسلما أن يخرجاها .

قال ابن القيم رحمه الله فى كتابه شفاء العليل (ص ٣٢) : لفظ الإرادة فى كتاب الله نوعان .

إرادة كونية شاملة لجميع المخلوقات كقوله تعالى : ﴿ فعال لما يريد ﴾ ، وقوله : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية ﴾ ، وقوله : ﴿ إن كان الله يريد أن يغويكم ﴾ ونظائر ذلك .

وإرادة دينية آمرية لا يجب وقوع مرادها كقوله : ﴿ يريد الله بكم اليسر ﴾ ،

وقوله : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ﴾ . إلى أن قال والإذن أيضا نوعان ؛ كونى كقوله : ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ .

ودينى أمرى كقوله : ﴿ آلله أذن لكم ﴾ وقوله : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ .

الكتـــابة

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى حاكيا عن دعاء موسى عليه السلام : ﴿ واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز * لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن

ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما من غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إنا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين ﴾ .

قال الإمام الطبرى رحمه الله (ج ٢٢ ص ١٥٥) : حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ﴿ فى إمام مبين ﴾ قال فى أم الكتاب .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾ .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون * إن فى هذا لبلاغا لقوم عابدين ﴾ .

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله فى كتابه شفاء العليل (ص ٣٩) : فالزبور هنا : جميع الكتب المنزلة من السماء لا تختص بزبور داود ، والذكر : أم الكتاب الذى عند الله ، والأرض الدنيا ، وعباده الصالحون : أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، هذا أصح الأقوال فى هذه الآية وهى علم من أعلام نبوة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإنه أخبر بذلك بمكة وأهل الأرض كلهم كفار أعداء له ولأصحابه ، والمشركون قد أخرجوهم من ديارهم ومساكنهم وشتتوهم فى أطراف الأرض ، فأخبرهم ربهم تبارك وتعالى أنه كتب فى الذكر الأول أنهم يرثون الأرض من الكفار ثم كتب ذلك فى الكتب التى أنزلها على رسله والكتاب قد أطلق عليه الذكر فى قول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الحديث المتفق على صحته ، « كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شيء » فهذا هو الذكر الذى كتب فيه أن الدنيا تصير لأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم والكتب المنزلة قد أطلق عليها الزبر فى قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون * بالبينات والزبر ﴾ أى أرسلناهم بالآيات الواضحات والكتب التى فيها الهدى والنور والذكر ههنا الكتابان اللذان أنزلا قبل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهما التوراة والإنجيل والذكر فى قوله : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ ، هو القرآن ففى هذه الآية علمه بما كان قبل كونه وكتابته له بعد علمه .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٥١٤) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى ، أخبرنا النضر ، حدثنا داود بن أبى الفرات ، عن عبد الله بن بريدة ، عن يحيى بن يعمر ، أن عائشة رضى الله عنها أخبرته أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : عن الطاعون فقال : « كان عذابا يبعثه الله على من يشاء فجعله الله رحمة للمؤمنين ما من عبد يكون فى بلد يكون فيه ويمكث فيه لا يخرج من البلد صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله إلا كان له مثل أجر شهيد » .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص ١٩٧) : ثنا زيد بن يحيى ، ثنا خالد بن صبيح المرى قاضى البلقاء ، ثنا إسماعيل بن عبيد الله ، أنه سمع أم الدرداء تحدث عن أبى الدرداء قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « فرغ الله إلى كل عبد من خمس ؛ من أجله ، ورزقه ، وأثره ، وشقى ، وسعيد » .

هذا حديث صحيح رجاله كلهم ثقات . وخالد بن صبيح : هو خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح ، ترجمته فى تهذيب التهذيب .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٥٠٢) : حدثنى محمود بن غيلان ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العينين النظر ، وزنا اللسان المنطق ، والنفس تمنى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه » . وقال شبابة حدثنا ورقاء ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٤٦) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٤٤) : حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنى أبو هانئ الخولانى ، عن أبى عبد الرحمن الحبلى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » ، قال : « وعرشه على الماء » .

حدثنا ابن أبى عمر ، حدثنا المقرئ ، حدثنا حيوة .

(ح) وحدثنى محمد بن سهل التميمى ، حدثنا ابن أبى مريم ، أخبرنا نافع

يعنى : ابن يزيد كلاهما عن أبى هانئ بهذا الإسناد مثله غير أنهما لم يذكرا ، « وعرشه على الماء » .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١ ص ٤٠٠) : حدثنا على بن عبد الله ، قال : حدثنا سفيان ، قال : سمعت عبد الرحمن بن القاسم ، قال : سمعت القاسم يقول سمعت عائشة تقول : خرجنا لا نرى إلا الحج فلما كنا بسرف حضت فدخل على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأنا أبكى قال : « مالك أنفست » قلت : نعم ، قال : « إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم ، فاقضى ما يقضى الحاج غير ألا تطوفى بالبيت » ، قالت وضحى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن نسائه بالبقر .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٥٢٢) : حدثنى محمد ابن أبى غالب ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا معتمر سمعت أبى يقول : حدثنا قتادة ، أن أبا رافع حدثه ، أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتى سبقت غضبى ، فهو مكتوب عنده فوق العرش » .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٤٠٣) : حدثنا عبدان ، عن أبى حمزة ، عن الأعمش ، عن جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران ابن حصين قال : إنى عند النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، إذ جاء قوم من بنى تميم فقال : « اقبلوا البشرى يا بنى تميم » ، قالوا : بشرتنا فأعطنا فدخل ناس من أهل اليمن ، فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » ، قالوا : قبلنا جئناك لنتفقه فى الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ، قال : « كان الله و لم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض وكتب فى الذكر كل شيء » ، ثم أتانى رجل فقال : يا عمران بن

حصين أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فإذا السراب يقطع دونها وأيم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٤٠٤) : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتى سبقت غضبى » .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٧٧) : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد ، عن عبيد الله بن أبى بكر بن أنس ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « وكل الله بالرحم ملكا فيقول : أى رب نطفة ، أى رب علقة ، أى رب مضغة ، فإذا أراد أن يقضى خلقها قال : أى رب ذكر أم أنثى أشقى أم سعيد ، فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك فى بطن أمه » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٣٨) .

وقال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٧٧) : حدثنا أبو الوليد هشام ابن عبد الملك ،حدثنا شعبة ، أنبأنى الأعمش قال : سمعت زيد بن وهب ، عن عبد الله قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهو الصادق المصدوق قال : « إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ، ثم علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع ؛ برزقه ، وأجله ، وشقى ، أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فوالله إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » . قال آدم : إلا ذراع .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٣٦) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٨ ص ٧٠٩) : حدثنا عثمان بن أبى شيبة . حدثنا جرير ، عن منصور ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السلمى ، عن على رضى الله عنه قال : كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : « ما منكم من أحد وما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » ، قال رجل : يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ، ومن كان منامن أهل الشقاءفسيصير إلى عمل أهل الشقاوة قال : « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة » ، ثم قرأ :﴿ فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى ﴾ الآية .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٣٩) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص ٥٩) : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، ثنا منصور بن سعد ، عن بديل ، عن عبد الله بن شقيق ، عن ميسرة الفجر قال : قلت يا رسول الله متى كتبت نبيا قال : « وآدم عليه السلام بين الروح والجسد » .

وقال ابن أبى عاصم فى السنة (ج ١ ص ١٧٩) : ثنا هدبة بن خالد ، ثنا حماد بن سلمة ، عن خالد الحذاء ، عن عبد الله بن شقيق ، عن رجل قال : قلت : يا رسول الله متى بعثت نبيا قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

هذا حديث صحيح ، والمبهم فى حديث خالد الحذاء ، هو المبين فى حديث بديل ، وهو ابن ميسرة إذ مخرج الحديث واحد ، وهو عبد الله بن شقيق . والله أعلم .

قال الترمذى رحمه الله (ج ٦ ص ٣٥٠) : حدثنا قتيبة بن سعيد أخبرنا الليث ، عن أبى قبيل ، عن شفى بن ماتع ، عن عبد الله بن عمرو قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفى يده كتابان فقال : « أتدرون ما هذان الكتابان » ، فقلنا لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا فقال للذى فى يده اليمنى : « هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء أبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا » ، ثم قال للذى فى شماله : « هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا » ، فقال أصحابه ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه قال : « سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أى عمل ، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل » ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بيديه فنبذهما ثم قال ، « فرغ ربكم من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير » . حدثنا قتيبة أخبرنا بكر بن مصر عن أبى قبيل نحوه .

هذا حديث حسن صحيح غريب . وأبو قبيل اسمه : حيى بن هانئ .

قال أبو عبد الرحمن هذا حديث حسن .

قال الإمام أبو يعلى الموصلى رحمه الله فى المسند (ج ٤ ص ٢١٧) : حدثنا أحمد بن جميل المروزى ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا رباح بن زيد ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إن أول شيء خلقه الله القلم وأمره فكتب كل شيء » .

هذا حديث صحيح ، رجاله كلهم ثقات ، وأحمد بن جميل المروزى فقد قال أبو حاتم ، صدوق ، وقال ابن معين ليس به بأس ، ومعنى ليس به بأس

عند ابن معين ثقة كما فى مقدمة ابن الصلاح (ص ١١١) لكن أحمد بن جميل ، سمع من ابن المبارك وهو صغير كان يقول : كنت أسمع منه وأنا أنظر إلى العصافير . ا هـ من تعجيل المنفعة .

وقد تابع أحمد بن جميل عليه نعيم بن حماد الخزاعى ، عند عثمان بن سعيد الدارمى (ص ١٢١) ، وعند ابن جرير (ج ٢٩ ص ١٦) ، وتابعهما على ابن الحسن بن شقيق عند الطبرى فى التفسير أيضا ، ونعيم بن حماد فيه كلام أيضا ، ولكنه متابع ، وتابعهم أيضا يعمر بن بشر عند ابن أبى عاصم (ج ١ ص ٥٠) وقد ترجمه ابن أبى حاتم ، فقال روى عن المبارك ، وروى عنه أحمد بن سنان الواسطى ، وحجاج بن حمزة وغيرهما . ولم يذكر ابن أبى حاتم فيه جرحا ولا تعديلا ، فهو مستور الحال يصلح فى الشواهد والمتابعات . وأما قول الشيخ ناصر الدين الألبانى حفظه الله فى تخريج السنة لابن أبى عاصم ، إن يعمر بن بشر تابعه الإمام أحمد فأظنه واهما ، وأظنه توهم أحمد بن جميل أحمد بن حنبل ، واغتر بما فى الأسماء والصفات للبيهقى من التصحيف . والله أعلم .

هذا ما كنت قررت من صحة حديث ابن عباس ثم ظهر أن رفع الحديث شاذ كما ستراه إن شاء الله .

قال عبد الله فى السنة (ص ١٣١) : حدثنى أبى حدثنا ، جرير ، عن عطاء ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم ، ثم قال له : اكتب ، قال : ما أكتب ، قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة .

عطاء بن السائب . مختلط ، وجرير بن عبد الحميد سمع منه بعد الاختلاط ، ولكن الوقف له طرق عن ابن عباس رضى الله عنه .

قال عبد الله بن أحمد فى السنة (ص ١٣١) : حدثنى أبى ، حدثنا هشيم ، أنا منصور يعنى بن زاذان ، عن الحكم بن عتيبة ، عن أبى ظبيان ، عن ابن

عباس قال : أول ما خلق الله القلم قال فأمره يكتب ما هو كائن ، قال فكتب فيما كتب : ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ .

هذا الأثر صحيح . وأبو ظبيان : اسمه حصين بن جندب .

قال ابن جرير رحمه الله (ج ٢٦ ص ١٦) : حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى هاشم ، عن مجاهد ، قال : قلت لابن عباس ، أن ناسا يكذبون بالقدر فقال إنهم يكذبون بكتاب الله لآخذن بشعر أحدهم فلا يقص به إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا ، فكان أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة فإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه .

هذا الأثر صحيح . وأبو هاشم : هو الرمانى .

قال ابن جرير : حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو هاشم ، أنه سمع مجاهدا قال : سمعت عبد الله لا ندرى ابن عمر أو ابن عباس ، قال : إن أول ما خلق الله القلم فجرى القلم بما هو كائن وإنما يعمل الناس اليوم فيما قد فرغ منه .

هذا الأثر صحيح ، ولا يضر التردد ههنا ، فهو من طريق سفيان ، وهو الثورى مجزوم به أنه ابن عباس فلا يضر التردد من طريق شعبة ، فسفيان أرجح من شعبة كما هو معلوم من ترجمتيهما ومن قول شعبة سفيان أحفظ منى .

قال عبد الله بن أحمد فى السنة (٣٦) : حدثنا أبى ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن هشام يعنى الدستوائى حدثنى القاسم بن أبى بزة ، حدثنى عروة ابن عامر سمعت ابن عباس يقول : إن أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما يريده أن يخلق فالكتاب عنده ثم قرأ : ﴿ وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ﴾ . سنده صالح فى الشواهد ، عروة بن عامر مختلف فى صحبته وذكره ابن حبان فى الثقات وقد روى عنه جماعة ، وهذا الأثر سنده إلى القاسم بن أبى بزة أصح من سند المرفوع .

وقد قال أبو نعيم فى الحلية (ج ٨ ص ١٨١) بعد أن ساقه من طريق ابن المبارك وأحمد بن جميل المروزى : كلاهما يرويانه عن رباح بن زيد به مرفوعا .

قال أبو نعيم : لم يروه عن سعيد إلا القاسم ، ولا عنه إلا عمر تفرد به رباح ، ورواه عن ابن عباس جماعة منهم ؛ أبو ظبيان ، وأبو إسحاق ، ومقسم ، ومجاهد ، منهم من رفعه ، ومنهم من وقفه ، ورواه عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم مرفوعا متصلا عبادة بن الصامت وابن عمر . ا هـ .

قلت : لم أجد الرفع عن ابن عباس ، إلا من طريق رباح بن زيد به .

هذا وإذا كان الحديث لم يصح مرفوعا من حديث ابن عباس فقد صح من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص ٣١٧) : ثنا أبو العلاء الحسن بن سوار ، ثنا ليث ، عن معاوية ، عن أيوب بن زياد ، حدثنى عبادة بن الوليد ابن عبادة ، حدثنى أبى قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت : يا أبتاه أوصنى واجتهد لى فقال أجلسونى . قال : يا بنى إنك لن تطعم طعم الإيمان ، ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : قلت يا أبتاه فكيف لى أن أعلم ما خير القدر وشره ، قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يا بنى : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم ، ثم قال اكتب فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » ، يا بنى إن مت ولست على ذلك دخلت النار .

الليث : هو ابن سعد ، ومعاوية هو : ابن صالح ، والحديث فى سنده أيوب ابن زياد ، ترجمته فى تعجيل المنفعة روى عنه جماعة ، ولم يوثقه معتبر فهو صالح فى الشواهد والمتابعات .

طريق أخرى .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص ٣١٧) : ثنا موسى بن داود ، ثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، أن الوليد بن عبادة ، قال : أوصانى أبى رحمه الله تعالى فقال : يا بنى أوصيك أن تؤمن بالقدر خيره وشره ، فإنك إن لم تؤمن أدخلك الله تبارك وتعالى النار قال : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم ، ثم قال له : اكتب ، قال : وما أكتب ، قال : فاكتب ما يكون ، وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة » .

عبد الله بن لهيعة مختلط ، ولكنه فى المتابعات كما ترى .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد بن عمرو بن أبى عاصم رحمه الله فى السنة (ج ١ ص ٤٨) ، ثنا محمد بن مصفى ، ثنا بقية بن الوليد ، عن معاوية بن سعيد ، قال : حدثنى عبد الله بن السائب ، عن عطاء بن أبى رباح ، قال : سألت الوليد بن عبادة ، كيف كانت وصية أبيك حين حضرته الوفاة ، قال : أى بنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « أول ما خلق الله تعالى القلم ، فقال : اكتب ، قال وما أكتب . يا رب : قال : اكتب القدر ، قال : فجرى القلم فى تلك الساعة بما كان بما هو كائن إلى الأبد » .

الحديث فى سنده بقية وهو مختلف فيه ، والراجح عندى أنه لا يحتج به ، وفى سنده معاوية بن سعيد ، روى عنه جماعة ، ولم يوثقه معتبر ولكن الطريق هذه فى المتابعات ، فبقية ومعاوية بن سعيد يصلحان فى الشواهد والمتابعات .

فالحديث صحيح بمجموع طرقه والله أعلم .

وأما حديث ابن عمر الذى أشار إليه أبو نعيم فقد تركته لأمرين ؛

الأول : أنه من طريق بقية كما فى السنة لابن أبى عاصم (– ص ٤٩) .

الثانى : أن فى الشريعة للآجرى (ص ١٧٥) أن مجاهدا الراوى له ، عن ابن عمر كما فى السنة لم يسمعه من ابن عمر ، بل فى الشريعة ، عن مجاهد ابن جبر أنه بلغه عن ابن عمر . فعلم ضعف الحديث والحمد لله .

حرمة مكة القدرية الشرعية

قال البخارى رحمه الله (ج ٤ ص ٤١٨) طبعة حلبية : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جرير عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم افتتح مكة : « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا ، فإن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لا يحل القتال فيه لأحد قبلى ، ولم يحل لى إلَّا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه » ، قال العباس : يا رسول الله إلَّا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم قال : « إلا الإذخر » .

قال الحافظ فى الفتح (ج ٤ ص ٤١٤) فى شرحه لحديث أبى شريح بعد إشارته إلى حديث ابن عباس ولا معارضة بين هذا وبين قوله الآتى فى الجهاد وغيره من حديث أنس أن إبراهيم حرم مكة لأن المعنى أن إبراهيم جرم مكة بأمر الله تعالى لا باجتهاده أو أن الله قضى يوم خلق السموات والأرض أن إبراهيم سيحرم مكة ، أو المعنى أن إبراهيم أول من أظهر تحريمها بين الناس وكانت قبل ذلك عند الله حراما أو أول من أظهره بعد الطوفان . ا هـ . المراد من الفتح .

المصائب من عند الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا

هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا * ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ . وقوله فمن نفسك : أى بسبب ذنبك وهى مقدرة عليك .

قال ابن جرير رحمه الله (ج ٨ ص ٥٥٩) : حدثنى يونس ، قال حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله : ﴿ وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ قال : بذنبك وأنا قدرتها عليك . حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ وأنا الذى قدرتها عليك . حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنيه إسماعيل بن أبى خالد بمثله .

هذا الأثر صحيح . وأبو صالح : هو ذكوان .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾ .

قال الإمام الترمذى رحمه الله (ج ٧ ص ٢١٩) : حدثنا أحمد بن محمد ابن موسى ،أخبرنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا الليث بن سعد . وابن لهيعة ، عن قيس بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ، أخبرنا أبو الوليد ، أخبرنا ليث بن سعد ، حدثنى قيس بن الحجاج المعنى واحد ، عن حنش الصنعانى ، عن ابن عباس قال : كنت خلف النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوما فقال : « يا غلام إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله

واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

هذا حديث حسن صحيح .

قال أبو عبد الرحمن : قيس بن الحجاج لم أجد فيه توثيقا معتبرا إلا قول أبى حاتم وهذا لا يرفع الحديث إلى الحسن ، لكنه قد جاء الحديث من طرق ، عن ابن عباس كما فى جامع العلوم والحكم لابن رجب رحمه الله .

قال أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص ٤٦٦) : حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا سفيان عن أبى سنان ، عن وهب بن خالد الحمصى ، عن ابن الديلمى قال : أتيت أبى بن كعب فقلت له وقع فى نفسى شيء من القدر فحدثنى بشيء لعل الله تعالى أن يذهبه من قلبى فقال : لو أن الله تعالى عذب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهبا فى سبيل الله تعالى ما قبله الله تعالى منك ، حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن لصيبك ، ولو مت على غير هذا لدخلت النار . قال ثم أتيت ابن مسعود فقال مثل ذلك . قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك . قال ثم أتيت زيد بن ثابت ، فحدثنى عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم مثل ذلك .

هذا حديث حسن . وأبو سنان هو : سعيد بن سنان ، مختلف فيه والذى يظهر لى أن حديثه لا ينزل عن الحسن والله أعلم .

وقال الإمام أبو عبد الله بن ماجة رحمه الله (ج ١ ص ٢٩) : حدثنا على بن محمد ، ثنا اسحاق بن سليمان قال سمعت أبا سنان عن وهب بن خالد الحمصى ، عن ابن الديلمى قال : وقع فى نفسى شيء من هذا القدر

خشيت أن يفسد على دينى وأمرى ، فأتيت أبى بن كعب فقلت : أبا المنذر إنه وقع فى نفسى شيء من هذا القدر فخشيت على دينى وأمرى فحدثنى من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعنى به فقال : لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ، ولو كان لك مثل جبل أحد ذهبا أو مثل جبل أحد تنفقه فى سبيل الله ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار . ولا عليك أن تأتى أخى عبد الله بن مسعود ، فتسأله فأتيت عبد الله فسألته فذكر مثل ما قال أبى ، وقال لى ولا عليك أن تأتى حذيفة ، فأتيت حذيفة فسألته فقال مثل ما قال ، وقال ائت زيد بن ثابت ، فاسأله فأتيت زيد بن ثابت فسألته ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ، ولو كان لك مثل أحد ذهبا أو مثل جبل أحد ذهبا تنفقه فى سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وإنك إن مت على غير ذلك دخلت النار .

قال الإمام أحمد بن عمرو بن أبى عاصم رحمهم الله (ج ١ ص ١١٠) : ثنا أبى ، ثنا أبى ، ثنا شبيب قال : سمعت أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه » .

هذا حديث حسن . وشبيب هو : ابن بشر ، وثقه ابن معين ، وقال لم يرو عنه غير ابن أبى عاصم وقال أبو حاتم لين الحديث ، حديثه حديث الشيوخ . ا هـ من تهذيب التهذيب .

لا عـــدوى

قال البخارى رحمه الله (ج ١٠ ص ٢٤١) : حدثنى عبد الله بن محمد ، حدثنا هشام بن يوسف ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا عدوى ولا صفر ولا هامة » ، فقال أعرابى : يا رسول الله فما بال الإبل تكون فى الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فمن أعدى الأول » .

وعن أبى سلمة سمع أبا هريرة بعد يقول : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا يوردن ممرض على مصح » . وأنكر أبو هريرة حديث الأول فقلنا ألم تحدث أنه لا عدوى فرطن بالحبشية . قال أبو سلمة فما رأيته نسى حديثا غيره .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٧٤٣) : .

قال الحافظ فى الفتح ، وهذا الذى قاله أبو سلمة ظاهر فى أنه كان يعتقد (أى أبو هريرة) وقد تقدم وجه الجمع بينهما فى باب الجذام ، أن قوله لا عدوى نهى عن اعتقادها ، وقوله لا يورد سبب النهى عن الإيراد خشية الوقوع فى اعتقاد العدوى أو خشية تأثير الأوهام ، كما تقدم نظيره فى حديث فرمن المجذوم ؛ لأن الذى لا يعتقد أن الجذام يعدى يجد فى قلبه نفرة حتى لو أكرهها على القرب منه لتألمت بذلك . فالأولى للعاقل أن لا يتعرض لمثل ذلك بل يباعد أسباب الآلام ويجانب طرق الأوهام . والله أعلم .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٠ ص ٢٤٣) : حدثنا سعيد بن عفير قال حدثنا ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : أخبرنى سالم بن عبد الله وحمزة أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا عدوى ولا طيرة إنما الشؤم فى ثلاث فى الفرس والمرأة والدار » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٧٤٧) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١٠ ص ٢٤٤) : حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال : سمعت قتادة ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفال » ، قالوا : وما الفال ؟ قال : « كلمة طيبة » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٧٤٦) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٧٤٤) : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر .

(ح) وحدثنا يحيى بن يحيى ، أخبرنا أبو خيثمة ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا عدوى ولا طيرة ولا غول » . وحدثنى عبد الله بن هاشم بن حيان ، حدثنا بهز ، حدثنا يزيد وهو الدسترى ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا عدوى ولا غول ولا صفر » . وحدثنى محمد ابن حاتم ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا ابن جريج ، أخبرنى أبو الزبير أنه سمع ابن عبد الله يقول : سمعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « لا عدوى ولا صفر ولا غول » . وسمعت أبا الزبير يذكر أن جابرا فسر لهم قوله : « ولا صفر » ، فقال أبو الزبير : الصفر : البطن فقيل لجابر كيف ؟ قال : كان يقال دواب البطن . قال ولم يفسر الغول قال أبو الزبير : هذه الغول التى تغوّل .

قال ابن أبى عاصم فى السنة (ج ١ ص ١١٩) : حدثنا ابن مصطفى ، ثنا بقية ، عن الزبيدى ، عن الزهرى ، عن السائب بن يزيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا عدوى ولا طيرة » . ثنا عمرو بن عثمان ، ثنا بشر بن شعيب ، عن أبيه ، عن الزهرى ، عن السائب بن يزيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا عدوى ولا صفر ولا هامة » .

هذا حديث صحيح وقد أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٧٤٣) : فقال : وحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، أخبرنا أبو اليمان ، عن شعيب به .

لا يسلط أحد على أحد إلَّا بإذن الله

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ١٠١) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهرى ، أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن أبا سعيد قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما يحدثنا به أنه قال : « يأتى الدجال ، وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ، فينزل بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس ، أو من خيار الناس فيقول : أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حديثه فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييه هل تشكون فى الأمر فيقولون : لا ، فيقتله ثم يحييه ، فيقول والله ما كنت فيك أشد بصيرة منى اليوم فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٢٥٦) .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٥١٣) : حدثنا على بن حفص وبشر ابن محمد قالا أخبرنا عبد الله ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لابن صياد : « خبأت لك خبيئا » ، قال : الدخ ، قال : « اخسأ فلن تعدو قدرك » ، قال عمر : ائذن لى فأضرب عنقه قال : « دعه » إن يكن هو فلا تطيقه وإن لم يكن هو فلا خير لك فى قتله » .

قال البخارى (ج ٦ ص ٩٦) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهرى قال حدثنى سنان بن أبى سنان الدؤلى وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أخبره أنه غزا مع رسول الله صلى الله

عليه وعلى آله وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قفل معه ، فأدركتهم القائلة فى واد كثير العضاة فنزل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعونا وإذا عنده أعرابى فقال : « إن هذا اخترط على سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى ؟ فقلت الله ثلاث ، ولم يعاقبه وجلس » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص ٥٧٦ و ج ٤ ص ١٧٨٦) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٣٨٨) : حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن محمد ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات :

ثنتين منهن فى ذات الله عز وجل قوله : إنى سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا .

وقال : بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له ، إن ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء فأرسل إليه فسأله عنها فقال : من هذه ؟ قال : أختى فأتى سارة قال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك وإن هذا سألنى عنك فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى فأرسل إليها ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده ، فأخذ فقال : ادعى الله لى ولا أضرك فدعت فأطلق ، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد ، فقال : ادعى الله لى ولا أضرك فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته فقال : إنكم لم تأتونى بإنسان إنما أتيتمونى بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلى ، فأومأ بيده مهيم قالت : رد الله كيد الكافر فى نحره وأخدم هاجر .

قال أبو هريرة تلك أمكم يا بنى ماء السماء » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٨٤٠) .

قال الحافظ : وقد أورده المصنف من وجهين ، عن أيوب وساقه على لفظ حماد بن زيد ، عن أيوب ولم يقع التصريح برفعه فى روايته ، وقد رواه فى النكاح عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد فصرح برفعه لكن لم يسق لفظه ، ولم يقع رفعه هنا فى رواية النسفى ولا كريمة وهو المعتمد فى رواية حماد بن زيد ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر غير مرفوع .

والحديث فى الأصل مرفوع كما فى رواية جرير بن حازم ، وكما فى رواية هشام بن حسان ، عن ابن سيرين عند النسائى والبزار وابن حبان ، وكذا تقدم فى البيوع من رواية الأعرج ، عن أبى هريرة مرفوعًا ، ولكن ابن سيرين غالبا لا يصرح برفع كثير من حديثه .

لا يكون شىء فى الكون إلا بإذن الله

قال الله سبحانه وتعالى فى وصف عيسى عليه السلام : ﴿ ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى ممتنا على عيسى عليه السلام : ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى وتبرئ الأكمة والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤف رحيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى فى شأن السحر : ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم ﴾ .

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله (ج ٤ ص ١٧٢٩) : حدثنا هارون بن معروف وأبو الطاهر وأحمد بن عيسى قالوا : حدثنا ابن وهب ، أخبرنى عمرو وهو : ابن الحارث عن عبد ربه بن سعيد ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل » .

لا حول ولا قوة إلا بالله

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٥٠٠) : حدثنى محمد بن مقاتل أبو الحسن ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا خالد الحذاء ، عن أبى عثمان النهدى ، عن أبى موسى الأشعرى ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى غزاة فجعلنا لا نصعد شرفا ولا نعلو شرفا ولا نهبط فى واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير قال : فدنا منا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ، ولا غائبا إنما تدعون سميعا بصيرا » ، ثم قال : « يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة هى من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٧٦) .

الشاهد فى الحديث قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « لا حول ولا قوة إلا بالله » فإنها تفيد نفى الحول والقوة عن العبد إلا بالله .

لا يكون شيء فى الكون إلا بتسخير الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون * وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون * وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكن الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ .

إذا علمت أن الله هو المسخر ، اعتمدت عليه وحده ولا بأس بالأخذ بالأسباب غير معتمد عليها ، فإن الاعتماد على السبب شرك وترك السبب قدح فى الشريعة .

لا يكون شيء فى الكون إلا بتدبير الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ .

الأمر كله لله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل إن الأمر كله لله يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هٰهنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ أى بأمر الله .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٤٤٢) باب قول الله تعالى : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه ﴾ حدثنا شهاب بن عباد ، حدثنا إبراهيم بن حميد ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن المغيرة بن شعبة قال : سمعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « لا يزال من أمتى قوم ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله » .

حدثنا الحميدى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن جابر ، حدثنى عمير ابن هانئ أنه سمع معاوية قال : سمعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من كذبهم ، ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » . قال مالك بن يخامر ، سمعت معاذا يقول : وهم بالشام ، فقال معاوية : هذا مالك يزعم أنه سمع معاذا يقول وهم بالشام .

حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن عبد الله بن أبى حسين ، حدثنا نافع ابن جبير ، عن ابن عباس قال : وقف النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم على مسيلمة فى أصحابه فقال : « لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو امر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله » .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، عن عبد الواحد ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود قال : بينا أنا أمشى مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى بعض حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمررنا على نفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح ، فقال بعضهم :

لا تسألوه أن يجيء فيه بشيء تكرهونه فقال بعضهم : لنسألنه ، فقام إليه رجل منهم فقال : يا أبا القاسم : ما الروح ؟ فسكت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعلمت أنه يوحى إليه فقال . ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتوا من العلم إلا قليلا ﴾ . قال الأعمش : هكذا فى قرآننا .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٤٦٤) : حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال الله تعالى : « يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر[1] بيدى الأمر أقلب الليل والنهار » .

كلام حسن لابن القيم فى الكونى والشرعى

قال ابن القيم رحمه الله فى شفاء العليل (ص ٢٨٠) الباب التاسع والعشرون : فى انقسام القضاء والحكم والإرادة والكتابة والأمر والإذن والجعل والكلمات والبعث والإرسال والتحريم والإنشاء إلى ؛ كونى متعلق بخلقه ، وإلى دينى متعلق بأمره ، وما يحقق ذلك من إزالة اللبس والإشكال . هذا الباب متصل بالباب الذى قبله[2] وكل منهما يقرر لصاحبه فما كان من كونى فهو متعلق بربوبيته وخلقه ، وما كان من الدينى فهو متعلق بإلاهيته وشرعه وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر ، فالخلق قضاؤه وقدره وفعله ،

---

(١) الدهر ليس اسما من أسماء الله بل المعنى وأنا خالق الدهر بدليل ما بعده : أقلب الليل والنهار ، ولو كان اسما من أسماء الله لما أنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وقالوا ما هى إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون ﴾ فالدهر اسم للزمن الذى هو الليل والنهار . والله أعلم .

(٢) من كتابه القيم شفاء العليل .

والأمر شرعه ودينه فهو الذى خلق وشرع وأمر وأحكامه جارية على خلقه قدرا وشرعا ولا خروج لأحد عن حكمه الكونى القدرى ، وأما حكمه الدينى الشرعى فيعصيه الفجار والفساق ، والأمران غير متلازمين فقد يقضى ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده وإيمانهم وينتفى الأمران عما لم يقع من المعاصى والفسق والكفر ، وينفرد القضاء الدينى والحكم الشرعى فى ما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور وينفرد الحكم الكونى فيما وقع من المعاصى إذا عرف ذلك فالقضاء فى كتاب الله نوعان :

كونى قدرى كقوله : ﴿ فلما قضينا عليه الموت ﴾ وقوله : ﴿ وقضى بينهم بالحق ﴾ .

وشرعى دينى كقوله : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ أى أمر وشرع ولو كان قضاء كونيا لما عبد غير الله ، والحكم أيضا نوعان ؛

فالكونى كقوله : ﴿ قال رب احكم بالحق ﴾ أى افعل ما تنصر به عبادك وتخذل به أعداءك .

والدينى كقوله : ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم ﴾ وقوله : ﴿ إن الله يحكم ما يريد ﴾ وقد يرد بالمعنيين معا كقوله : ﴿ ولا يشرك فى حكمه أحدا ﴾ فهذا يتناول حكمه الكونى وحكمه الشرعى ، والإرادة أيضا نوعان :

فالكونية كقوله تعالى : ﴿ فعال لما يريد ﴾ وقوله : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية ﴾ وقوله : ﴿ إن كان الله يريد أن يغويكم ﴾ وقوله : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ﴾ .

والدينية كقوله : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ وقوله : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ﴾ فلو كانت هذه الإرادة كونية لما حصل العسر لأحد منا ولوقعت التوبة من جميع المكلفين وبهذا التفصيل يزول الاشتباه

فى مسألة الأمر والإرادة هل هما متلازمان أم لا فقالت القدرية الأمر يستلزم الإرادة واحتجوا بحجج لا تندفع وقالت المثبتة الأمر لا يستلزم الإرادة واحتجوا بحجج لا تندفع ، والصواب أن الأمر يستلزم الإرادة الدينية ولا يستلزم الإرادة الكونية فإنه لا يأمر إلا بما يريده شرعا ودينا ، وقد يأمر بما لا يريده كونا وقدرا كإيمان من أمره ولم يوفقه للإيمان مراد له دينا لا كونا ، وكذلك أمر خليله بذبح ابنه ولم يرده كونا وقدرا وأمر رسوله بخمسين صلاة ولم يرد ذلك كونا وقدرا ، وبين هذين الأمرين وأمر من لم يؤمن بالإيمان فرق ، فإنه سبحانه لم يحب من إبراهيم ذبح ولده ، وإنما أحب منه عزمه على الامتثال وأن يوطن نفسه عليه ، وكذلك أمره محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ليلة الإسراء بخمسين صلاة وأما أمر من علم أنه لا يؤمن بالإيمان فإنه سبحانه يحب من عباده أن يؤمنوا به وبرسله ، ولكن اقتضت حكمته أن أعان بعضهم على فعل ما أمره ، ووفقه له ، وخذل بعضهم فلم يعنه ولم يوفقه فلم تحصل مصلحة الأمر منهم وحصلت من الأمر بالذبح .

فصل : وأما الكتابة فالكونية كقوله : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ﴾ وقوله : ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾ وقوله : ﴿ كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾ .

والشرعية الأمرية كقوله : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ وقوله : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ إلى قوله : ﴿ كتاب الله عليكم ﴾ وقوله : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ فالأولى ، كتابة بمعنى القدر والثانية كتابة بمعنى الأمر .

فصل : والأمر الكونى كقوله : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ وقوله : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ وقوله : ﴿ وكان أمر الله مفعولا ﴾ وقوله : ﴿ وكان أمرا مقضيا ﴾ وقوله : ﴿ وإذا أردنا أن

نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ﴾ فهذا أمر تقدير كونى لا أمر دينى شرعى ، فإن الله لا يأمر بالفحشاء والمعنى قضينا ذلك وقدرناه ، وقالت طائفة بل هو أمر دينى ، والمعنى أمرناهم بالطاعة فخالفونا وفسقوا ، والقول الأول أرجح لوجوه :

أحدها : أن الإضمار على خلاف الأصل فلا يصار إليه إلا إذا لم يمكن تصحيح الكلام بدونه .

الثانى : أن ذلك يستلزم إضمارين : أحدهما أمرناهم بطاعتنا فخالفونا ، الثانى : أو عصونا ونحو ذلك .

الثالث : أن ما بعد الفاء فى مثل هذا التركيب هو المأمور به نفسه كقولك أمرته ففعل وأمرته فقام وأمرته فركب لا يفهم المخاطب غير هذا .

الرابع : أنه سبحانه جعل سبب هلاك القرية أمره المذكور ، ومن المعلوم أن أمره بالطاعة والتوحيد لا يصلح أن يكون سبب الهلاك بل هو سبب للنجاة والفوز ، فإن قيل أمره بالطاعة مع الفسق هو سبب الهلاك قيل هذا يبطل بالوجه .

الخامس : وهو أن هذا الأمر لا يختص بالمترفين بل هو سبحانه يأمر بطاعته ، واتباع رسله المترفين وغيرهم فلا يصح تخصيص الأمر بالطاعة بالمترفين يوضحه .

السادس : أن الأمر لو كان بالطاعة لكان هو نفس إرسال رسله إليهم ، ومعلوم أنه لا يحسن أن يقال أرسلنا رسلنا إلى مترفيها ففسقوا فيها ، فإن الإرسال لو كان إلى المترفين لقال من عداهم نحن لم يرسل إلينا .

السابع : أن إرادة الله سبحانه لإهلاك القرية إنما يكون بعد إرسال الرسل إليهم وتكذيبهم ، وإلا فقبل ذلك هو لا يريد إهلاكهم لأنهم معذورون بغفلتهم وعدم بلوغ الرسالة إليهم قال تعالى : ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى

بظلم وأهلها غافلون ﴾ فإذا أرسل الرسل فكذبوهم أراد إهلاكها فأمر رؤساءها ومترفيها أمرا كونيا قدريا ، لا شرعيا دينيا بالفسق فى القرية ، فاجتمع أهلها على تكذيبهم وفسق رؤسائهم فحينئذ جاءها أمر الله وحق عليها قوله بالإهلاك ، والمقصود ذكر الأمر الكونى والدينى .

ومن الدينى قوله : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ وقوله : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ وهو كثير .

فصل : وأما الإذن الكونى فكقوله تعالى : ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ أى بمشيئته وقدره .

وأما الدينى فكقوله : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ أى بأمره ورضاه وقوله : ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ وقوله : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ .

فصل : وأما الجعل الكونى فكقوله : ﴿ إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ﴾ وقوله : ﴿ ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾ وقوله : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ﴾ ، وهو كثير .

وأما الجعل الدينى فكقوله : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ أى ما شرع ذلك ولا أمر به وإلا فهو مخلوق له واقع بقدرهومشيئته وأما قوله : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ فهذا يتناول الجعلين فإنها جعلها كذلك بقدره وشرعه وليس هذا استعمالا للمشترك فى معنييه بل إطلاق اللفظ وإرادة القدر المشترك بين معنيين فتأمله .

فصل : وأما الكلمات الكونية فكقوله : ﴿ وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ﴾ وقوله : ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى

إسرائيل بما صبروا ﴾ ، وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق » ، فهذه كلماته الكونية التى يخلق بها ويكون ولو كانت الكلمات الدينية هى التى يأمر بها وينهى لكانت مما يجاوزهن الفجار والكفار .

وأما الدينى فكقوله : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ والمراد به القرآن وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى النساء : « واستحللتم فروجهن بكلمة الله » ، أى بإباحته ودينه وقوله : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾ وقد اجتمع النوعان فى قوله : ﴿ وصدقت بكلمات ربها وكتبه ﴾ فكتبه كلماته التى يأمر بها وينهى ويحل ويحرم وكلماته التى يخلق بها ويكون فأخبر أنها ليست جهمية تنكر كلمات دينه وكلمات تكوينه وتجعلها خلقا من جملة مخلوقاته .

فصل : وأما البعث الكونى فكقوله : ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد ﴾ وقوله : ﴿ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ﴾ .

وأما البعث الدينى فكقوله : ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ﴾ وقوله : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ﴾ .

فصل : وأما الإرسال الكونى فكقوله : ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ﴾ وقوله : ﴿ وهو الذى أرسل الرياح ﴾ .

وأما الدينى فكقوله : ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ﴾ وقوله : ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ﴾ .

فصل : وأما التحريم الكونى فكقوله : ﴿ وحرمنا عليه المراضع من قبل ﴾ وقوله : ﴿ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة ﴾ وقوله : ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ .

وأما التحريم الدينى فكقوله : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ و ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ و ﴿ حرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ﴾ و ﴿ أحل الله البيع وحرم الربا ﴾ .

فصل : وأما الإيتاء الكونى فكقوله : ﴿ والله يؤتى ملكه من يشاء ﴾ وقوله : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ﴾ وقوله : ﴿ وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ .

وأما الإيتاء الدينى فكقوله : ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه ﴾ وقوله : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ وأما قوله : ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ فهذا يتناول النوعين ، فإنه يؤتيها من يشاء أمرا ودينا وتوفيقا وإلهاما .

فصل : وأنبياؤه ورسله وأتباعهم حظهم من هذه الأمور الدينى منها وأعداؤه واقفون مع القدر الكونى فحيث ما مال القدر مالوا معه فدينهم دين القدر ودين الرسل وأتباعهم دين الأمر فهم يدينون بأمره ويؤمنون بقدره وخصماء الله يعصون أمره ويحتجون بقدره لا يقولون نحن واقفون مع مراد الله نعم مع مراده الدينى أو الكونى ولا ينفعكم وقوفكم مع المراد الكونى ولا يكون ذلكم عذرا لكم عنده إذ لو عذر بذلك لم يذم أحدا من خلقه ، ولم يعاقبه ، ولم يكن فى خلقه عاص ، ولا كافر ، ومن زعم ذلك فقد كفر بالله وكتبه كلها وجميع رسله ، وبالله التوفيق .

الله يصنع كل صانع وصنعته

قال الإمام البخارى رحمه الله ، فى كتاب خلق أفعال العباد (ص ٣٩) : حدثنا على بن عبد الله ، ثنا مروان بن معاوية ، ثنا أبو مالك ، عن ربعى بن حراش ، عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله يصنع كل صانع وصنعته » .

أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (ص ٣٣٢) من طريق البخارى بسنده ولفظه .

وقال ابن أبى عاصم فى السنة (ج ١ ص ١٨٥) : ثنا محمد بن أبى بكر المقدمى ، ثنا الفضيل بن سليمان ، ثنا أبو مالك الأشجعى ، عن ربعى بن حراش ، عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله خالق كل صانع وصنعته » . ثنا يعقوب بن حميد ، ثنا مروان بن معاوية الفزارى ، ثنا أبو مالك الأشجعى ، عن ربعى ، عن حذيفة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمثله .

هذا حديث صحيح ، وأخرجه ابن منده فى التوحيد (ج ١ ص ٢٦٧) ، وأخرجه الحاكم (ج ١ ص ٣١) فقال : حدثنا أبو النضر محمد بن يوسف الفقيه ، ثنا عثمان بن سعيد الدارمى ، ثنا على بن المدينى ، ثنا مروان بن معاوية ، ثنا أبو مالك الأشجعى ، عن ربعى بن حراش ، عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله خالق كل صانع وصنعته » . حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا إسماعيل بن اسحاق القاضى ، ثنا محمد بن أبى بكر المقدمى ، ثنا الفضيل بن سليمان ، عن أبى مالك الأشجعى ، عن ربعى بن حراش ، عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله خالق كل صانع وصنعته » .

هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

تنبيـــه :

جاء عند اللالكائى فى السنة (ج ٢ ص ٥٣٨ و ٥٣٩) من طريقين إلى أبى مالك سعد بن طارق فى الأولى منهما : « إن الله صانع كل صانع وصنعته » والظاهر أنه رواية بالمعنى لأن من المحدثين من رواه بلفظ « إن الله يصنع كل صانع وصنعته » ، ومنهم من رواه بلفظ : « إن الله صنع » ، كما عند البيهقى

في الأسماء والصفات (ص ٤٣) فعلى هذا فلا يوصف الله بأنه صانع بل يوصف بأنه خالق قال تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ لأن أسماء الله وصفاته توقيفية .

وإنى ذاكر بعون الله ما تيسر لى الوقوف عليه من طرق المحدثين ؛ حتى يتبين لك أن هذه اللفظة أعنى « صانع » وهْمٌ من بعض الرواة ، أو تصحيف قال البزار رحمه الله كما فى كشف الأستار (ج ٣ ص ٢٨) : حدثنا أحمد ابن عبد الله بن الحسين بن كردى ، وأحمد بن أبان القرشى ، قالا : ثنا مروان ابن معاوية ثنا أبو مالك عن ربعى عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « خلق الله كل صانع وصنعته » قال البزار : لا نعلم هذا يروى مرفوعا إلا بهذا الإسناد ، ورواه غير مروان مرفوعا .

وقال البيهقى رحمه الله فى الاعتقاد (ص ١٤٤) : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو النضر الفقيه ثنا عثمان بن سعيد الدارمى ، ثنا على بن المدينى ، ثنا مروان بن معاوية ، ثنا أبو مالك الأشجعى ، عن ربعى بن حراش ، عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله يصنع كل صانع وصنعته » . وذكره فى الأسماء والصفات (ص ٤٩١) بهذا الإسناد وبهذا اللفظ .

وقال البيهقى فى الأسماء والصفات (ص ٤٣) : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد ، أنا أبو أحمد حمزة بن محمد بن العباس ، ثنا محمد بن غالب ، ثنا القعنبى ، ثنا مروان الفزارى ، عن أبى مالك الأشجعى ، عن ربعى بن حراش ، عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله عز وجل صنع كل صانع وصنعته » .

قال الإمام أبو أحمد بن عدى ، فى الكامل (ج ٦ ص ٢٠٤٦) : حدثنا محمد بن الحسين البصرى ، ثنا أبو كامل ، ثنا فضيل بن سليمان ، ثنا أبو

مالك ، عن ربعى ، عن حذيفة : أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إن الله يصنع[1] كل صانع وصنعته » .

وهذا لا أعلم يرويه عن أبى مالك غير فضيل بهذا الإسناد . كذا قال أبو أحمد رحمه الله ، وقد رواه مروان بن معاوية كما تقدم وأبو خالد الأحمر عند اللالكائى (ج ٢ ص ٥٣٨) فعلم بهذا أن لفظة صانع شاذة أو تصحيف ، والحمد لله . ولعل الذى شذ بها أبو خالد الأحمر ، والله أعلم .

---

(١) فى الأصل يضع كل صانع بصنعته والصواب ما أثبتناه .

الله خالق كل شيء

ومنه خلق أفعال العباد

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هو الله الخالق البارئ المصور ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى حاكيا عن إبراهيم إذ يقول لأبيه وقومه : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إن ربك هو الخلاق العليم ﴾ .

والحصر هٰهنا مستفاد من ضمير الفصل ومن دخول الألف واللام على الخلاق .

وقال سبحانه وتعالى فى بيان الحوار بين موسى وفرعون : ﴿ قال فمن ربكما يا موسى * قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٢٦٥) : حدثنا الحسن بن صباح ، حدثنا شبابة ، حدثنا ورقاء ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله » .

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ٢ ص ٤٥٥) : حدثنا مسدد أن يزيد ابن زريع ، ويحيى بن سعيد حدثاهم ، قالا : أخبرنا عوف ، أخبرنا قسامة ابن زهير ، أخبرنا أبو موسى الأشعرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن والخبيث والطيب » . زاد فى حديث يحيى « وبين ذلك » . والإخبار فى حديث يزيد .

هذا حديث صحيح ، رجاله رجال الصحيح ، إلا قسامة بن زهير ، وقد وثقه ابن سعد كما فى تهذيب التهذيب .

الحديث رواه الترمذى (ج ٨ ص ٢٩٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

كلام مفيد لابن القيم فى خلق أفعال العباد

قال ابن القيم رحمه الله فى شفاء العليل (ص ٥٤) .

فصل : ومما يدل على قدرته سبحانه على أفعالهم قوله : ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ واعتراض القدرية على الاستدلال بذلك والجواب عنه نظير الاعتراض على قوله : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ وجوابه ونزيده تقريرا أن أفعالهم أشياء ممكنة ، والله قادر على كل ممكن فهو الذى جعلهم فاعلين بقدرته ومشيئته ، ولو شاء لحال بينهم وبين الفعل مع سلامة آلة الفعل منهم كما قال تعالى : ﴿ ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ وقال : ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾ وقال : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ﴾ فهو سبحانه يحول بين المرء وقلبه وبين الإنسان ونطقه ، وبين اليد وبطشها ، وبين الرجل ومشيها فكيف يظن به ظن السوء ، ويجعل له مثل السوء أنه لا يقدر على ما يقدر عليه عباده ، ولا تدخل أفعالهم تحت قدرته ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون لقدرته علوا كبيرا ، نعم ولا نظن به ظن السوء ونجعل له مثل السوء إنه لا يعاقب عباده على ما لم يفعلوه ، ولا قدرة لهم على فعله بل على ما فعله هو دونهم ، واضطرهم إليه وجبرهم عليه وذلك بمنزلة عقوبة الزمن إذا لم يطر إلى السماء وعقوبة أشل اليد على ترك الكتابة وعقوبة الأخرس على ترك الكلام ، فتعالى الله عن هذين المذهبين الباطلين المنحرفين عن سواء السبيل .

فصل : ومن الدليل على خلق أعمال العباد قوله تعالى : ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ فأخبر أنه هو الذى جعل السرابيل ، وهى الدروع والثياب المصنوعة ومادتها لا تسمى سرابيل ، إلا أن بعد تحليلها صنعة الآدميين وعملهم فإذا كانت مجعولة لله فهى مخلوقة له بجملتها ، صورتها وما دتها وهيآتها ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ﴾ فأخبر سبحانه

أن البيوت المصنوعة المستقرة والمتنقلة مجعولة له وهى إنما صارت بيوتا بالصنعة الآدمية ونظيره قوله تعالى : ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴾ ، فأخبر سبحانه أنه خالق الفلك المصنوع للعباد وأبعد من قال إن المراد بمثله هو الإبل فإنه إخراج المماثل حقيقة واعتبار لما هو بعيد عن المماثلة ونظير ذلك قوله تعالى حكاية على خليله أنه قال لقومه ﴿ أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون ﴾ فإن كانت ما مصدرية كما قدره بعضهم فالاستدلال ظاهر وليس بقوى إذ لا تناسب بين إنكاره عليهم عبادة ما ينحتونه بأيديهم ، وبين إخبارهم بأن الله خالق أعمالهم من عبادة تلك الآلهة ونحتها، وغير ذلك فالأولى أن تكون ما موصولة أى : والله خلقكم وخلق آلهتكم التى عملتموها بأيديكم فهى مخلوقة له لا آلهة شركاء معه ، فأخبر أنه خلق معمولهم وقد حله عملهم وصنعهم ولا يقال المراد مادته ، فإن مادته غير معمولة لهم وإنما يصير معمولا بعد عملهم .

فصل : وقد أخبر سبحانه أنه هو الذى جعل أئمة الخير يدعون إلى الهدى ، وأئمة الشر يدعون إلى النار ، فتلك الإمامة والدعوة بجعله مجعولة له وفعل لهم قال تعالى عن آل فرعون : ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ﴾ ، وقال عن أئمة الهدى : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ﴾ فأخبر أن هذا وهذا بجعله مع كونه كسبا وفعلا للأئمة ونظير ذلك قول الخليل : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ﴾ فأخبر الخليل أنه سبحانه هو الذى يجعل المسلم مسلما ، وعند القدرية هو الذى جعل نفسه مسلما لا أن الله جعله مسلما ولا جعله إماما يهدى بأمره ولا جعل الآخر إماما يدعو إلى النار على الحقيقة بل هم الجاعلون لأنفسهم كذلك حقيقة ونسبة هذا الجعل إلى الله ، مجاز بمعنى التسمية أى سمنا مسلمين لك ، وكذلك جعلناهم أئمة أى سميناهم كذلك وهم جعلوا أنفسهم أئمة رشد وضلال ، فمنهم الحقيقة ومنه المجاز والتعبير .

فصل : ومن ذلك إخباره سبحانه بأنه هو الذى يلهم العبد فجوره وتقواه ،

والإلهام الإلقاء فى القلب لا مجرد البيان والتعليم ، كما قاله طائفة من المفسرين إذ لا يقال لمن تبين لغيره شيئا وعلمه إياه أنه قد ألهمه ذلك ، هذا لا يعرف فى اللغة البتة بل الصواب ما قاله ابن زيد قال جعل فيها فجورها وتقواها وعليه حديث عمران بن حصين أن رجلا من مزينة أو جهينة أتى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال يا رسول أرأيت ما يعمل الناس فيه ويكدحون أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سابق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم قال : « بل شيء قضى عليهم ومضى » قال ففيم العمل قال : « من خلقه الله لإحدى المنزلتين استعمله بعمل أهلها ، وتصديق ذلك فى كتاب الله : ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ » . فقراءته هذه الآية عقيب إخباره بتقديم القضاء والقدر السابق يدل على أن المراد بالإلهام استعمالها فيما سبق لها لا مجرد تعريفها ، فإن التعريف والبيان لا يستلزم وقوع ما سبق به القضاء والقدر ، ومن فسر الآية من السلف بالتعليم والتعريف فمراده تعريف مستلزم لحصول ذلك لا تعريف مجرد عن الحصول فإنه لا يسمى إلهاما وبالله التوفيق .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ ، وذات الصدور كلمة لما يشتمل عليه الصدر من الاعتقادات والإرادات والحب والبغض ، أى صاحبة الصدور فإنها لما كانت فيها قائمة بها نسبت إليها نسبة الصحبة والملازمة ، وقد اختلف فى إعراب من خلق هو النصب أو الرفع ، فإن كان مرفوعا فهو استدلال على علمه بذلك لخلقه له ، والتقدير أنه يعلم ما تضمنته الصدور وكيف لا يعلم الخالق ما خلقه وهذا الاستدلال فى غاية الظهور والصحة فإن الخلق يستلزم حياة الخالق وقدرته وعلمه ومشيئته ، وإن كان منصوبا فالمعنى ألا يعلم مخلوقه وذكر لفظة من تغليبا ليتناول العلم العاقل وصفاته على التقديرين ، فالآية دالة على خلق ما فى الصدور كما هى دالة على

علمه سبحانه به ، وأيضا فإنه سبحانه خلقه لما فى الصدور دليلا على علمه بها فقال : ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ أى كيف يخفى عليه ما فى الصدور وهو الذى خلقه فلو كان ذلك غير مخلوق له لبطل الاستدلال به على العلم فخلقه سبحانه للشىء من أعظم الأدلة على علمه به فإذا انتفى الخلق انتفى دليل العلم فلم يبق ما يدل على علمه بما ينطوى عليه الصدر إذا كان غير خالق لذلك وهذا من أعظم الكفر برب العالمين وجحد لما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وعلم بالضرورة أنهم ألقوه إلى الأمم كما ألقوا إليهم أنه إله واحد لا شريك له .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم أنه قال : ﴿ رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ﴾ وقوله : ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ﴾ وقوله : ﴿ وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ﴾ وقوله حكاية عن زكرياء أنه قال عن ولده : ﴿ واجعله رب رضيا ﴾ وقال فى الطرف الآخر : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ وقال : ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا ﴾ ، وهذه الأكنة والوقر هى شدة البغض والنفرة والإعراض التى لا يستطيعون معها سمعا ولا عقلا ، والتحقيق أن هذا ناشئ عن الأكنة والوقر فهو موجب ذلك ومقتضاه فمن فسر الأكنة والوقر به فقد فسرهما بموجبهما ومقتضاهما وبكل حال فتلك النفرة والإعراض والبغض من أفعالهم وهى مجعولة لله سبحانه ، كما أن الرأفة والرحمة وميل الأفئدة إلى بيته هو من أفعالهم والله جاعله فهو الجاعل للذوات وصفاتها وأفعالها وإراداتها واعتقاداتها فذلك كله مجعول مخلوق له ، وإن كان العبد فاعلا له باختياره وإرادته فإن قيل هذا كله معارض بقوله تعالى : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ والبحيرة والسائبة إنما صارت كذلك بجعل العباد لها فأخبر سبحانه أن ذلك لم يكن بجعله .

(قيل) لا تعارض بحمد الله بين نصوص الكتاب بوجه ما ، والجعل هٰهنا جعل شرعى أمرى لا كونى قدرى ، فإن الجعل فى كتاب الله ينقسم إلى هذين النوعين كما ينقسم إليهما الأمر والإذن والقضاء والكتابة والتحريم ، كما سيأتى بيانه إن شاء الله ، فنفى سبحانه عن البحيرة والسائبة جعله الدينى الشرعى ، أى لم يشرع ذلك ولا أمر به ، ولكن الذين كفروا افتروا عليه الكذب ، وجعلوا ذلك دينا له بلا علم ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ﴾ فأخبر سبحانه أن هذه الفتنة الحاصلة بما ألقى الشيطان هى بجعله سبحانه ، وهذا جعل كونى قدرى ومن هذا قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد وابن حبان فى صحيحه : « اللهم اجعلنى لك شكارا ، لك ذكارا ، لك رهابا ، لك مطواعا ، لك مخبتا ، لك أواها منيبا »[1] ، فسأل ربه أن يجعله كذلك وهذه كلها أفعال اختيارية واقعة بإرادة العبد واختياره وفى هذا الحديث « وسدد لسانى »[2] ، وتسديد اللسان جعله ناطقا بالسداد من القول ، ومثله قوله فى الحديث الآخر : « اللهم اجعلنى لك مخلصا »[3] ومثله قوله : « اللهم اجعلنى أعظم شكرك ، وأكثر ذكرك ، وأتبع نصيحتك ، وأحفظ وصيتك » ومثله قول المؤمنين : ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا ﴾

---

(١) رواه أبو داود (ج ٤ ص ٣٧٥) ، والترمذى (ج ٩ ص ٥٣٨) ، وابن ماجه (ج ٢ ص ١٢٥٩) ، وأحمد (ج ١ ص ٢٢٧) من حديث ابن عباس رضى الله عنه .
وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .
قلت هو حديث صحيح رجاله رجال الصحيح ، إلا طليق بن قيس وقد وثقه أبو زرعة والنسائى .

(٢) هو قطعة من حديث ابن عباس المتقدم الذى قد تقدم تخريجه والحمد لله .

(٣) رواه أبو داود (ج ٤ ص ٣٧٣) ، وأحمد (ج ٤ ص ٣٦٩) من حديث زيد بن أرقم ، وفى سنده عندهما أبو مسلم البجلى ما روى عنه إلا داود الطفاوى ، ولم يوثقه معتبر كما فى تهذيب التهذيب .
وقال الإمام الذهبى فى الميزان : لا يعرف .

فالصبر وثبات الأقدام فعلان اختياريان ، ولكن التصبير والتثبيت فعل الرب تعالى وهو المسئول ، والصبر والثبات فعلهم القائم بهم حقيقة ومثله قوله : ﴿ رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه ﴾ وقال ابن عباس والمفسرون بعده ألهمنى قال أبو إسحاق وتأويله فى اللغة كفنى عن الأشياء إلا نفس شكر نعمتك ، ولهذا يقال فى تفسير الموزع المولع ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم موزعا بالسؤال أى مولعا به كأنه كف ومنع إلا منه ، وقال فى الصحاح وزعته أزعه وزعا كففته فاتزع عنه أى كف وأوزعته بالشىء أغريته به فأوزع به فهو موزع به واستوزعت الله شكره فأوزعنى أى استلهمته فألهمنى فقد دار معنى اللفظة على معنى ألهمنى ذلك واجعلنى مغرى به وكفنى عما سواه ، وعند القدرية أن هذا غير مقدور للرب بل هو غير مقدور العبد .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾ فتحبيبه سبحانه الإيمان إلى عباده المؤمنين هو إلقاء محبته فى قلوبهم ، وهذا لا يقدر عليه سواه ، وأما تحبيب العبد الشىء إلى غيره فإنما هو بتزيينه وذكر أوصافه وما يدعو إلى محبته ، فأخبر سبحانه أنه جعل فى قلوب عباده المؤمنين الأمرين حبه وحسنه الداعى إلى حبه وألقى فى قلوبهم كراهة ضده من الكفر والفسوق والعصيان ، وأن ذلك محض فضله ومنته عليهم حيث لم يكلهم إلى أنفسهم بل تولى هو سبحانه هذا التحبيب والتزيين وتكريه ضده ، فجاد عليهم به فضلا منه ونعمة والله عليم بمواقع فضله ، ومن يصلح ومن لا يصلح حكيم بجعله فى مواضعه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين * وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾ ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين

قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ ، وتأليف القلوب جعل بعضها يألف بعضا ويميل إليه ويحبه وهو من أفعالها الاختيارية ، وقد أخبر سبحانه أنه هو الذى فعل ذلك لا غيره ومن ذلك قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾ فأخبر سبحانه بفعلهم وهو الهمّ ، وبفعله وهو كفهم عما هموا به ، ولا يصح أن يقال ، إنه سبحانه أشل أيديهم وأماتهم وأنزل عليهم عذابا ، حال بينهم وبين ما هموا به ، بل كف قدرهم وإرادتهم مع سلامة حواسهم وبنيتهم وصحة آلات الفعل منهم ، وعند القدرية هذا محال بل هم الذين يكفون أنفسهم والقرآن صريح فى إبطال قولهم ومثله قوله : ﴿ وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾ فهذا كف أيدى الفريقين مع سلامتهما وصحتهما وهو بأن حال بينهم وبين الفعل فكف بعضهم عن بعض ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ والإيمان والطاعة من أجل النعم بل هما أجل النعم على الإطلاق فهما منه سبحانه ، تعليما ، وإرشادا ، وإلهاما ، وتوفيقا ، ومشيئة ، وخلقا ، ولا يصح أن يقال إنها أمر وبيان فقط فإن ذلك حاصل بالنسبة إلى الكفار والعصاة فتكون نعمته على أهل الإيمان والطاعة والبر منهم إذ نعمة البيان والإرشاد مشتركة وهذا قول القدرية وقد صرح به كثير منهم ولم يجعلوا لله على العبد نعمة فى مشيئته وخلقه فعله ، وتوفيقه إياه حين فعله وهذا من قولهم الذى باينوا به جميع الرسل والكتب ، وطردوا ذلك حين لم يجعلوا لله على العبد منة فى إعطائه الجزاء بل قالوا ذلك محض حقه الذى لا منة لله عليه فيه واحتجوا بقوله : ﴿ فلهم أجر غير ممنون ﴾ ، قالوا : أى غير ممنون به عليهم ، إذ هو جزاء أعمالهم وأجورها ، قالوا : والمنة تكدر النعمة والعطية ، ولم يدعوا هؤلاء للجهل بالله موضعا وقاسوا منته على منة المخلوق فإنهم مشبهة فى الأفعال معطلة فى الصفات ليست

المنة فى الحقيقة إلا لله ، فهو المان بفضله وأهل سمواته وأهل أرضه فى محض منته عليهم قال تعالى : ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ وقال تعالى لكليمه موسى : ﴿ ولقد مننا عليك مرة أخرى ﴾ وقال : ﴿ ولقد مننا على موسى وهارون ﴾ وقال : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ ولما قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم للأنصار : « ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى ، وعالة فأغناكم الله بى » ، قالوا : الله ورسوله أمن وقال الرسل لقومهم : ﴿ إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ﴾ فمنه سبحانه محض إحسانه وفضله ورحمته وما طاب عيش أهل الجنة فيها إلا بمنته عليهم ولهذا قال أهلها وقد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون : ﴿ إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين * فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ فأجزوا لمعرفتهم بربهم وحقه عليهم أن نجاهم من عذاب السموم بمحض منته عليهم وقد قال أعلم الخلق بالله وأحبهم إليه وأقربهم منه وأطوعهم له : « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » ، قالوا ولا أنت يا رسول الله ، قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل » ، وقال : « إن الله لو عذب أهل سمواته وأرضه ، لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم » ، والأول فى الصحيح ، والثانى فى المسند والسنن وصححه الحاكم وغيره فأخبر سيد العالمين والعاملين أنه لا يدخل الجنة بعمله ، وقالت القدرية إنهم يدخلونها بأعمالهم لئلا يتكدر نعيمهم عليهم بمشيئة الله بل يكون ذلك النعيم عوضا وما رمى السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم القدرية عن قوس واحدة إلا لعظم بدعهم ومنافاتها لما بعث الله به أنبياءه ورسله ، فلو أتى العباد بكل طاعة وكانت أنفاسهم كلها طاعات لله لكانوا فى محض منته وفضله وكانت له المنة عليهم وكلما عظمت طاعة العبد كانت منة الله عليه أعظم فهو المان بفضله فمن أنكر منته فقد أنكر إحسانه وأما

قوله تعالى : ﴿ فلهم أجر غير ممنون ﴾ يختلف أهل العلم بالله ورسوله وكتابه أن معناه غير مقطوع ومنه ريب المنون وهو الموت لأنه يقطع العمر .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ وقوله : ﴿ وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ ، وهذا الإغراء والإلقاء محض فعله سبحانه ، والتعادى والتباغض أثره هو محض فعلهم ، وأصل ضلال القدرية والجبرية من عدم اهتدائهم إلى الفرق بين فعله سبحانه وفعل العبد فالجبرية جعلوا التعادى والتباغض فعل الرب دون المتعادين والمتباغضين ، والقدرية جعلوا ذلك محض فعلهم الذى لا صنع لله فيه ولا قدرة ولا مشيئة ، وأهل الصراط السوى جعلوا ذلك فعلهم وهو أثر فعل الله وقدرته ومشيئته كما قال تعالى : ﴿ هو الذى يسيركم فى البر والبحر ﴾ فالتسيير فعله ، والسير فعل العباد ، وهو أثر التسيير وكذلك الهدى والإضلال فعله ، والاهتداء والضلال أثر فعله ، وهما أفعالنا القائمة بنا فهو الهادى والعبد المهتدى ، وهو الذى يضل من يشاء والعبد الضال ، وهذا حقيقة ، وهذا حقيقة ، والطائفتان عن الصراط المستقيم ناكبتان .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى عن خليله إبراهيم أنه قال : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ﴾ فهٰهنا أمران تجنيب عبادتها ، واجتنابه فسأل الخليل ربه أن يجنبه وبنيه عبادتها ؛ ليحصل منهم اجتنابها فالاجتناب فعلهم ، والتجنب فعله ولا سبيل إلى فعلهم إلا بعد فعله ونظير ذلك قول يوسف الصديق : ﴿ ربِ السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ﴾ وصرف كيدهن هو صرف دواعى قلوبهن ومكرهن بألسنتهن وأعمالهن ، وتلك أفعال اختيارية وهو سبحانه الصارف لها فالصرف فعله والانصراف أثر فعله وهو فعل النسوة ، ومن ذلك قوله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ ولولا

أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ﴾ فالتثبيت فعله ، والثبات فعل رسوله فهو سبحانه المثبت وعبده الثابت ومثله قوله : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ فأخبر سبحانه أن تثبيت المؤمنين وإضلال الظالمين فعله فإنه يفعل ما يشاء ، وأما الثبات والضلال فمحض أفعالهم ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ فأخبر أنه هو الذى قسى قلوبهم حتى صارت قاسية فالقساوة وصفها وفعلها وهى أثر فعله وهو جعلها قاسية وذلك أثر معاصيهم ونقضهم ميثاقهم وتركهم ما ذكروا به فالآية مبطلة لقول القدرية والجبرية .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم ﴾ ، وهم إنما خرجوا باختيارهم وقد أخبر أنه هو الذى أخرجهم ، فالإخراج فعله حقيقة والخروج فعلهم حقيقة ، ولولا إخراجه لما خرجوا وهذا بخلاف قوله : ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ﴾ . وقوله : ﴿ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾ وقوله : ﴿ أخرجكم من بطون أمهاتكم ﴾ ، فإن هذا إخراج لا صنع فيه فإنه بغير اختيارهم وإرادتهم ، وأما قوله : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾ فيحتمل أن يكون إخراجا بقدره ومشيئته فيكون من الأول ، ويحتمل أن يكون إخراجا يوجبه بأمره فلا يكون من هذا ، فيكون الإخراج فى كتاب الله ثلاثة أنواع ؛ أحدها إخراج الخارج باختياره ومشيئته ، والثانى إخراجه قهرا وكرها ، والثالث إخراجه أمرا وشرعا .

فصل : وقد ظن طائفة من الناس أن من هذا الباب قوله تعالى : ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ، وجعلوا ذلك من أدلتهم على القدرية ولم يفهموا مراد الآية وليست من هذا الباب ، فإن هذا خطاب لهم فى وقعة بدر حيث أنزل الله سبحانه ملائكته فقتلوا أعداءه

فلم يفرد المسلمون بقتلهم بل قتلتهم الملائكة ، وأما رميه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فمقدوره كان هو الحذف والإلقاء ، وأما إيصال ما رمى به إلى وجوه العدو مع البعد وإيصال ذلك إلى وجوه جميعهم فلم يكن من فعله ، ولكنه فعل الله وحده ، فالرمى يراد به الحذف والإيصال فأثبت له الحذف بقوله إذ رميت ونفى عنه الإيصال بقوله وما رميت .

فصل : ومن ذلك قوله : ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى ﴾ ، والضحك والبكاء فعلان اختياريان فهو سبحانه المضحك المبكى حقيقة ، والعبد هو الضاحك الباكى حقيقة ، وتأويل الآية بخلاف ذلك إخراج للكلام عن ظاهره بغير موجب ، ولا منافاة بين ما يذكر من تلك التأويلات وبين ظاهره . فإن إضحاك الأرض بالنبات وإبكاء السماء بالمطر وإضحاك العبد وإبكاءه بخلق آلات الضحك والبكاء له لا ينافى حقيقة اللفظ وموضوعه ومعناه من أنه جاعل الضحك والبكاء فيه بل الجميع حق .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا ﴾ ورؤية البرق أمر واقع بإحساسهم ، فالإراءة فعله والرؤية فعلنا ، ولا يقال إراءة البرق خلقه فإن خلقه لا يسمى إراءة ولا يستلزم رؤيتناله بل إراءتنا له جعلنا نراه وذلك فعله سبحانه ، ومن ذلك قول الخضر لموسى : ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ﴾ فبلوغ الأشد ليس من فعلهما ، واستخراج الكنز من أفعالهما الاختيارية ، وقد أخبر أن كليهما بإرادته سبحانه ، ومن ذلك قوله تعالى عن السحرة : ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ . وليس إذنه هٰهنا أمره وشرعه بل قضاؤه وقدره ومشيئته ، فهو إذًا كونى قدرى لا دينى أمرى .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ ، وكلمة التقوى هى الكلمة التى يتقى الله بها ، وأعلى أنواع هذه الكلمة هى قول لا إله إلا الله ، ثم كل كلمة يتقى الله بها بعدها فهى من

كلمة التقوى ، وقد أخبر سبحانه أنه ألزمها عباده المؤمنين فجعلها لازمة لهم لا ينفكون عنها . فبالتزامه التزموها ولولا إلزامهم إياها لما التزموها ، والتزامها فعل اختيارى تابع لإرادتهم واختيارهم فهو الملزم وهم الملتزمون .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إن الإنسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا ﴾ ، وهذا تفسير الهلوع وهو شدة الحرص الذى يترتب عليه الجزع والمنع ، فأخبر سبحانه أنه خلق الإنسان كذلك وذلك صريح فى أن هلعه مخلوق لله كما أن ذاته مخلوقة ، فالإنسان بجملته ذاته وصفاته وأفعاله وأخلاقه مخلوق لله ليس فيه شىء خلق لله وشىء خلق لغيره . بل الله خالق الإنسان بجملته وأحواله كلها ، فالهلع فعله حقيقة والله خالق ذلك فيه حقيقة ، فليس الله سبحانه بهلوع ولا العبد هو الخالق لذلك .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾ ، وإذنه هٰهنا قضاؤه وقدره لا مجرد أمره وشرعه ، كذلك قال السلف فى تفسير هذه الآية : قال ابن المبارك عن الثورى : بقضاء الله وقال محمد بن جرير : يقول جل ذكره لنبيه وما لنفس خلقها من سبيل إلى أن تصدقك إلا أن يأذن لها فى ذلك ، فلا تجهدن نفسك فى طلب هداها وبلغها وعيد الله ثم خلها فإن هداها بيد خالقها . وما قبل الآية وما بعدها لا يدل إلا على ذلك فإنه سبحانه قال : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين * وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ﴾ أى لا تكفى دعوتك فى حصول الإيمان حتى يأذن الله لمن دعوته أن يؤمن . ثم قال : ﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى يا محمد قل لهؤلاء السائلينك الآيات على صحة ما تدعو إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان ، انظروا أيها القوم ماذا فى السموات من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله ؛ من شمسها وقمرها واختلاف

ليلها ونهارها ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها ، وفى الأرض من جبالها وتصدعها بنباتها وأقوات أهلها وسائر صنوف عجائبها ، فإن فى ذلك لكم إن عقلتم وتدبرتم عظة ومعتبرا ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له فى ملكه شريك ، ولا له على حفظه وتدبيره ظهير يغنيكم عما سواها من الآيات ، وما يغنى عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء ، وقضى عليهم فى أم الكتاب أنهم من أهل النار ، فهم لا يؤمنون بشىء من ذلك ولا يصدقون به ، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ﴾ قال ابن جرير : وكل إنسان ألزمناه ما قضى له أنه عامله وما هو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله فى عنقه لا يفارقه ، وهذا ما قاله الناس فى الآية ، وهو ما طار له من الشقاء والسعادة وما طار عنه من العمل . ثم ذكر عن ابن عباس قال : طائره عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وزائل معه أينما زال ، وكذلك قال ابن جريج وقتادة ومجاهد : هو عمله ، زاد مجاهد : وما كتب له وقال قتادة أيضا : سعادته وشقاوته بعمله ، قال ابن جرير : فإن قال قائل فكيف قال ألزمناه طائره فى عنقه إن كان الأمر على ما وصفت ولم يقل فى يديه أو رجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد ؛ قيل إن العنق هى موضع السمات وموضع القلائد والأطوقة وغير ذلك مما يزين أو يشين ، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق ، كما أضافوا جنايات أعضاء الأبدان إلى اليد فقالوا ذلك بما كسبت يداه ، وإن كان الذى جرى عليه لسانه أوفرجه ، فكذلك قوله : ﴿ ألزمناه طائره فى عنقه ﴾ وقال الفراء : الطائر معناه عندهم العمل ، قال الأزهرى : والأصل فى هذا أن الله سبحانه لما خلق آدم علم المطيع من ذريته والعاصى ، فكتب ما علمه منهم أجمعين وقضى بسعادة من علمه مطيعا وشقاوة من علمه عاصيا فطار لكل ما هو صائر إليه عند خلقه وإنشائه ،

وأما قوله فى عنقه فقال أبو إسحاق :إنما يقال للشيء اللازمهذا فى عنق فلان أى لزومه له كلزوم القلادة من بين ما يلبس فى العنق . قال أبو على : هذا مثل قولهم طوقتك كذا وقلدتك كذا ، أى صرفته نحوك وألزمتك إياه . ومنه قلده السلطان كذا أى صارت الولاية فى لزومها له فى موضع القلادة ومكان الطوق ، وقيل إنما خص العنق ؛ لأن عمله لا يخلو إما أن يكون خيرا أو شرا ، وذلك مما يزين أو يشين كالحلى والغل فأضيف إلى الأعناق . قالت القدرية : إلزامه ذلك وسمه به وتعليمه بعلامة يعرف الملائكة أنه سعيد أو شقى والخبر عنه لا أنه إلزامه العمل فجعله لازما له . قال أهل السنة : هذه طريقة لكم معروفة فى تحريف الكلم عن مواضعه سلكتموها فى الجسم والطبع والعقل ، وهذا لا يعرفه أهل اللغة وهو خلاف حقيقة اللفظ وما فسره به أعلم الأمة بالقرآن ، ولا يعرف ما قلتموه عن أحد من سلف الأمة البتة ، ولا فسر الآية غيركم به ولا يصح حمل الآية عليه ؛ فإن الخبر عنه بذلك والعلامة أعلم بها إنما حصل بعد طائره اللازم له من عمله فلما لزمه ذلك الطائر و لم ينفك عنه أخبر عنه بذلك وصارت عليه علامة وسمة ، ونحن قد أرأيناكم أقوال أئمة الهدى وسلف الأمة فى الطائر فأرونا قولكم عن واحد منهم قاله قبلكم . وكل طائفة من أهل البدع تجر القرآن إلى بدعها وضلالها وتفسره بمذاهبها وآرائها والقرآن برىء من ذلك وبالله التوفيق .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون * كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين * لا يؤمنون به ﴾ وقد وقع هذا المعنى فى القرآن فى موضعين ؛ هذا أحدهما والثانى فى سورة الشعراء فى قوله : ﴿ ولو نزلناه على بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين * كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ﴾ قال ابن عباس : سلك الشرك فى قلوب المكذبين كما سلك الخرزة فى الخيط ، وقال أبو إسحاق : أى كما فعل بالمجرمين الذين استهزؤا بمن تقدم من الرسل ،

كذلك سلك الضلال فى قلوب المجرمين واختلفوا فى مفسر الضمير فى قوله نسلكه فقال ابن عباس : سلكنا الشرك وهو قول الحسن . وقال الزجاج وغيره : هو الضلال وقال الربيع : يعنى الاستهزاء وقال الفراء : التكذيب ، وهذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد ، والتكذيب والاستهزاء والشرك كل ذلك فعلهم حقيقة وقد أخبر أنه سبحانه هو الذى سلكه فى قلوبهم . وعندى فى هذه الأقوال شيء فإن الظاهر أن الضمير فى قوله لا يؤمنون به هو الضمير فى قوله سلكناه ، فلا يصح أن يكون المعنى لا يؤمنون بالشرك والتكذيب والاستهزاء ، فلا تصح تلك الأقوال إلا باختلاف مفسر الضميرين والظاهر اتحاده ، فالذين لا يؤمنون به هو الذى سلكه فى قلوبهم وهو القرآن ، فإن قيل فما معنى سلكه إياه فى قلوبهم ، وهم ينكرونه قبل سلكه فى قلوبهم بهذه الحال ، أى سلكناه غير مؤمنين به فدخل فى قلوبهم مكذبا به كما دخل فى قلوب المؤمنين مصدقا به . وهذا مراد من قال أن الذى سلكه فى قلوبهم هو التكذيب والضلال ، ولكن فسر الآية بالمعنى ، فإنه إذا دخل فى قلوبهم مكذبين به ، فقد دخل التكذيب والضلال فى قلوبهم ، فإن قيل فما معنى إدخاله فى قلوبهم ، وهم لا يؤمنون به ؟ قيل : لتقوم عليهم بذلك حجة الله ، فدخل فى قلوبهم ، وعلموا أنه حق وكذبوا به ، فلم يدخل فى قلوبهم دخول مصدق به مؤمن به مرضى به .

وتكذيبهم به بعد دخوله فى قلوبهم أعظم كفرا من تكذيبهم به قبل أن يدخل فى قلوبهم ، فإن المكذب بالحق بعد معرفته له شر من المكذب به و لم يعرفه ، فتأمله فإنه من فقه التفسير والله الموفق للصواب .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ﴾ فالإرسال هٰهنا ؛ إرسال كونى قدرى كإرسال الرياح ، وليس بإرسال دينى شرعى ، فهو إرسال تسليط بخلاف قوله فى المؤمنين ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ فهذا السلطان المنفى عنه على المؤمنين هو الذى

أرسل به جنده على الكافرين ، قال أبو إسحاق : ومعنى الإرسال ههنا التسليط . تقول : قد أرسلت فلانا على فلان إذا سلطته عليه .

كما قال : ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ فاعلم أن من اتبعه هو مسلط عليه ، قلت : ويشهد له قوله تعالى : ﴿ إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾ وقوله : ﴿ تؤزهم أزا ﴾ فالأز فى اللغة التحريك، والتهييج ، ومنه يقال لغليان القدر الأزيز لتحرك الماء عند الغليان . وفى الحديث كان لصدر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، وعبارات السلف تدور على هذا المعنى ، قال ابن عباس : تغريهم إغراء ، وفى رواية أخرى عنه تسلهم سلا ، وفى رواية أخرى تحرضهم تحريضا ، وفى أخرى تزعجهم للمعاصى إزعاجا ، وفى أخرى توقدهم إيقادا ، أى كما يتحرك الماء بالوقد تحته . قال أبو عبيدة : الأزيز الإهاب والحركة كالتهاب النار فى الحطب ، يقال إز قدرك أى ألهب تحتها النار ، وائتزت القدر إذا اشتد غليانها وهذا اختيار الأخفش ، والتحقيق أن اللفظة تجمع المعنيين جميعا ، قالت القدرية : معنى أرسلنا الشياطين على الكافرين خلينا بينهم وبينها ليس معناه التسليط . قال أبو على : الإرسال بمعنى التخلية بين المرسل وما يريد ، فمعنى الآية خلينا بين الشياطين والكافرين ولم يمنعهم منهم ولم يعدهم بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم إن عبادى ليس لك عليهم سلطان . قال الواحدى : وإلى هذا الوجه يذهب القدرية فى معنى الآية ، وليس المعنى على ما ذهبوا إليه وقال أبو إسحاق والمختار : أنهم أرسلوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم كما قال تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ وقال : ﴿ وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ . وإنما معنى الإرسال التسليط ، قلت : وهذا هو المفهوم من معنى الإرسال كما فى الحديث إذا أرسلت كلبك المعلم أى سلطته ، ولو خلى بينه وبين الصيد من غير إرسال منه لم يبح صيده . وكذلك قوله : ﴿ وأرسل

عليهم طيرا أبابيل ﴾ وكذلك قوله : ﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ﴾ والتخلية بين المرسل وبين ما أرسل عليه من لوازم هذا المعنى ولا يتم التسليط إلا به ، فإذا أرسل الشيء الذى من طبعه وشأنه أن تفعل فعلا و لم تمنعه من فعله فهذا هو التسّليط .

ثم إن القدرية تناقضوا فى هذا القول فإنهم إن جوزوا منعهم منهم وعصمتهم وإعادتهم فقد نقضوا أصلهم ، فإن منع المختار من فعله الاختيارى مع سلامة النية وصحة بنيته تدل على أن فعله وتركه مقدوران للرب ، وهذا عين قول أهل السنة ، وإن قالوا لا يقدر على منعهم وعصمهم منهم وإعادتهم فقد جعلوا قدرتهم ومشيئتهم بفعل ما لا يقدر الرب على المنع منه ، وهذا أبطل الباطل . ثم قالت القدرية تؤزهم أزا تأمرهم بالمعاصى أمرا ، وحكوا ذلك عن الضحاك وهذا لا يلتفت إليه ، إذ لا يقال لمن أمز غيره بشيء قد أزه . ولا تساعد اللغة على ذلك ولو كان ذلك صحيحا لكان يؤز المؤمنين أيضا فإنه يأمرهم بالمعاصى أكثر من أمر الكافرين ؛ فإن الكافر سريع الطاعة والقبول من الشيطان فلا يحتاج من أمره ما يحتاج إليه من أمر المؤمنين ، بل يأمر الكافر مرة ويأمر المؤمنين مرات فلو كان الأز الأمر لم يكن له اختصاص بالكافرين .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس * الذى يوسوس فى صدور الناس * من الجنة والناس ﴾ وقوله : ﴿ أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ وقوله : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ ومن المعلوم أن الإعاذة من الشيطان الرجيم ليست بإماتته ولا تعطيل آلات كيده ، وإنما هى بأن يعصم المتسعيذ من أذاه له ويحول بينه وبين فعله الاختيارى له . فدل على أن فعله مقدور له سبحانه إن شاء سلطه على العبد وإن شاء حال بينه وبينه . وهذا على أصول القدرية باطل ، فلا يثبتون حقيقة الإعاذة وإن أثبتوا حقيقة الاستعاذة من العبد وجعلوا الآية ردا على الجبرية

والجبرية أثبتوا حقيقة الإعاذة ولم يثبتوا حقيقة الاستعاذة من العبد ، بل الاستعاذة فعل الرب حقيقة كما أن الإعاذة فعله ، وقد ضل الطائفتان عن الصراط المستقيم وأصابت كل طائفة منهما فيما أثبتته من الحق .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ وقول هود : ﴿ وما توفيقى إلا بالله ﴾ ومعلوم أن الصبر والتوفيق فعل اختيارى للعبد ، وقد أخبر أنه به لا بالعبد ، وهذا لا ينبغى أن يكون فعلا للعبد حقيقة ؛ ولهذا أمر به وهو لا يأمر عبده بفعل نفسه سبحانه وإنما يؤمر العبد بفعله هو ومع هذا فليس فعله واقعا به ، وإنما هو بالخالق لكل شىء الذى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فالتصبير منه سبحانه ، وهو فعله ، والصبر هو القائم بالعبد وهو فعل العبد ؛ ولهذا أثنى على من يسأله أن يصبره فقال تعالى : ﴿ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فهزموهم بإذن الله ﴾ ففى الآية أربعة أدلة :

أحدها : قولهم : ﴿ أفرغ علينا صبرا ﴾ ، والصبر فعلهم الاختيارى ، فسألوه ممن هو بيده ومشيئته وإذنه ، إن شاء أعطاهموه وإن شاء منعهموه .

والثانى : قولهم ﴿ وثبت أقدامنا ﴾ ، وثبات الأقدام فعل اختيارى ، ولكن التثبيت فعله والثبات فعلهم ولا سبيل إلى فعلهم إلا بعد فعله .

الثالث : قولهم : ﴿ وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ فسألوه النصر وذلك بأن يقوى عزائمهم ويشجعهم ويصبرهم ويثبتهم ويلقى فى قلوب أعدائهم الخور والخوف والرعب فيحصل النصر . وأيضا فإن كون الإنسان منصورا على غيره ؛ إما أن يكون بأفعال الجوارح وهو واقع بقدرة العبد واختياره ، وإما أن يكون بالحجة والبيان والعلم وذلك أيضا فعل العبد . وقد أخبر سبحانه أن النصر بجملته من عنده وأثنى على من طلبه منه ، وعند القدرية لا يدخل تحت مقدور الرب .

الرابع : قوله : ﴿ فهزموهم بإذن الله ﴾ وإذنه هنا هو الإذن الكونى القدرى ، أى بمشيئته وقضائه وقدره ، وليس هو الإذن الشرعى ، الذى بمعنى الأمر ، فإن ذلك لا يستلزم الهزيمة ، بخلاف إذنه الكونى وأمره الكونى فإن المأمور المكون لا يتخلف عنه البتة .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ﴾ وفى الآية رد ظاهر على الطائفتين وإبطال لقولهما ، فإنه سبحانه أغفل قلب العبد عن ذكره ، فغفل هو ، فالإغفال فعل الله والغفلة فعل العبد . ثم أخبر عن اتباعه هواه وذلك فعل العبد حقيقة ، والقدرية تحرف هذا النص وأمثاله بالتسمية والعلم ، فيقولون معنى أغفلنا قلبه ، سميناه غافلا أو وجدناه غافلا ، أى علمناه كذلك ، وهذا من تحريفهم . بل أغفلته مثل أقمته وأقعدته وأغنيته وأفقرته أى جعلته كذلك وأما أفعلته أو أوجدته كذلك كأحمدته وأجنبته وأبخلته وأعجزته فلا يقع فى أفعال الله البتة ، إنما يقع فى أفعال العاجز أن يجعل جبانا وبخيلا وعاجزا ، فيكون معناه صادفته كذلك ، وهو يخطر بقلب الداعى اللهم أقدرنى أو أوزعنى وألهمنى أى سمنى واعلمنى كذلك ، وهل هذا إلا كذب عليه وعلى المدعو سبحانه ، والعقلاء يعلمون علما ضروريا أن الداعى إنما سأل الله أن يخلق له ذلك ويشاء له ويقدره عليه ، حتى القدرى إذا غابت عنه بدعته وما تقلده عن أشياخه وأسلافه وبقى وفطرته ، لم يخطر بقلبه سوى ذلك . وأيضا فلا يمكن أن يكون العبد هو المغفل لنفسه عن الشىء ، فإن إغفاله لنفسه عنه مشروط بشعوره به ، وذلك مضاد لغفلته عنه ، بخلاف إغفال الرب تعالى له ، فإنه لا يضاد علمه بما يغفل عنه العبد ، وبخلاف غفلة العبد ، فإنها لا تكون إلا مع عدم شعوره بالمغفول عنه ، وهذا ظاهر جدا فثبت أن الإغفال فعل الله بعبده والغفلة فعل العبد .

فصل : ومن ذلك قوله تعالى إخبارا عن نبيه شعيب أنه قال لقومه : ﴿ قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا

أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ﴾ وهذا يبطل تأويل القدرية المشيئة فى مثل ذلك ، بمعنى الأمر ، فقد علمت أنه من الممتنع على الله أن يأمر بالدخول فى ملة الكفر والشرك به ، ولكن استثنوا بمشيئته التى يضل بها من يشاء ويهدى من يشاء ، ثم قال شعيب وسع ربنا كل شيء علما فرد الأمر إلى مشيئته وعلمه فإن له سبحانه فى خلقه علْم محيط ومشيئته نافذة وراء ما يعلمه الخلائق فامتناعنا من العود فيها هو مبلغ علومنا ومشيئتنا ، ولله علم آخر ومشيئة أخرى وراء علومنا ومشيئتنا فلذلك رد الأمر إليه ومثله قول إبراهيم ﴿ ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء الله ربى شيئا وسع ربى كل شيء علما أفلا تتذكرون ﴾ ، فأعادت الرسل بكمال معرفتها بالله أمورها إلى مشيئة الرب وعلمه ؛ ولهذا أمر الله رسوله أن لا يقول لشيء إنه فاعله حتى يستثنى بمشيئة الله ، فإنه إن شاء فعله وإن شاء لم يفعله ؛ وقد تقدم تقرير هذا المعنى .

وبالجملة فكل دليل فى القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد ؛ ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد ، قال ابن عباس : الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده . ا هـ كلامه رحمه الله .

●

عقوبة من لم يسند الأمور إلى الله خالقها وبارئها

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون * فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون * فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين * وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ﴾ .

وقال الإمام البخارى (ج ٦ ص ٥٠٠) : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا همام ، حدثنا إسحاق بن عبد الله قال : حدثنى عبد الرحمن بن أبى عمرة أن أبا هريرة حدثه أنه سمع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . (ح) وحدثنى محمد[1] ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، أخبرنا همام

---

(١) قال الحافظ : يقال إن محمدا هذا هو الذهلى ، ويقال إنه المصنف نفسه كما قيل فى الحديث الذى قبله ، ويؤيد ذلك أنه روى عن عبد الله بن رجاء فى اللقطة وعدة مواضع بغير واسطة لكن جزم به =

عن إسحاق بن عبد الله قال : أخبرنا عبد الرحمن بن أبى عمرة أن أبا هريرة رضى الله عنه حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن ثلاثة من بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال : أى شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن قد قذرنى الناس ، قال : فمسحه فذهب عنه فأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا ، فقال أى المال أحب إليك ؟ قال الإبل ، أو قال البقر » هو شك فى ذلك إن الأبرص والأقرع قال أحدهما : الإبل وقال الآخر : البقر « فأعطى ناقة عشراء فقال : يبارك لك فيها . وأتى الأقرع ، فقال : أى شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب هذا عنى قد قذرنى الناس ، قال : فمسحه فذهب وأعطى شعرا حسنا ، قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : البقر قال : فأعطاه بقرة حاملا وقال : يبارك لك فيها . وأتى الأعمى ، فقال : أى شيء أحب إليك ؟ قال : يرد الله إلىّ بصرى فأبصر به الناس قال : فمسحه فرد الله إليه بصره ، قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : الغنم ، فأعطاه شاة ولودا فأنتج هذان ، وولد هذا ، فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من بقر ، ولهذا واد من الغنم ، ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال : رجل مسكين تقطعت به الحبال فى سفره فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ، بعيرا أتبلغ به فى سفرى ، فقال له : إن الحقوق كثيرة فقال له : كأنى أعرفك ألم تكن أبرص

= أبو ذر بأنه عند المصنف عن محمد غير منسوب عن عبد الله بن رجاء ، وجوز أنه الذهلى وساقه عن الجوزقى عن مكى بن عبدان عن الذهلى بطوله ، وكذا جزم أبو نعيم ، وساق من طريق موسى ابن العباس عن محمد بن يحيى ، وسيأتى فى التوحيد حديث آخر أخرجه البخارى بهذين السندين سواء عن أبى هريرة . اهـ .

يقذرك الناس ، فقيرا وأعطاك الله ، فقال : لقد ورثت لكابر عن كابر . فقال : إن كنت كاذبا فصيرك إلى ما كنت . وأتى الأقرع فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا ، فرد عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت وأتى الأعمى فى صورته ، فقال : رجل مسكين وابن السبيل وتقطعت به الحبال فى سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى . وقال له : قد كنت أعمى فرد الله بصرى ، وفقيرا فقد أغنانى ، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشىء أخذته ، فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك » .

قال الحافظ : قوله : بدا لله ، بتخفيف الدال المهملة بغير همز ، أى سبق فى علم الله ، فأراد إظهاره ، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافيا ؛ لأن ذلك محال فى حق الله تعالى ، وقد أخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ ، عن همام ، بهذا الإسناد ، بلفظ أراد الله أن يبتليهم ، فلعل التغيير فيه من الرواة ، مع أن فى الرواية أيضا نظرا ؛ لأنه لم يزل مريدا ، والمعنى أظهر الله ذلك فيهم ، وقيل معنى أراد قضى ، وقال صاحب المطالع : ضبطناه على متقنى مشايخنا بالهمز ؛ أى ابتدأ الله أن يبتليهم قال : ورواه كثير من الشيوخ بغير همز ، وهو خطأ . انتهى . وسبق إلى التخطئة أيضا الخطابى ، وليس كما قال ؛ لأنه موجه كما ترى ، وأولى ما يحمل عليه أن المراد قضى الله أن يبتليهم ، وأما البدء الذى يراد به تغير الأمر عما كان عليه فلا . ا هـ .

إسناد الأمور إلى غير خالقها تكذيب لله

قال البخارى رحمه الله (ج ٢ ص ٥٢٢) : باب قوله : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ قال ابن عباس : شكركم . حدثنا إسماعيل ، حدثنى مالك عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود ، عن زيد

ابن خالد الجهنى ، أنه قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أقبل على الناس ، فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « أصبح من عبادى مؤمن بى ، وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته ؛ فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب ، وأما من قال : بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب » .

الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص ٨٣) فقال : حدثنا يحيى بن يحيى قرأت على مالك به .

وقال الإمام مسلم رحمه الله (ج ١ ص ٨٤) : وحدثنى عباس بن عبد العظيم العنبرى ، حدثنا النضر بن محمد ، حدثنا عكرمة ، وهو ابن عمار ، حدثنا أبو زميل ، قال : حدثنى ابن عباس قال : مطر الناس على عهد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أصبح من الناس شاكر ، ومنهم كافر ، قالوا : هذه رحمة الله ، وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا ، قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ حتى بلغ : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ » .

قال الإمام النووى رحمه الله(ج ٢ ص ٦٢) : قال الشيخ أبو عمرو رحمه الله : ليس مراده أن جميع هذا نزل فى قولهم فى الأنواء ؛ فإن الأمر فى ذلك وتفسيره يأبى ذلك ، وإنما النازل فى ذلك قوله تعالى : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ والباقى نزل فى غير ذلك ، ولكن اجتمعا فى وقت النزول ، فذكر الجميع من أجل ذلك ، قال الشيخ أبو عمرو رحمه الله : ومما يدل على هذا أن فى بعض الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ذلك الاقتصار على هذا القدر اليسير فحسب ، هذا آخر كلام الشيخ رحمه الله . ا هـ .

لست أحملكم ولكن الله حملكم

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٥٢٧) : حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا أيوب ، عن أبى قلابة والقاسم التميمى ، عن زهدم ، قال : كان بين هذا الحى من جرم وبين الأشعريين ود وإخاء ، فكنا عند أبى موسى الأشعرى فقرب إليه الطعام فيه لحم دجاج ، وعنده رجل من بنى تيم الله ، كأنه من الموالى ، فدعاه إليه ، فقال الرجل : إنى رأيته يأكل شيئا فقذرته ؛ فحلفت لا آكله ، فقال : هلم فلأحدثك عن ذاك إنى أتيت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى نفر من الأشعريين نستحمله ، قال : « والله لا أحملكم ، وما عندى ما أحملكم » ، فأتى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بنهب إبل فسأل عنا ، فقال : « أين النفر الأشعريون » ؟ فأمر لنا بخمس ذود غر الذرى ، ثم انطلقنا ، قلنا ما صنعنا ؟ حلف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يحملنا ، وما عنده ما يحملنا ، ثم حملنا تغفلنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والله لا نفلح أبدا ، فرجعنا إليه ، فقلنا له ، فقال : « لست أنا أحملكم ولكن الله حملكم ، إنى والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذى هو خير منه ، وتحللتها » .

أخرجه مسلم (ج ٣ ١٢٧٠) .

أدلة الختم والطبع

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون * تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون * لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ﴾ .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٥٠) : حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن رقبة بن مسقلة ، عن بى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبى بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا ، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا » .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ٥٩١) : وحدثنى الحسن بن على الحلوانى ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية ، وهو ابن سلام ، عن زيد ـ يعنى أخاه ـ ، أنه سمع أبا سلام ، قال : حدثنى الحكم بن ميناء أن عبد الله بن عمرو وأبا هريرة حدثاه أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول على أعواد منبره : « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين » .

كلام الحافظ ابن القيم على الختم والطبع وما شابههما

قال ابن القيم رحمه الله فى شفاء العليل (ص ٨٥) الباب الخامس عشر : فى الطبع ، والختم ، والقفل ، والغل ، والسد ، والغشاوة ، والحائل بين الكافر وبين الإيمان ، وأن ذلك مجعول للرب تعالى .

قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ . وقال تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ وقال : ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾ وقال : ﴿ ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ﴾ وقال : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ وقال : ﴿ لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ ، وقد دخل هذه الآيات ونحوها طائفتا القدرية والجبرية فحرفها القدرية بأنواع من التحريف المبطل لمعانيها وما أريد منها ، وزعمت الجبرية أن الله أكرهها على ذلك وقهرها عليه وأجبرها من غير فعل منها ولا إرادة ولا اختيار ولا كسب البتة ، بل حال بينها وبين الهدى ابتداء من غير ذنب ولا سبب من العبد يقتضى ذلك ، بل أمره وحال مع أمره بينه وبين الهدى ، فلم ييسر إليه سبيلا ، ولا أعطاه عليه قدرة ، ولا مكنه منه بوجه ، وأراد بعضهم بل أحب له الضلال والكفر والمعاصى ورضيه منه ، فهدى أهل السنة والحديث وأتباع الرسول

لما اختلف فيه هاتان الطائفتان من الحق بإذنه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . وقالت القدرية : لا يجوز حمل هذه الآيات على أنه منعهم من الإيمان ، وحال بينهم وبينه ؛ إذ يكون لهم الحجة على الله ، ويقولون كيف يأمرنا بأمر ، ثم يحول بيننا وبينه ، ويعاقبنا عليه وقد منعنا من فعله ، وكيف يكلفنا بأمر لا قدرة لنا عليه ، وهل هذا إلا بمثابة من أمر عبده بالدخول من باب ثم سد عليه الباب سدا محكما لا يمكنه الدخول معه البتة ثم عاقبه أشد العقوبة على عدم الدخول ، وبمنزلة من أمره بالمشى إلى مكان ثم قيده بقيد لا يمكنه معه نقل قدمه ثم أخذ يعاقبه على ترك المشى ، وإذا كان هذا قبيحا فى خلق المخلوق الفقير المحتاج فكيف ينسب إلى الرب تعالى مع كمال غناه وعلمه وإحسانه ورحمته ! قالوا : وقد كذّب الله سبحانه الذين قالوا قلوبنا غلف وفى أكنة وأنها قد طبع عليها ، وذمهم على هذا القول ، فكيف ينسب إليه تعالى ؟ ولكن القوم لما أعرضوا وتركوا الاهتداء بهداه الذى بعث به رسله حتى صار ذلك الإعراض والنفار كالألف والطبيعة والسجية ، أشبه حالهم حال من منع عن الشىء وصد عنه ، وصار هذا وقرا فى آذانهم ، وختما على قلوبهم ، وغشاوة على أعينهم ، فلا يخلص إليها الهدى ، وإنما أضاف الله تعالى ذلك إليه ؛ لأن هذه الصفة قد صارت فى تمكنها وقوة ثباتها كالخلقة التى خلق عليها العبد ، قالوا : ولهذا قال تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ وقال : ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ وقال : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ وقال : ﴿ فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ ولعمر الله أن الذى قاله هؤلاء حقه أكثر من باطله ، وصحيحه أكثر من سقيمه ، ولكن لم يوفوه حقه ، وعظموا الله من جهة وأخلوا بتعظيمه من جهة ؛ فعظموه بتنزيهه عن الظلم وخلاف الحكمة وأخلوا بتعظيمه من جهة التوحيد وكمال القدرة ونفوذ المشيئة ، والقرآن يدل على صحة ما قالوه فى الران والطبع والختم من وجه ، وبطلانه من وجه ،

وأما صحته : فإنه سبحانه جعل ذلك عقوبة لهم وجزاء على كفرهم وإعراضهم عن الحق بعد أن عرفوه كما قال تعالى : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ وقال : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ وقال : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ وقال : ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ﴾ وقد اعترف بعض القدرية بأن ذلك خلق الله سبحانه ولكنه عقوبة على كفرهم وإعراضهم السابق ، فإنه سبحانه يعاقب على الضلال المقدور بإضلال بعده ، ويثيب على الهدى بهدى بعده ، كما يعاقب على السيئة بسيئة مثلها ، ويثيب على الحسنة بحسنة مثلها ، وقال تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر ... ﴾ ومن الفرقان الهدى الذى يفرق به بين الحق والباطل وقال فى ضد ذلك : ﴿ فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا ﴾ وقال : ﴿ فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ﴾ وقال : ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ﴾ وهذا الذى ذهب إليه هؤلاء حق والقرآن دل عليه ، وهو موجب العدل ، والله سبحانه ماض فى العبد حكمه ، عدل فى عبده قضاؤه ، فإنه إذا دعى عبده إلى معرفته ومحبته وذكره وشكره فأبى العبد إلا إعراضا وكفرا قضى عليه بأن أغفل قلبه عن ذكره ، وصده عن الإيمان به ، وحال بين قلبه وبين قبول الهدى ، وذلك عدل منه فيه ، وتكون عقوبته بالختم والطبع والصد عن الإيمان كعقوبته له بذلك فى الآخرة ، مع دخول النار كما قال : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم ﴾ فحجابه عنهم إضلال لهم ، وصد عن رؤيته ، وكمال معرفته ، كما عاقب قلوبهم فى هذه الدار بصدها عن الإيمان ، وكذلك عقوبته لهم بصدهم عن السجود له يوم القيامة مع الساجدين هو جزاء امتناعهم من السجود له فى الدنيا ، وكذلك

عماهم عن الهدى فى الآخرة عقوبة لهم على عماهم فى الدنيا ، ولكن أسباب هذه الجرائم فى الدنيا كانت مقدورة لهم ، واقعة باختيارهم ، وإرادتهم ، وفعلهم ، فإذا وقعت عقوبات لم تكن مقدورة بل قضاء جار عليهم ماض عدل فيهم وقال تعالى : ﴿ ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾ ومن هٰهنا ينفتح للعبد باب واسع عظيم النفع جدا فى قضاء الله المعصية والكفر والفسوق على العبد ، وإن ذلك محض عدل فيه ، وليس المراد بالعدل ما يقوله الجبرية إنه الممكن ؛ فكل ما يمكن فعله بالعبد فهو عندهم عدل ، والظلم هو الممتنع لذاته ، فهؤلاء قد سدوا على أنفسهم باب الكلام فى الأسباب والحكم ، ولا المراد به ما تقوله القدرية النفاة أنه إنكار عموم قدرة الله ومشيئته على أفعال عباده ، وهدايتهم ، وإضلالهم ، وعموم مشيئته لذلك ، وأن الأمر إليهم ، لا إليه ، وتأمل قول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك » ، كيف ذكر العدل فى القضاء مع الحكم النافذ ، وفى ذلك رد لقول الطائفتين القدرية والجبرية ؛ فإن العدل الذى أثبتته القدرية مناف للتوحيد ، معطل لكمال قدرة الرب وعموم مشيئته ، والعدل الذى أثبته الجبرية مناف للحكمة والرحمة ولحقيقة العدل ، والعدل الذى هو اسمه وصفته ونعته سبحانه خارج عن هذا ، وهذا لم يعرفه إلا الرسل وأتباعهم ؛ ولهذا قال هود عليه الصلاة والسلام لقومه : ﴿ إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم ﴾ فأخبر عن عموم قدرته ، ونفوذ مشيئته ، وتصرفه فى خلقه كيف شاء ، ثم أخبر أنه فى هذا التصرف والحكم على صراط مستقيم ، وقال أبو إسحاق : أى هو سبحانه وإن كانت قدرته تنالهم بما شاء فإنه لا يشاء إلا العدل ، وقال ابن الأنبارى : لما قال هو آخذ بناصيتها كان فى معنى لا يخرج من قبضته ، وأنه قاهر بعظيم سلطانه لكل دابة ، فأتبع قوله إن ربى على صراط مستقيم ، قال : وهذا نحو كلام العرب إذا وصفوا بحسن السيرة والعدل والإنصاف قالوا

فلان على طريقة حسنة وليس ثم طريق ، ثم ذكر وجها اخر فقال : لما ذكر أن سلطانه قد قهر كل دابة اتبع هذا قوله إن ربى على صراط مستقيم ؛ أى لا تخفى عليه مشيئته ، ولا يعدل عنه هارب ، فذكر الصراط المستقيم وهو يعنى به الطريق الذى لا يكون لأحد مسلك إلا عليه كما قال إن ربك لبالمرصاد . قلت : فعلى هذا القول الأول يكون المراد أنه فى تصرفه فى ملكه يتصرف بالعدل ومجازاة المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته ، ولا يظلم مثقال ذرة ، ولا يعاقب أحدا بما لم يجنه ، ولا يهضمه ثواب ما عمله ، ولا يحمل عليه ذنب غيره ، ولا يأخذ أحدا بجريرة أحد ، ولا يكلف نفسا ما لا تطيقه ، فيكون من باب له الملك وله الحمد ، ومن باب ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك ، ومن باب الحمد لله رب العالمين ؛ أى كما أنه رب العالمين المتصرف فيهم بقدرته ومشيئته فهو المحمود على هذا التصرف وله الحمد على جميعه ، وعلى القول الثانى المراد به التهديد والوعيد وأن مصير العباد إليه وطريقهم عليه لا يفوته منهم أحد كما قال تعالى : ﴿ قال هذا صراط علىّ مستقيم ﴾ ، قال الفراء : يقول مرجعهم إلىّ فأجازيهم كقوله : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ قال : وهذا كما تقول فى الكلام طريقك على وأنا على طريقك لمن أوعدته ، وكذلك قال الكلبى والكسائى ، ومثل قوله : ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ على أحد القولين فى الآية ، وقال مجاهد : الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه ومنها أى ومن السبيل ، ما هو جائر عن الحق ، ولو شاء لهداكم أجمعين فأخبر عن عموم مشيئته وأن طريق الحق عليه موصلة إليه فمن سلكها فإليه يصل ومن عدل عنها فإنه يضل عنه ، والمقصود أن هذه الآيات تتضمن عدل الرب تعالى وتوحيده ، والله يتصرف فى خلقه بملكه وحمده وعدله وإحسانه ؛ فهو على صراط مستقيم فى قوله وفعله وشرعه وقدره وثوابه وعقابه ، يقول الحق ، ويفعل العدل ﴿ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾ فهذا العدل والتوحيد الذين دل عليهما القرآن لا يتناقضان ، وأما توحيد أهل القدر والجبر وعدلهم فكل منهما يبطل الآخر ويناقضه .

فصل : ومن سلك من القدرية هذه الطريق فقد توسط بين الطائفتين ، لكنه يلزمه الرجوع إلى مثبتى القدر ، وإلا تناقض قطعا ، وإلا تناقض أبين تناقض ، فإنه إذا زعم أن الضلال والطبع والختم والقفل والوقر وما يحول بين العبد والإيمان مخلوق لله ، وهو واقع بقدرته ومشيئته ، فقد أعطى أن أفعال العباد مخلوقة ، وأنها واقعة بمشيئته فلا فرق بين الفعل الابتدائى والفعل الجزائى إن كان هذا مقدورا لله واقعا بمشيئته والآخر كذلك ، وإن لم يكن ذاك مقدورا ولا يصح دخوله تحت المشيئة فهذا كذلك ، والتفريق بين النوعين تناقض محض ، وقد حكى هذا التفريق عن بعض القدرية أبو القاسم الأنصارى فى شرحه الإرشاد ، فقال : ولقد اعترف بعض القدرية بأن الختم والطبع توابع غير أنها عقوبات من الله لأصحاب الجرائم فقال : وممن صار إلى هذا المذهب عبد الواحد بن زيد البصرى ، وبكر ابن أخته ، قال : وسبيل المعاقبين بذلك سبيل المعاقبين بالنار ، وهؤلاء قد بقى عليهم درجة واحدة ، وقد تحيزوا إلى أهل السنة والحديث .

فصل : وقالت طائفة منهم : الكافر هو الذى طبع على قلب نفسه فى الحقيقة وختم على قلبه ، والشيطان أيضا فعل ذلك ، ولكن لما كان الله سبحانه هو الذى أقدر العبد والشيطان على ذلك نسب الفعل إليه لإقراره للفاعل على ذلك ؛ لأنه هو الذى فعله . قال أهل السنة والعدل : هذا الكلام فيه حق وباطل ، فلا يقبل مطلقا ، ولا يرد مطلقا ؛ فقولكم أن الله سبحانه أقدر الكافر والشيطان على الطبع والختم كلام باطل ؛ فإنه لم يقدره إلا على التزيين والوسوسة والدعوة إلى الكفر ، ولم يقدره على خلق ذلك فى قلب العبد البتة ، هو أقل من ذلك وأعجز ، وقد قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « بعثت داعيا ومبلغا وليس إلى من الهداية شىء ، وخلق إبليس مزينا وليس إليه من الضلالة شىء » . فمقدور الشيطان أن يدعو العبد إلى فعل الأسباب التى إذا فعلها ختم الله على قلبه وسمعه وطبع عليه ، كما يدعوه إلى الأسباب التى

إذا فعلها عاقبه الله بالنار ، فعقابه بالنار كعقابه بالختم والطبع ، وأسباب العقاب فعله ، وتزيينها وتحسينها فعل الشيطان ، والجميع مخلوق لله .

وأما ما فى هذا الكلام من الحق فهو أن الله سبحانه أقدر العبد على الفعل الذى أوجب الطبع والختم على قلبه ، فلولا إقدار الله له على ذلك لم يفعله ، وهذا حق ، لكن القدرية لم توف هذا الموضوع حقه وقالت : أقدره قدرة تصلح للضدين ، فكان فعل أحدهما باختياره ومشيئته التى لا تدخل تحت مقدور الرب ، وإن دخلت قدرته الصالحة تحت مقدوره سبحانه فمشيئته واختياره وفعله غير واقع تحت مقدور الرب ، وهذا من أبطل الباطل ؛ فإن كل ما سواه تعالى مخلوق له داخل تحت قدرته واقع بمشيئته ، وما لم يشأ لم يكن . قالت القدرية لما أعرضوا على التدبر ، ولم يصغوا إلى التذكر ، وكان ذلك مقارنا لإيراد الله سبحانه حجته عليهم ، أضيفت أفعالهم إلى الله ؛ لأن حدوثها إنما اتفق عند إيراد الحجة عليهم . قال أهل السنة : هذا من أمحل المحال أن يضيف الرب إلى نفسه أمرًا لا يضاف إليه البتة لمقارنته ما هو من فعله ، ومن المعلوم أن الضد يقارن الضد ، فالشر يقارن الخير ، والحق يقارن الباطل ، والصدق يقارن الكذب ، وهل يقال إن الله يحب الكفر والفسوق والعصيان لمقارنتهما ما يحبه من الإيمان والطاعة ، وأنه يحب إبليس لمقارنة وجوده لوجود الملائكة ، فإن قيل : قد ينسب الشيء إلى الشيء لمقارنته له وإن لم يكن له فيه تأثير كقوله تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون * وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ ومعلوم أن السورة لم تحدث لهم زيادة رجس ، بل قارن زيادة رجسهم نزولها ، فنسب إليها ، قيل : لم ينحصر الأمر فى هذين الأمرين الذين ذكرتموهما وهما : إحداث السورة الرجس ، والثانى مقارنته لنزولها ، بل هٰهنا أمر ثالث وهو أن السورة لما أنزلت اقتضى نزولها الإيمان بها والتصديق والإذعان لأوامرها ونواهيها ،

والعمل بما فيها ، فوطن المؤمنون أنفسهم على ذلك ، فازدادوا إيمانا بسببها ، فنسبت زيادة الإيمان إليها ؛ إذ هى السبب فى زيادته ، وكذب بها الكافرون وجحدوها ، وكذبوا من جاء بها ، ووطنوا أنفسهم على مخالفة ما تضمنته وإنكاره ، فازدادوا بذلك رجسا ، فنسب إليها إذ كان نزولها ووصولها إليهم هو السبب فى تلك الزيادة ، فإن هذا من نسبة الأفعال القبيحة عندكم التى لا تجوز نسبتها إلى الله عند دعوتهم إلى الإيمان وتدبر آياته ! على أن أفعالهم القبيحة لا تنسب إلى الله سبحانه ، وإنما هى منسوبة إليهم ، والمنسوب إليه سبحانه أفعاله الحسنة الجميلة المتضمنة للغايات المحمودة والحكم المطلوبة ، والختم والطبع والقفل والإضلال أفعال حسنة من الله وضعها فى أليق المواضع بها ؛ إذ لا يليق بذلك المحل الخبيث غيرها والشرك والكفر والمعاصى والظلم أفعالهم القبيحة التى لا تنسب إلى الله فعلا وإن نسبت إليه خلقا ، فخلقها غيرها ، والخلق غير المخلوق ، والفعل غير المفعول ، والقضاء غير المقضى ، والقدر غير المقدور ، وستمر بك هذه المسألة مستوفاة إن شاء الله فى باب اجتماع الرضا بالقضاء وسخط الكفر والفسوق والعصيان إن شاء الله .

قالت القدرية : لما بلغوا فى الكفر إلى حيث لم يبق طريق إلى الإيمان لهم إلا بالقسر والإلجاء ولم تقتض حكمته تعالى أن يقسرهم على الإيمان لئلا تزول حكمة التكليف عبر عن ترك الإلجاء والقسر بالختم والطبع ، إعلاما لهم بأنهم انتهوا فى الكفر والإعراض إلى حيث لا ينتهون عنه إلا بالقسر ، وتلك الغاية فى وصف لجاجهم وتماديهم فى الكفر . قال أهل السنة : هذا كلام باطل فإنه سبحانه قادر على أن يخلق فيهم مشيئة الإيمان وإرادته ومحبته ، فيؤمنون بغير قسر ولا إلجاء بل إيمان اختيار وطاعة كما قال تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ﴾ وإيمان القسر والإلجاء لا يسمى إيمانا ؛ ولهذا يؤمن الناس كلهم يوم القيامة ولا يسمى ذلك إيمانا ؛ لأنه عن إلجاء واضطرار وقال تعالى : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ وما يحصل للنفوس من

المعرفة والتصديق بطريق الإلجاء والاضطرار والقسر لا يسمى هدى ، وكذلك قوله : ﴿ أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ﴾ فقولكم لم يبق طريق إلى الإيمان إلا بالقسر باطل ؛ فإنه بقى إلى إيمانهم طريق لم يرهم الله إياه وهو مشيئته وتوفيقه وإلهامه وإمالة قلوبهم إلى الهدى وإقامتها على الصراط المستقيم ، وذلك أمر لا يعجز عنه رب كل شيء ومليكه ، بل هو القادر عليه كقدرته على خلقه ذواتهم وصفاتهم ودرائهم ، ولكن منعهم ذلك لحكمته ، وعدله فيهم ، وعدم استحقاقهم وأهليتهم لبذل ذلك لهم ، كما منع السفل خصائص العلو ، ومنع الحار بعض البارد ، ومنع الخبيث خصائص الطيب ، ولا يقال فلم فعل هذا ؛ فإن ذلك من لوازم ملكه وربوبيته ومن مقتضيات أسمائه وصفاته ، وهل يليق بحكمته أن يسوى بين الطيب والخبيث والحسن والقبيح والجيد والردىء ؟ ومن لوازم الربوبية خلق الزوجين ، وتنويع المخلوقات وأخلاقها . فقول القائل : لم خلق الردىء والخبيث واللئيم ، سؤال جاهل بأسمائه ، وصفاته ، وملكه ، وربوبيته ، وهو سبحانه فرق بين خلقه أعظم تفريق ، وذلك من كمال قدرته وربوبيته ، فجعل منه ما يقبل جميع الكمال الممكن ، ومنه ما لا يقبل شيئا منه ، وبين ذلك درجات متفاوتة لا يحصيها إلا الخلاق العليم ، وهدى كل نفس إلى حصول ما هى قابلة له ، والقابل والمقبول كله مفعوله ، ومخلوقه ، وأثر فعله وخلقه ، وهذا هو الذى ذهب عن الجبرية والقدرية ، ولم يهتدوا إليه ، وبالله التوفيق .

قالت القدرية : الختم والطبع ، وهو شهادته سبحانه عليهم بأنهم لا يؤمنون وعلى أسماعهم ، وعلى قلوبهم .

قال أهل السنة : هذا هو قولكم بأن الختم والطبع هو الإخبار عنهم بذلك ، وقد تقدم فساد هذا بما فيه كفاية ، وأنه لا يقال فى لغة من لغات الأمم لمن أخبر عن غيره بأنه مطبوع على قلبه ، وأن عليه ختما ، أنه : قد طبع على قلبه ، وختم عليه بل هذا كذب على اللغات ، وعلى القرآن ، وكذلك قول من قال

إن ختمه على قلوبهم إطلاعه على ما فيها من الكفر ، وكذلك قول من قال إنه إحصاؤه عليهم حتى يجازيهم به ، وقول من قال إنه إعلامها بعلامة تعرفها بها الملائكة ، وقد بينا بطلان ذلك بما فيه كفاية ، قالت القدرية : لا يلزم من الطبع والختم والقفل أن تكون مانعة من الإيمان ، بل يجوز أن يجعل الله فيهم ذلك من غير أن يكون منهم من الإيمان ، بل يكون ذلك من جنس الغفلة والبلادة والغشا فى البصر ، فيورث ذلك إعراضا عن الحق ، وتعاميا عنه ، ولو أمعن النظر وتفكر وتدبر لما آثر على الإيمان غيره ، وهذا الذى قالوا يجوز أن يكون فى أول الأمر ، فإذا تمكن واستحكم من القلب ورسخ فيه امتنع معه الإيمان ، ومع هذا فهو أثر فعله وإعراضه وغفلته وإيثار شهوته وكبره على الحق والهدى ، فلما تمكن فيه واستحكم صار صفة راسخة وطبعا وختما وقفلا ورانا ، فكان مبداه غير حائل بينهم وبين الإيمان ، والإيمان ممكن معه لو شاءوا لآمنوا مع مبادئ تلك الموانع ، فلما استحكمت لم يبق إلى الإيمان سبيل ، ونظير هذا أن العبد يستحسن ما يهواه فيميل إليه بعض الميل ، ففى هذه الحال يمكن صرف الداعية له ؛ إذ الأسباب لم تستحكم ، فإذا استمر على ميله واستدعى أسبابه واستمكنت لم يمكنه صرف قلبه عن الهوى ، والمحبة ، فيطبع على قلبه ، ويختم عليه ، فلا يبقى فيه محل ما يهواه ، ويحبه ، وكان الانصراف مقدورا له فى أول الأمر ، فلما تمكنت أسبابه لم يبق مقدورا له ، كما قال الشاعر :

تولع بالعشق حتى عشق ... فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة ... فلما تمكن منها غرق

فلو أنهم بادروا فى مبدأ الأمر إلى مخالفة الأسباب الصادة عن الهدى لسهل عليهم ، ولما استعصى عليهم ، ولقدروا عليه ، ونظير ذلك المبادرة إلى إزالة العلة قبل استحكام أسبابها ، ولزومها للبدن لزوما لا ينفك منها ، فإذا استحكمت العلة ، وصارت كالجزء من البدن ، عز على الطبيب استنقاذ العليل

منها ، ونظير ذلك المتوحل فى حمأة فإنه ما لم يدخل تحتها فهو قادر على التخلص ، فإذا توسط معظمها عز عليه وعلى غيره إنقاذه ، فمبادئ الأمور مقدورة للعبد ، فإذا استحكمت أسبابها وتمكنت لم يبق الأمر مقدورا له ، فتأمل هذا الموضع حق التأمل ، فإنه من أنفع الأشياء فى باب القدر ، والله الموفق للصواب ، والله سبحانه جاعل ذلك كله وخالقه فيهم بأسباب منهم ، وتلك الأسباب قد تكون أمورا عدمية ، يكفى فيها عدم مشيئة أضدادها ، فلا يشاء سبحانه أن يخلق للعبد أسباب الهدى فيبقى على العدم الأصلى ، وإن أراد من عبده الهداية فهى لا تحصل حتى يريد من نفسه إعانته وتوفيقه ، فإذا لم يرد سبحانه نفسه ذلك لم تحصل الهداية .

فصل : ومما ينبغى أن يعلم أنه لا يمتنع من الطبع والختم والقفل حصول الإيمان ؛ بأن يفك الذى ختم على القلب وطبع عليه وضرب عليه القفل ذلك الختم والطابع والقفل ، ويهديه بعد ضلاله ، ويعلمه بعد جهله ، ويرشده بعد غيه ، ويفتح قفل قلبه بمفاتيح توفيقه التى هى بيده ، حتى لو كتب على جبينه الشقاوة والكفر لم يمتنع أن يمحوها ، ويكتب عليه السعادة والإيمان ، وقرأ قارئ عند عمر بن الخطاب : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ وعنده شاب فقال : اللهم عليها أقفالها ، ومفاتيحها بيدك ، لا يفتحها سواك ، فعرفها له عمر ، وزادته عنده خيرا ، وكان عمر يقول فى دعائه : اللهم إن كنت كتبتنى شقيا فامحنى واكتبنى سعيدا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، فالرب تعالى فعال لما يريد ، لا حجر عليه ، وقد ضل هٰهنا فريقان : القدرية حيث زعمت أن ذلك ليس مقدورا للرب ، ولا يدخل تحت فعله ؛ إذ لو كان مقدورا له ومنعه العبد لناقض جوده ولطفه ، والجبرية حيث زعمت أنه سبحانه إذا قدر قدرا وعلم شيئا فإنه لا يغيره بعد هذا ، ولا يتصرف بخلاف ما قدره وعلمه ، والطائفتان حجرت على من لا يدخل تحت حجر أحد أصلا ، وجميع خلقه تحت حجره شرعا وقدرا ، وهذه المسألة من أكبر مسائل القدر ، وسيمر

بك إن شاء الله فى باب المحو والإثبات ما يشفيك فيها ، والمقصود أنه مع الطبع والختم والقفل لو تعرض العبد أمكنه فك ذلك الختم والطابع ، وفتح ذلك القفل يفتحه من بيده مفاتيح كل شيء ، وأسباب الفتح مقدورة للعبد غير ممتنعة عليه ، وإن كان فكّ الختم وفتح القفل غير مقدور له كما أن شرب الدواء مقدور له وزوال العلة وحصول العافية غير مقدور ، فإذا استحكم به المرض وصار صفة لازمة له لم يكن له عذر فى تعاطى ما إليه من أسباب الشفاء ، وإن كان غير مقدور له ولكن لمّا ألف العلة وساكنها ولم يحب زوالها ، ولا آثر ضدها عليها مع معرفته بما بينها وبين ضدها من التفاوت ، فقد سد على نفسه باب الشفاء بالكلية ، والله سبحانه يهدى عبده إذا كان ضالا وهو يحسب أنه على هدى ، فإذا تبين له الهدى لم يعدل عنه لمحبته وملاءمته لنفسه ، فإذا عرف الهدى فلم يحبه ، ولم يرض به ، وآثر عليه الضلال ، مع تكرر تعريفه منفعة هذا وخيره ، ومضرة هذا وشره ، فقد سد على نفسه باب الهدى بالكلية ، فلو أنه فى هذه الحال تعرض وافتقر إلى من بيده هداه ، وعلم أنه ليس إليه هدى نفسه ، وأنه إن لم يهده الله فهو ضال ، وسأل الله أن يقبل بقلبه ، وأن يقيه شر نفسه ، وفقه ، وهداه ، بل لو علم الله منه كراهية لما هو عليه من الضلال ، وأنه مرض قاتل إن لم يشفه منه أهلكه ، لكانت كراهته وبغضه إياه مع كونه مبتلى به من أسباب الشفاء والهداية ، ولكن من أعظم أسباب الشقاء والضلال محبته له ورضاه به ، وكراهته الهدى والحق ، فلو أن المطبوع على قلبه المختوم عليه كره ذلك ، ورغب إلى الله فى فك ذلك عنه ، وفعل مقدوره ، لكان هداه أقرب شيء إليه ، ولكن إذا استحكم الطبع والختم حال بينه وبين كراهة ذلك وسؤال الرب فكه وفتح قلبه .

فصل : فإن قيل : فإذا جوزتم أن يكون الطبع والختم والقفل عقوبة وجزاء على الجرائم ، والإعراض والكفر السابق على فعل الجرائم . قيل : هذا موضع يغلط فيه أكثر الناس ، ويظنون بالله سبحانه خلاف موجب أسمائه وصفاته ،

والقرآن من أوله إلى آخره إنما يدل على أن الطبع والختم والغشاوة لم يفعلها الرب سبحانه بعبده من أول وهلة حين أمره بالإيمان أو بينه له ، وإنما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه والتأكيد فى البيان والإرشاد وتكرار الإعراض منهم والمبالغة فى الكفر والعناد ، فحينئذ يطبع على قلوبهم ويختم عليها فلا تقبل الهدى بعد ذلك ، والإعراض والكفر الأول لم يكن مع ختم وطبع ، بل كان اختيارا فلما تكرر منهم صار طبيعة وسجية ، فتأمل هذا المعنى فى قوله : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ ومعلوم أن هذا ليس حكما يعم جميع الكفار ، بل الذين آمنوا ، وصدقوا الرسل ، وكان أكثرهم كفارا قبل ذلك ، ولم يختم على قلوبهم وعلى أسماعهم ، فهذه الآيات فى حق أقوام مخصوصين من الكفار ، فعل الله بهم ذلك عقوبة منه لهم فى الدنيا بهذا النوع من العقوبة العاجلة ، كما عاقب بعضهم بالمسخ قردة وخنازير ، وبعضهم بالطمس على أعينهم ؛ فهو سبحانه يعاقب بالطمس على القلوب ، كما يعاقب بالطمس على الأعين ، وهو سبحانه قد يعاقب بالضلال عن الحق عقوبة دائمة مستمرة ، وقد يعاقب به إلى وقت ، ثم يعافى عبده ويهديه ، كما يعاقب بالعذاب كذلك .

فصل : وهاهنا عدة أمور عاقب بها الكفار بمنعهم عن الإيمان وهى : الختم ، والطبع ، والأكنة ، والغطاء ، والغلاف ، والحجاب ، والوقرة ، والغشاوة ، والران ، والغل ، والسد ، والقفل ، والصمم ، والبكم ، والعمى ، والصد ، والشد على القلب ، والضلال ، والإغفال ، والمرض ، وتقليب الأفئدة ، والحول بين المرء وقلبه ، وإزاغة القلوب ، والخذلان ، والإركاس ، والتثبيط ، والتزيين ، وعدم إرادة هداهم ، وتطهيرهم ، وإماتة قلوبهم بعد خلق الحياة فيها فتبقى على الموت الأصلى ، وإمساك النور عنها فتبقى فى الظلمة الأصلية ، وجعل القلب قاسيا لا ينطبع فيه مثال الهدى وصورته ،

وجعل الصدر ضيقا حرجا لا يقبل الإيمان ، وهذه الأمور منها ما يرجع إلى القلب كالختم والطبع والقفل والأكنة والإغفال والمرض ونحوها ، ومنها ما يرجع إلى رسوله الموصل إليه الهدى كالصمم والوقر ، ومنها ما يرجع إلى طليعته ورائده كالعمى والغشا ، ومنها ما يرجع إلى ترجمانه ورسوله المبلغ عنه كالبكم النطقى وهو نتيجة البكم القلبى ، فإذا بكم القلب بكم اللسان ، ولا تصغ إلى قول من يقول إن هذه مجازات واستعارات ؛ فإنه قال بحسب مبلغه من العلم والفهم عن الله ورسوله ، وكان هذا القائل حقيقة الفعل عنده أن يكون من حديد ، والختم أن يكون بشمع أو طين ، والمرض أن يكون حمى بنافض أو قولنج أو غيرهما من أمراض البدن ، والموت هو مفارقة الروح للبدن ليس إلا ، والعمى ذهاب ضوء العين الذى تبصر به ، وهذه الفرقة من أغلظ الناس حجابا ، فإن هذه الأمور إذا أضيفت إلى محالها كانت بحسب تلك المحال ؛ فنسبة قفل القلب إلى القلب كنسبة قفل الباب إليه ، وكذلك الختم والطبع الذى عليه هو بالنسبة إليه كالختم والطابع الذى على الباب ، والصندوق ، ونحوهما ، وكذلك نسبة الصمم والعمى إلى الأذن والعين ، وكذلك موته وحياته نظير موت البدن وحياته ، بل هذه الأمور ألزم للقلب منها للبدن ، فلو قيل إنها حقيقة فى ذلك مجاز فى الأجسام المحسوسة ، لكان مثل قول هؤلاء وأقوى منه ، وكلاهما باطل ؛ فالعمى فى الحقيقة ، والبكم والموت والقفل للقلب ، ثم قال تعالى : ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ والمعنى أنه معظم العمى وأصله ، وهذا كقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إنما الربا فى النسيئة » ، وقوله : « إنما الماء من الماء » وقوله : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، إنما الغنى غنى النفس » وقوله « ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، إنما المسكين الذى لا يجد ما يعنيه ، ولا يفطن له ، فيتصدق عليه » وقوله : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » ولم يرد نفى الاسم

عن هذه المسميات ، إنما أراد أن هؤلاء أولى بهذه الأسماء وأحق ممن يسمونه بها ، فهكذا قوله : ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ ، وقريب من هذا قوله : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ الآية وعلى التقديرين فقد أثبت للقلب عمى حقيقة ، وهكذا جميع ما نسب إليه ، ولما كان القلب ملك الأعضاء ، وهى جنوده ، وهو الذى يحركها ، ويستعملها ، والإرادة ، والقوى ، والحركة الاختيارية تنبعث منه ، كانت هذه الأمثال أصلا ، وللأعضاء تبعا ، فلنذكر هذه الأمور مفصلة ومواقعها فى القرآن ، فقد تقدم الختم وختم البذر فى الأرض إذا غطاه ، قال أبو إسحاق : معنى ختم وطبع فى اللغة واحد وهو التغطية قال الأزهرى : وأصله التغطية على الشىء ، والاستيثاق منه ، فلا يدخله شىء كما قال تعالى : ﴿ أم على قلوب أقفالها ﴾ وكذلك قوله : ﴿ طبع الله على قلوبهم ﴾ قلت الختم والطبع يشتركان فيما ذكر ، ويفترقان فى معنى آخر وهو أن الطبع ختم يصير سجية وطبيعة ، فهو تأثر لازم لا يفارق .

وأما الأكنة ففى قوله تعالى : ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ﴾ وهى جمع كنان كعنان وأعنة ، وأصله من الستر والتغطية ، ويقال : كنه وأكنه بمعنى واحد ، بل بينهما فرق ؛ فأكنه إذا ستره وأخفاه كقوله تعالى : ﴿ أو أكننتم فى أنفسكم ﴾ ، وكنه إذا صانه وحفظه كقوله : ﴿ بيض مكنون ﴾ ويشتركان فى الستر ، والكنان ما أكن الشىء وستره ، وهو كالغلاف ، وقد أقروا على أنفسهم بذلك فقالوا : ﴿ قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ فذكروا غطاء القلب وهى الأكنة ، وغطاء الأذن وهو الوقر ، وغطاء العين ، وهو الحجاب ، والمعنى : لا نفقه كلامك ، ولا نسمعه ، ولا نراك ، والمعنى : إنا فى ترك القبول منك بمنزلة من لا يفقه ما تقول ، ولا يراك ، قال ابن عباس : قلوبنا فى أكنة مثل الكنانة التى فيها

السهام ، وقال مجاهد : كجعبة النبل وقال مقاتل ، عليها غطاء فلا نفقة ما تقول .

فصل : وأما الغطاء فقال تعالى : ﴿ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا * الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا ﴾ وهذا يتضمن معنيين أحدهما : أن أعينهم فى غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله ، وأدلة توحيده ، وعجائب قدرته ، والثانى : أن أعين قلوبهم فى غطاء عن فهم القرآن ، وتدبره ، والاهتداء به ، وهذا الغطاء للقلب أولا ، ثم يسرى منه إلى العين .

فصل : وأما الغلاف فقال تعالى : ﴿ وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم ﴾ وقد اختلف فى معنى قولهم قلوبنا غلف فقالت طائفة : المعنى قلوبنا أوعية للحكمة والعلم ، فما بالها لا تفهم عنك ما أتيت به ، أو لا تحتاج إليك ، وعلى هذا فيكون غلف جمع غلاف ، والصحيح قول أكثر المفسرين أن المعنى قلوبنا لا تفقه ، ولا تفهم ما تقول ، وعلى هذا فهو جمع أغلف كأحمر وحمر ، قال أبو عبيدة : كل شيء فى غلاف فهو أغلف ، كما يقال سيف أغلف ، وقوس أغلف ، ورجل أغلف غير مختون ، قال ابن عباس وقتادة ومجاهد : على قلوبنا غشاوة فهى فى أوعية فلا تعى ، ولا تفقه ، ما تقول ، وهذا هو الصواب فى معنى الآية لتكرر نظائره فى القرآن كقولهم : ﴿ قلوبنا فى أكنة ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى ﴾ ونظائر ذلك ، وأما قول من قال هى أوعية للحكمة فليس فى اللفظ ما يدل عليه البتة ، وليس له فى القرآن نظير يحمل عليه ، ولا يقال مثل هذا اللفظ فى مدح الإنسان نفسه بالعلم والحكمة ، فأين وجدتم فى الاستعمال قول القائل قلبى غلاف وقلوب المؤمنين غلف ، أى : أوعية للعلم ، والغلاف قد يكون وعاء للجيد والردىء ، فلا يلزم من كون القلب غلافا أن يكون داخله العلم والحكمة ، وهذا ظاهر جدا ؟ فإن قيل : فالإضراب بل على هذا القول الذى

قويتموه ما معناه ؟ وأما على القول الآخر فظاهر ؛ أى : ليست قلوبكم محلا للعلم والحكمة ، بل مطبوع عليها قيل : وجه الإضراب فى غاية الظهور ، وهو أنهم احتجوا بأن الله لم يفتح لهم الطريق إلى فهم ما جاء به الرسول ، ومعرفته ، بل جعل قلوبهم داخلة فى غلف ، فلا تفقهه ، فكيف تقوم به عليهم الحجة ؟ وكأنهم ادعوا أن قلوبهم خلقت فى غلف ؛ فهم معذورون فى عدم الإيمان ، فكذّبهم الله وقال : ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ وفى الآية الأخرى : ﴿ بل لعنهم الله بكفرهم ﴾ فأخبر سبحانه أن الطبع ، والإبعاد عن توفيقه وفضله ، إنما كان بكفرهم الذى اختاروه لأنفسهم ، وآثروه على الإيمان ، فعاقبهم عليه بالطبع ، واللعنة ، والمعنى : لم نخلق قلوبهم غلفا لا تعى ولا تفقه ، ثم نأمرهم بالإيمان وهم لا يفهمونه ، ولا يفقهونه ، بل اكتسبوا أعمالا عاقبناهم عليها بالطبع على القلوب ، والختم عليها .

فصل : وأما الحجاب ففى قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ وقوله : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ﴾ على أصح القولين ، والمعنى : جعلنا بين القرآن إذا قرأته وبينهم حجابا يحول بينهم وبين فهمه ، وتدبره ، والإيمان به ، وبيّنه قوله : ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا ﴾ وهذه الثلاثة هى الثلاثة المذكورة فى قوله : ﴿ وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ فأخبر سبحانه أن ذلك جعله كالحجاب يمنع رؤية الحق ، والأكنة تمنع من فهمه ، والوقر يمنع من سماعه ، وقال الكلبى : الحجاب ها هنا مانع يمنعهم من الوصول إلى رسول الله بالأذى ، من الرعب ، ونحوه مما يصدهم عن الإقدام عليه ، ووصفه بكونه مستورا فقيل : بمعنى : ساتر وقيل : على النسب ؛ أى ذو ستر ، والصحيح أنه على بابه ، أى : مستورا عن الأبصار فلا يرى ، ومجيء مفعول بمعنى فاعل لا يثبت ، والنسب فى مفعول لم يشتق من فعله ، كمكان مهول أى : ذو هول ، ورجل مرطوب

أى : ذو رطوبة ، فأما مفعول فهو جار على فعله ؛ فهو الذى وقع عليه الفعل كمضروب ، ومجروح ، ومستور .

فصل : وأما الران فقد قال تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ قال أبو عبيدة : غلب عليها ، والخمر ترين على عقل السكران والموت يرين على الميت فيذهب به ، ومن هذا حديث أسيفع جهينة ، وقول عمر : فأصبح قد رين به ؛ أى : غلب عليه ، وأحاط به الرين ، وقال أبو معاذ النحوى : الرين أن يسودَّ القلب من الذنوب ، والطبع أن يطبع على القلب ، وهو أشد من الرين ، والإقفال أشد من الطبع ، وهوأن يقفل على القلب ، وقال الفراء : كثرت الذنوب والمعاصى منهم فأحاطت بقلوبهم ، فذلك الرين عليها ، وقال أبو إسحاق : ران غطى ، يقال : ران على قلبه الذنب يرين رينا ؛ أى : غشيه ، قال : والرين كالغشاء يغشى القلب ، ومثله الغين ، قلت : أخطأ أبو إسحاق ؛ فالغين ألطف شى وأرقه ، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « وإنه ليغان على قلبى ، وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة » ، وأما الرين والران فهو من أغلظ الحجب على القلب ، وأكثفها ، وقال مجاهد : هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب القلب وتغشاه فيموت القلب ، وقال مقاتل : غمرت القلوب أعمالهم الخبيثة ، وفى سنن النسائى والترمذى من حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبة نكتة سوداء ، فإن هو نزع ، واستغفر ، وتاب ، صقل قلبه ، وإن زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، وهو الران الذى ذكر الله : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ » قال الترمذى : هذا حديث صحيح ، وقال عبد الله بن مسعود : كلما أذنب نكت فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب كله ، فأخبر سبحانه أن ذنوبهم التى اكتسبوها أوجبت لهم رينا على قلوبهم ، فكان سبب الران منهم ، وهو : خلق الله فيهم ؛ فهو خالق السبب ومسببه ، ولكن السبب باختيار العبد ، والمسبب خارج عن قدرته واختياره .

فصل : وأما الغل فقال تعالى : ﴿ لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحو ن * وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ قال الفراء : حبسناهم عن الإنفاق فى سبيل الله ، وقال أبو عبيدة : منعناهم عن الإيمان بموانع ، ولما كان الغل مانعا للغلول من التصرف والتقلب ، كان الغل الذى على القلب مانعا من الإيمان ، فإن قيل : فالغل من الإيمان هو الذى فى القلب ، فكيف ذكر الغل الذى فى العنق ؟ قيل : لما كان عادة الغل أن يوضع فى العنق ناسب ذكر محله ، والمراد به القلب ، كقوله تعالى : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائرة فى عنقه ﴾ ومن هذا قولهم : إثمى فى عنقك ، وهذا فى عنقك ، ومن هذا قوله : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ﴾ شبه الإمساك عن الإنفاق باليد إذا غلت إلى العنق ، ومن هذا قال الفراء : إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا : حبسناهم عن الإنفاق قال أبو اسحاق : وإنما يقال للشىء اللازم : هذا فى عنق فلان أى : لزومه كلزوم القلادة من بين ما يلبس فى العنق ، قال أبو على : هذا مثل قولهم : طوقتك كذا ، وقلدتك كذا ، ومنه : قلده السلطان كذا ، أى : صارت الولاية فى لزومها له فى موضع القلادة ، ومكان الطوق ، قلت : ومن هذا قولهم : قلدت فلانا حكم كذا وكذا ، كأنك جعلته طوقا فى عنقه ، وقد سمى الله التكاليف الشاقة أغلالا فى قوله : ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ﴾ فشبهها بالأغلال لشدتها ، وصعوبتها ، قال الحسن : هى الشدائد التى كانت فى العبادة كقطع أثر البول ، وقتل النفس فى التوبة ، وقطع الأعضاء الخاطئة ، وتتبع العروق من اللحم ، قال ابن قتيبة : هى تحريم الله سبحانه عليهم كثيرا مما أطلقه لأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وجعلها أغلالا ؛ لأن التحريم يمنع ، كما يقبض الغل اليد ، وقوله : ﴿ فهى إلى الأذقان ﴾ قالت طائفة : الضمير يعود إلى الأيدى ، وإن لم تذكر لدلالة السياق عليها ، قالوا : لأن الغل يكون فى العنق ، فتجمع

إليه اليد ؛ ولذلك سمى جامعة ، وعلى هذا فالمعنى : فأيديهم ، أو فأيمانهم ، مضمومة إلى أذقانهم ، هذا قول الفراء والزجاج ، وقالت طائفة : الضمير يرجع إلى الأغلال ، وهذا هو الظاهر ، وقوله : ﴿ فهى إلى الأذقان ﴾ أى : واصلة ، وملزوزة إليها ، فهو غل عريض قد أحاط بالعنق حتى وصل إلى الذقن ، وقوله : ﴿ فهم مقمحون ﴾ قال الفراء والزجاج : المقمح هو : الغاض بصره بعد رفع رأسه ، ومعنى الإقماح فى اللغة : رفع الرأس ، وغض البصر ، يقال : أقمح البعير رأسه ، وقمح ، وقال الأصمعى : بعير قامح إذا رفع رأسه عن الحوض ، ولم يشرب ، قال الأزهرى : لما غلت أيديهم إلى أعناقهم ، رفعت الأغلال أذقانهم ، ورؤوسهم ، صعدًا كالإبل الرافعة رؤوسها ، انتهى .. فإن قيل : فما وجه التشبيه بين هذا ، وبين حبس القلب عن الهدى والإيمان ، قيل : أحسن وجه وأبينه ؛ فإن الغل إذا كان فى العنق واليد مجموعة إليها منع اليد عن التصرف والبطش ، فإذا كان عريضا قد ملأ العنق ووصل إلى الذقن منع الرأس من تصويبه ، وجعل صاحبه شاخص الرأس ، منتصبه ، لا يستطيع له حركة ، ثم أكد هذا المعنى والحبس بقوله : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ﴾ قال ابن عباس : منعهم من الهدى لما سبق فى علمه ، والسد الذى جعل من بين أيديهم ومن خلفهم هو الذى سد عليهم طريق الهدى ، فأخبر سبحانه عن الموانع التى منعهم بها من الإيمان عقوبة لهم ، ومثلها بأحسن تمثيل وأبلغه ، وذلك حال قوم قد وضعت الأغلال العريضة الواصلة إلى الأذقان فى أعناقهم ، وضمت أيديهم إليها ، وجعلوا بين السدين ، لا يستطيعون النفوذ من بينهما ، وأغشيت أبصارهم فهم لا يرون شيئا ، وإذا تأملت حال الكافر الذى عرف الحق وتبين له ثم جحده ، وكفر به ، وعاداه ، أعظم معاداة ، وجدت هذا المثل مطابقا له أتم مطابقة ، وأنه قد حل بينه وبين الإيمان ، كما حال بين هذا وبين التصرف ، والله المستعان .

فصل : وأما القفل فقال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ قال ابن عباس : يريد : على قلوب هؤلاء أقفال ، وقال مقاتل يعنى : الطبع على القلب ؛ وكأن القلب بمنزلة الباب المرتج الذى قد ضرب عليه قفل ، فإنه ما لم يفتح القفل لا يمكن فتح الباب ، والوصول إلى ما وراءه ، وكذلك ما لم يرفع الختم والقفل ، عن القلب لم يدخل الإيمان والقرآن ، وتأمل تنكير القلب وتعريف الأقفال ؛ فإن تنكير القلوب يتضمن إرادة قلوب هؤلاء ، وقلوب من هم بهذه الصفة ، ولو قال : أم على القلوب أقفالها ، لم تدخل قلوب غيرهم فى الجملة ، وفى قوله : ﴿ أقفالها ﴾ بالتعريف نوع تأكيد ؛ فإنه لو قال : أقفال لذهب الوهم إلى ما يعرف بهذا الاسم ، فلما أضافها إلى القلوب علم أن المراد بها ما هو للقلب بمنزلة القفل للباب ، فكأنه أراد : أقفالها المختصة بها التى لا تكون لغيرها ، والله أعلم .

فصل : وأما الصمم ، والوقر ، ففى قوله تعالى : ﴿ صم بكم عمى ﴾ وقوله : ﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ وقوله : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ وقوله : ﴿ والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ قال ابن عباس : فى آذانهم صمم عن استماع القرآن ، وهو عليهم عمى ، أعمى الله قلوبهم ، فلا يفقهون ، أولئك ينادون من مكان بعيد مثل البهيمة التى لا تفهم إلا دعاء ، ونداء ، وقال مجاهد : بعيد من قلوبهم ، وقال الفراء : نقول للرجل الذى لا يفهم : كذلك أنت تنادى من مكان بعيد ، قال : وجاء فى التفسير : كأنما ينادون من السماء ، فلا يسمعون . انتهى . والمعنى : أنهم لا يسمعون ، ولا يفهمون ، كما أن من دعى من مكان بعيد لم يسمع ، ولم يفهم .

فصل : وأما البكم فقال تعالى : ﴿ صم بكم عمى ﴾ والبكم : جمع

أبكم ، وهو : الذى لا ينطق ، والبكم نوعان : بكم القلب ، وبكم اللسان ، كما أن النطق نطقان : نطق القلب ، ونطق اللسان ، وأشدهما : بكم القلب ، كما أن عماه وصممه أشف من عمى العين وصمم الأذن ، فوصفهم سبحانه بأنهم لا يفقهون الحق ، ولا تنطق به ألسنتهم ، والعلم يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب من : سمعه ، وبصره ، وقلبه ، وقد سدت عليهم هذه الأبواب الثلاثة ، فسد السمع بالصمم ، والبصر بالعمى ، والقلب بالبكم ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾ وقد جمع سبحانه بين الثلاثة فى قوله : ﴿ وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله ﴾ فإذا أراد سبحانه هداية عبد فتح قلبه ، وسمعه ، وبصره ، وإذا أراد ضلاله أصمه ، وأعماه ، وأبكمه ، وبالله التوفيق .

فصل : وأما الغشاوة فهى : غطاء العين كما قال تعالى : ﴿ وجعل على بصره غشاوة ﴾ وهذا الغطاء سرى إليها من غطاء القلب ؛ فإن ما فى القلب يظهر على العين من الخير والشر ؛ فالعين مرآة القلب تظهر ما فيه ، وأنت إذا أبغضت رجلا بغضا شديدا ، أو أبغضت كلامه ، ومجالسته ، تجد على عينك غشاوة عند رؤيته ، ومخالطته ، فتلك أثر البغض ، والإعراض عنه ، وغلظت على الكفار ؛ عقوبة لهم على إعراضهم ونفورهم عن الرسول ، وجعل الغشاوة عليها يشعر بالإحاطة على ما تحته كالعمامة ، ولما عشوا عن ذكره الذى أنزله صار ذلك العشا غشاوة على أعينهم ؛ فلا تبصر مواقع الهدى .

فصل : وأما الصد فقال تعالى : ﴿ وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ﴾ قرأ أهل الكوفة على البناء للمفعول حملا على زين ، وقرأ الباقون : وصد بفتح الصاد ، ويحتمل وجهين : أحدهما : إعراض ؛ فيكون لازما ، والثانى : يكون صد غيره ؛ فيكون متعديا ، والقراءتان كالآيتين لا يتناقضان ، وأما الشد على القلب ففى قوله تعالى : ﴿ وقال موسى ربنا إنك

آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم * قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ﴾ فهذا الشد على القلب هو الصد والمنع ؛ ولهذا قال ابن عباس : يريدا منعها ، والمعنى : قسها ، واطبع عليها ؛ حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان ، وهذا مطابق لما فى التوراة أن الله سبحانه قال لموسى : اذهب إلى فرعون ، فإنى سأقسى قلبه ؛ حتى تظهر آياتى وعجائبى بمصر ، وهذا الشد والتقسية من كمال عدل الرب سبحانه فى أعدائه ، جعله عقوبة لهم على كفرهم ، وإعراضهم ، كعقوبته لهم بالمصائب ، ولهذا كان محمولا عليه ، فهو حسن منه ، وأقبح شىء منهم ، فإنه عدل منه وحكمة ، وهو ظلم منهم وسفه ، فالقضاء والقدر فعل عادل ، حكيم ، غنى ، عليم ، يضع الخير والشر فى أليق المواضع بهما ، والمقضى المقدر يكون ظلما ، وجورا ، وسفها ، وهو فعل جاهل ، ظالم ، سفيه .

فصل : وأما الصرف فقال تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ فأخبر سبحانه عن فعلهم وهو : الانصراف ، وعن فعله فيهم وهو : صرف قلوبهم عن القرآن ؛ لأنهم ليسوا أهلا له ؛ فالمحل غير صالح ، ولا قابل ، فإن صلاحية المحل بشيئين : حسن فهم ، وحسن قصد ، وهؤلاء قلوبهم لا تفقه ، وقصودهم سيئة ، وقد صرح سبحانه بهذا فى قوله : ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ فأخبر سبحانه عن عدم قابلية الإيمان فيهم ، وأنهم لا خير فيهم يدخل بسببه إلى قلوبهم ، فلم يسمعهم سماع إفهام ينتفعون به ، وإن سمعوه سماعا تقوم به عليهم حجته ، فسماع الفهم الذى سمعه به المؤمنون لم يحصل لهم ، ثم أخبر سبحانه عن مانع آخر قام بقلوبهم يمنعهم من الإيمان لو أسمعهم هذا السماع الخاص ، وهو : الكبر ، والتولى ، والإعراض ، فالأول : مانع من الفهم ، والثانى : مانع

من الانقياد ، والإذعان ، فأفهام سيئة ، وقصود ردية ، وهذه نسخة الضلال ، وعلم الشقاء ، كما أن نسخة الهدى وعلم السعادة فهم صحيح ، وقصد صالح ، والله المستعان .

وتأمل قوله سبحانه : ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ﴾ كيف جعل هذه الجملة الثانية سواء كانت خيرا ، أو إعادة عقوبة ؛ لانصرافهم ، فعاقبهم عليه بصرف آخر غير الصرف الأول ؛ فإن انصرافهم كان لعدم إرادته سبحانه . وعدم مشيئته لإقبالهم ؛ لأنه لا صلاحية فيهم ولا قبول فلم ينلهم الإقبال والإذعان ، فانصرفت قلوبهم بما فيها من الجهل ، والظلم ، عن القرآن ، فجازاهم على ذلك صرفا آخر ، غير الصرف الأول ، كما جازاهم على زيغ قلوبهم عن الهدى ، إزاغة غير الزيغ الأول ، كما قال : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ وهكذا إذا أعرض العبد عن ربه سبحانه جازاه بأن يعرض عنه ، فلا يمكنه من الإقبال عليه ، ولتكن قصة إبليس منك على ذكر ، تنتفع بها أتم انتفاع ، فإنه لما عصى ربه تعالى ، ولم ينقد لأمره ، وأصر على ذلك ، عاقبه بأن جعله داعيا إلى كل معصية ، فعاقبه على معصيته الأولى ، بأن جعله داعيا إلى كل معصية ، وفروعها ، صغيرها ، وكبيرها ، وصار هذا الإعراض والكفر السابق ، فمن عقاب السيئة السيئة بعدها ، كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، فإن قيل : فكيف يلتئم إنكاره سبحانه عليهم الانصراف ، والإعراض عنه ، وقد قال تعالى : ﴿ أنى يصرفون ﴾ و ﴿ أنى يؤفكون ﴾ وقال : ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ فإذا كان هو الذى صرفهم ، وجعلهم معرضين ، ومأفوكين ، فكيف ينعى ذلك عليهم ؟ قيل : هم دائرون بين عدله ، وحجته عليهم ؛ فمكنهم ، وفتح لهم الباب ، ونهج لهم الطريق ، وهيأ لهم الأسباب ، فأرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، ودعاهم على ألسنة رسله ، وجعل لهم عقولا تميز بين الخير والشر ، والنافع والضار ، وأسباب الردى وأسباب الفلاح ، وجعل لهم أسماعا وأبصارا ، فآثروا الهوى

على التقوى ، واستحبوا العمى على الهدى ، وقالوا : معصيتك آثر عندنا من طاعتك ، والشرك أحب إلينا من توحيدك ، وعبادة سواك أنفع لنا فى دنيانا من عبادتك ، فأعرضت قلوبهم عن ربهم ، وخالقهم ، ومليكهم ، وانصرفت عن طاعته ، ومحبته ، فهذا عدله فيهم ، وتلك حجته عليهم ، فهم سدوا على أنفسهم باب الهدى ، إرادة منهم ، واختيارا ، فسده عليهم اضطرارا ، فخلاهم وما اختاروا لأنفسهم ، وولاهم ما تولوه ، ومكنهم فيما ارتضوه ، وأدخلهم من الباب الذى استبقوا إليه ، وأغلق عنهم الباب الذى تولوا عنه وهم معرضون ، فلا أقبح من فعلهم ، ولا أحسن من فعله ، ولو شاء لخلقهم على غير هذه الصفة ، ولأنشأهم على غير هذه النشأة ، ولكنه سبحانه خالق العلو والسفل ، والنور والظلمة ، والنافع والضار ، والطيب والخبيث ، والملائكة والشياطين ، والشاء والذياب ، ومعطيها آلاتها ، وصفاتها ، وقواها ، وأفعالها ، ومستعملها فيما خلقت له ، فبعضها بطباعها ، وبعضها بإرادتها ومشيئتها ، وكل ذلك جار على وفق حكمته ، وهو موجب حمده ، ومقتضى كماله المقدس ، وملكه التام ، ولا نسبة لما علمه الخلق من ذلك إلى ما خفى عليهم بوجه ما ، إن هو إلا كنقرة عصفور من البحر .

فصل : وأما الإغفال فقال تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ سئل أبو العباس ثعلب عن قوله ﴿ أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ فقال : جعلناه غافلا قال : ويكون فى الكلام أغفلته : سميته غافلا ، ووجدته غافلا ، قلت : الغفل الشىء الفارغ ، والأرض الغفل : التى لا علامة بها ، والكتاب الغفل : الذى لا شكل عليه ، فأغفلناه : تركناه غفلا عن الذكر ، فارغا منه ؛ فهو إبقاء له على العدم الأصلى ؛ لأنه سبحانه لم يشأ الذكر ، فبقى غافلا ، فالغفلة وصفه ، والإغفال : فعل الله فيه بمشيئته ، وعدم مشيئته لتذكره ؛ فكل منهما مقتض لغفلته ، فإذا لم يشأ له التذكر لم يتذكر ، وإذا شاء غفلته امتنع منه الذكر ، فإن قيل : فهل تضاف الغفلة ، والكفر ،

والإعراض ، ونحوها إلى عدم مشيئة الرب أضدادها ، أم إلى مشيئته لوقوعها ؟ قيل القرآن قد نطق بهذا ، وبهذا ، قال تعالى : ﴿ أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ﴾ وقال : ﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ﴾ ومن يرد أن يضله ، فإن قيل : فكيف يكون عدم السبب المقتضى موجبا للأثر ؟ قيل : الأثر كان وجوديا ، فلابد له من مؤثر وجودى ، وأما العدم فيكفى فيه عدم سببه ، وموجبه ، فيبقى على العدم ، فإذا أضيف إليه كان من باب إضافة الشيء إلى دليله ، فعدم السبب دليل على عدم المسبب ، وإذا سمى موجبا ومقتضيا بهذا الاعتبار فلا مشاحة فى ذلك ، وأما أن يكون العدم أثرا ومؤثرا فلا . هذا وهذا الإغفال ترتب عليه اتباع هواه ، وتفريطه فى أمره ، قال مجاهد : كان أمره فرطا ، أى : ضياعا ، وقال قتادة : أضاع أكبر الضيعة ، وقال السدى : هلاكا ، وقال أبو الهيثم : أمر فرط : أى متهاون به ، مضيع ، والتفريط : تقديم العجز ، قال أبو إسحاق : من قدم العجز فى أمر أضاعه ، وأهلكه ، قال الليث : الفرط : الأمر الذى يفرط فيه ، يقول : كل أمر فلان فرط ، قال الفراء : فرطا : متروكا ، يفرط فيما لا ينبغى التفريط فيه ، واتبع ما لا ينبغى اتباعه ، وغفل عما لا يحسن الغفلة عنه .

فصل : وأما المرض فقال تعالى : ﴿ فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ﴾ وقال : ﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ﴾ وقال : ﴿ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ ومرض القلب : خروج عن صحته واعتداله ؛ فإن صحته أن يكون عارفا بالحق ، محبا له ، مؤثرا له على غيره ؛ فمرضه : إما بالشك فيه ، وإما بإيثار غيره عليه ؛ فمرض المنافقين مرض شك وريب ، ومرض العصاة مرض غيّ وشهوة ، وقد سمى الله سبحانه كلا منهما : مرضا ، قال ابن الأنبارى : أصل المرض فى اللغة : الفساد ، مرض فلان : فسد جسمه ، وتغيرت حاله ، ومرضت بالمرض : تغيرت ، وفسدت ، قالت ليلى الأخيلية :

إذا هبط الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها

وقال آخر :

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة لفقد الحسين والبلاد اقشعرت

والمرض يدور على أربعة أشياء : فساد ، وضعف ، ونقصان ، وظلمة ، ومنه : مرض الرجل فى الأمر إذا ضعف فيه ، ولم يبالغ ، وعين مريضة النظر : أى فاترة ضعيفة ، وريح مريضة : إذا هب هبوبها كما قال :

راحت لأربعك الرياح مريضة

أى : لينة ضعيفة حتى لا يعفى أثرها ، وقال ابن الأعرابى : أصل المرض : النقصان ، ومنه : بدن مريض ، أى : ناقص القوة ، وقلب مريض : ناقص الدين ، ومرض فى حاجتى : إذا نقصت حركته وقال الأزهرى ، عن المنذرى ، عن بعض أصحابه : المرض : إظلام الطبيعة ، واضطرابها بعد صفائها ، قال : والمرض : الظلمة وأنشد :

وليلة مرضت من كل ناحية فما يضيء لها شمس ولا قمر

هذا أصله فى اللغة ، ثم الشك ، والجهل ، والحيرة ، والضلال ، وإرادة الغىّ ، وشهوة الفجور ، فى القلب ، تعود إلى هذه الأمور الأربعة ؛ فيتعاطى العبد أسباب المرض حتى يمرض ، فيعاقبه الله بزيادة المرض ؛ لإيثاره أسبابه وتعاطيه لها .

فصل : وأما تقليب الأفئدة فقال تعالى : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ وهذا عطف على أنها إذا جاءت لا يؤمنون : أى نحول بينهم وبين الإيمان ، ولو جاءتهم تلك الآية فلا يؤمنون ، واختلف فى قوله : ﴿ كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ فقال كثير من المفسرين : المعنى : نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم الآية ، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة ، قال ابن عباس ، فى رواية عطاء عنه : ونقلب

أفئدتهم ، وأبصارهم ؛ حتى يرجعوا إلى ما سبق عليهم من علمى ، قال : وهذا كقوله : ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ وقال آخرون : المعنى : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ؛ لتركهم الإيمان به أول مرة ؛ فعاقبناهم بتقليب أفئدتهم وأبصارهم ، وهذا معنى حسن ؛ فإن كاف التشبيه تتضمن نوعا من التعليل كقوله : ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ وقوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونو تعلمون * فاذكرونى أذكركم ﴾ والذى حسن اجتماع التعليل والتشبيه الإعلام بأن الجزاء من جنس العمل فى الخير والشر ، والتقليب تحويل الشىء من وجه إلى وجه وكان الواجب من مقتضى إنزال الآية ، ووصولهم إليها ، كما سألوا أن يؤمنوا إذا جاءتهم ؛ لأنهم رأوها عيانا ، وعرفوا أدلتها ، وتحققوا صدقها ، فإذا لم يؤمنوا كان ذلك تقليبا لقلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذى ينبغى أن تكون عليه ، وقد روى مسلم فى صحيحه ، من حديث عبد الله بن عمر ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » وروى الترمذى ، من حديث أنس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يكثر أن يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » فقلت يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال : « نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء » قال : هذا حديث حسن ، وروى حماد ، عن أيوب ، وهشام ، ويعلى بن زياد ، عن الحسن ، قال : قالت عائشة رضى الله عنها : دعوة كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يكثر أن يدعو بها « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » فقلت : يا رسول الله ، دعوة كثيرا ما تدعو بها ، قال : « إنه ليس من عبد إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فإذا شاء أن

يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاغه » وقوله : ﴿ ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ قال ابن عباس : أخذلهم ، وأدعهم فى ضلالهم يتمادون .

فصل : وأما إزاغة القلوب فقال تعالى : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ وقال عن عباده المؤمنين ، أنهم سألوه : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ وأصل الزيغ : الميل ، ومنه : زاغت الشمس إذا مالت ؛ فإزاغة القلب : إمالته ، وزيغه : ميله عن الهدى إلى الضلال ، والزيغ يوصف به القلب والبصر ، كما قال تعالى : ﴿ وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ﴾ وقال قتادة ، ومقاتل : شخصت فرقا ، وهذا تقريب للمعنى ؛ فإن الشخوص غير الزيغ ، وهو : أن يفتح عينيه ينظر إلى الشيء فلا يطرق ، ومنه : شخص بصر الميت ، ولما مالت الأبصار عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى هؤلاء الذين أقبلوا إليهم من كل جانب ، اشتغلت عن النظر إلى شيء آخر ، فمالت عنه ، وشخصت بالنظر إلى الأحزاب ، وقال الكلبى : مالت أبصارهم إلا من النظر إليهم ، وقال الفراء : زاغت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها ، متحيرة ، تنظر إليه ، قلت : القلب إذا امتلأ رعبا شغله ذلك عن ملاحظة ما سوى المخوف ، فزاغ البصر عن الوقوع عليه وهو مقابله .

فصل : وأما الخذلان فقال تعالى : ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ﴾ وأصل الخذلان : الترك ، والتخلية ، ويقال للبقرة والشاة إذا تخلفت مع ولدها فى المرعى ، وتركت صواحباتها : خذول ، قال محمد بن إسحاق فى هذه الآية : إن ينصرك الله فلا غالب لك من الناس ، ولن يضرك خذلان من خذلك ، وإن يخذلك فلن ينصرك الناس ، أى : لا تترك أمرى للناس ، وارفض الناس لأمرى ، والخذلان : أن يخلى الله تعالى بين العبد وبين نفسه ، ويكله ، إليها ، والتوفيق ضده : أن لا يدعه ونفسه ، ولا يكله إليها ، بل يصنع له ، ويلطف به ، ويعينه ، ويدفع عنه ، ويكلأه كلاءة الوالد الشفيق للولد العاجز عن نفسه ؛ فمن خلى بينه وبين

نفسه فقد هلك ؛ ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يا حى ، يا قيوم ، يا بديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت ، برحمتك أستغيث ، أصلح لى شأنى كله ، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ، ولا إلى أحد من خلقك » ، فالعبد مطروح بين الله وبين عدوه إبليس فإن تولاه الله لم يظفر به عدوه ، وإن خذله وأعرض عنه ، افترسه الشيطان ، كما يفترس الذئب الشاة ، فإن قيل : فما ذنب الشاة إذا خلى الراعى بين الذئب وبينها ، وهل يمكنها أن تقوى على الذئب وتنجو منه ؟ قيل : لعمر الله إن الشيطان ذئب الإنسان ، كما قاله الصادق المصدوق ، ولكن لم يجعل الله لهذا الذئب اللعين على هذه الشاة سلطانا ، مع ضعفها ، فإذا أعطت بيدها ، وسالمت الذئب ، ودعاها ، فلبت دعوته ، وأجابت أمره ، ولم تتخلف ، بل أقبلت نحوه ، سريعة ، مطيعة ، وفارقت حمى الراعى ، وليس للذئاب عليه سبيل ، ودخلت فى محل الذئاب ، كانت صيدا لهم ، فهل الذنب كل الذنب إلا على الشاة ؟ فكيف والراعى يحذرها ، ويخوفها ، وينذرها ، وقد أراها مصارع الشاة التى انفردت عن الراعى ، ودخلت وادى الذئاب ، قال أحمد بن مروان المالكى[1] فى كتاب المجالسة : سمعت ابن أبى الدنيا يقول :

---

(١) قال الإمام الذهبى فى الميزان : اتهمه الدارقطنى ومشاه غيره . ا هـ .

زاد الحافظ فى اللسان ، وصرح الدارقطنى فى غرائب مالك بأنه يضع الحديث ، وذكر الحافظ عن مسلمة أنه وثقه ا هـ .

المراد من لسان الميزان بالمعنى ، والجرح هاهنا مقدم على التعديل ؛ لأن الجرح مفسر . والله أعلم .

وابن أبى الدنيا اسمه : عبد الله بن محمد بن عبيد ، إمام ، ومؤلف ، وشيخه : أحمد بن سعيد لم أجد ترجمته ، وعبيد الله بن بكر السهمى صوابه : عبد الله بن بكر بن حبيب ، ترجمة عبد الله فى التهذيب ، وثقه ابن معين ومرة ، قال صالح : وأبوه بكر وثقه ابن معين كما فى الجرح والتعديل .

إن لله سبحانه من العلوم ما لا يحصى ، يعطى كل واحد من ذلك ما لا يعطى غيره ، لقد حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن سعيد القطان ، ثنا عبيد الله بن بكر السهمى ، عن أبيه ، أن قوما كانوا فى سفر ، فكان فيهم رجل يمر بالطائر ، فيقول : أتدرون ما تقول هؤلاء ؟ فيقولون : لا فيقول : تقول : كذا ، وكذا ، فيحيلنا على شيء لا ندرى أصادق فيه هو ، أم كاذب ، إلى أن مروا على غنم وفيها شاة قد تخلفت على سخلة لها ، فجعلت تحنو عنقها إليها ، وتثغو ، فقال : أتدرون ما تقول هذه الشاة ؟ قلنا : لا قال : تقول للسخلة الحقى لا يأكلك الذئب كما أكل أخاك عام أول فى هذا المكان ، قال : فانتهينا إلى الراعى فقلنا له : ولدت هذه الشاة قبل عامك هذا ؟ قال : نعم ولدت سخلة عام أول ، فأكلها الذئب بهذا المكان ، ثم أتينا على قوم فيهم ظعينة على جمل لها ، وهو يرغو ، ويحنو عنقه إليها ، فقال : أتدرون ما يقول هذا البعير قلنا : لا ، قال : فإنه يلعن راكبته ، ويزعم أنها رحلته على مخيط وهو فى سنامه ، قال : فانتهينا إليهم ، فقلنا : يا هؤلاء إن صاحبنا يزعم أن هذا البعير يلعن راكبته ، ويزعم أنها رحلته على مخيط ، وأنه فى سنامه ، قال : فأناخوا البعير وحطوا عنه ، فإذا هو كما قال ، فهذه شاة قد حذرت سخلتها من الذئب مرة ، فحذرت ، وقد حذر الله سبحانه ابن آدم من ذئبه مرة بعد مرة ، وهو يأبى إلا أن يستجيب له إذا دعاه ، ويبيت معه ، ويصبح ﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ .

فصل : وأما الإركاس فقال تعالى : ﴿ فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ قال الفراء : أركسهم : ردهم إلى الكفر ، وقال أبو عبيدة :

يقال : ركست الشيء ، وأركسته لغتان إذا رددته ، والركس قلب الشيء على رأسه ، أو رد أوله على آخره والارتكاس الارتداد قال أمية :

فأركسوا فى حميم النار أنهم كانوا عصاة وقالوا الإفك والزورا

ومن هذا يقال للروث : الركس ؛ لأنه رد إلى حال النجاسة ؛ ولهذا المعنى سمى رجيعا ، والركس ، والنكس ، والمركوس ، والمنكوس ، بمعنى واحد ، قال الزجاج : أركسهم : نكسهم ، وردهم ، والمعنى : أنه ردهم إلى حكم الكفار من الذل ، والصغار وأخبر سبحانه عن حكمه ، وقضائه فيهم ، وعدله ، وإن كان إركاسه كان بسبب كسبهم ، وأعمالهم ، كما قال تعالى : ﴿ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ فهذا توحيده ، وهذا عدله ، لا ما تقوله القدرية المعطلة من أن التوحيد إنكار الصفات ، والعدل ، والتكذيب بالقدر .

فصل : وأما التثبيط فقال تعالى : ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾ والتثبيط : رد الإنسان عن الشيء الذى يفعله ، قال ابن عباس : يريد : خذلهم وكسلهم عن الخروج ، وقال فى رواية أخرى : حبسهم قال مقاتل ، وأوحى إلى قلوبهم اقعدوا مع القاعدين ، وقد بين سبحانه حكمته فى هذا التثبيط ، والخذلان ، قبل وبعد ، فقال : ﴿ إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾ فلما تركوا الإيمان به ، وبلقائه ، وارتابوا بما لا ريب فيه ، ولم يريدوا الخروج فى طاعة الله ، ولم يستعدوا له ، ولا أخذوا أهبة ذلك ، كره سبحانه انبعاث من هذا شأنه فإن من لم يرفع به ، وبرسوله ، أو كتابه ، رأسا ، ولم يقبل هديته التى أهداها إليه على يد أحب خلقه إليه ، وأكرمهم عليه ولم يعرف قدر هذه النعمة ، ولا شكرها ، بل بدلها كفرا ؛ فإن طاعة هذا ، وخروجه مع رسوله ، يكرهه

الله سبحانه ، فثبطه ؛ لئلا يقع ما يكره من خروجه ، وأوحى إلى قلبه قدرا وكونا أن يقعد مع القاعدين ، ثم أخبر سبحانه عن الحكمة التى تتعلق بالمؤمنين فى تثبيط هؤلاء عنهم ، فقال : ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا ﴾ والخبال : الفساد والاضطراب ، فلو خرجوا مع المؤمنين ، لأفسدوا عليهم أمرهم ، فأوقعوا بينهم الاضطراب ، والاختلاف ، قال ابن عباس : ما زادوكم إلا خبالا : عجزا وجبنا ، يعنى : يجبنوهم عن لقاء العدو بتهويل أمرهم وتعظيمهم فى صدورهم ، ثم قال : ﴿ ولأوضعوا خلالكم ﴾ أى : أسرعوا فى الدخول بينكم ، للتفريق ، والإفساد ، قال ابن عباس : يريد : ضعفوا شجاعتكم ، يعنى : بالتفريق بينهم لتفرق الكلمة ، فيجبنوا عن العدو ، وقال الحسن :لأوضعوا خلالكم بالنميمة لإفساد ذات البين ، وقال الكلبى : ساروا بينكم يبغونكم العيب قال لبيد :

أرانا موضعين لختم عيب وسحر بالطعام وبالشراب

أى مسرعين ومنه قول عمر بن أبى ربيعة :

تبالهن بالعرفان لما عرفننى وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

أى : أسرع حتى كلت مطيته ﴿ يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ﴾ قال قتادة : وفيكم من يسمع كلامهم ، ويطيعهم ، وقال ابن إسحاق : وفيكم قوم أهل محبة لهم ، وطاعة فيما يدعونهم إليه ؛ لشرفهم فيهم ، ومعناه على هذا القول : وفيكم أهل سمع وطاعة لهم ، لو صحبهم هؤلاء المنافقون أفسدوهم عليكم ، قلت : فتتضمن سماعين معنى مستجيبين ، وقال مجاهد ، وابن زيد ، والكلبى : المعنى : وفيكم عيون لهم ، ينقلون إليهم ما يسمعون منكم ، أى : جواسيس ، والقول هو الأول كما قال تعالى : ﴿ سماعون للكذب ﴾ أى : قابلون له ، ولم يكن فى المؤمنين جواسيس للمنافقين ؛ فإن المنافقين كانوا مختلطين بالمؤمنين : ينزلون معهم ، ويرحلون ، ويصلون معهم ، ويجالسونهم ، ولم يكونوا متحيزين عنهم ، قد أرسلوا فيهم العيون ينقلون إليهم

أخبارهم ؛ فإن هذا إنما يفعله من انحاز عن طائفة ، ولم يخالطها ، وأرصد بينهم عيونا له ، فالقول قول قتادة ، وابن إسحاق ، والله أعلم ، فإن قيل : انبعاثهم إلى طاعته : طاعة له ، فكيف يكرهها ؟ وإذا كان سبحانه يكرهها فهو يحب ضدها لا محالة ؛ إذ كراهة أحد الضدين تستلزم محبة الضد الآخر ؛ فيكون قعودهم محبوبا له فكيف يعاقبهم عليه ؟ قيل : هذا سؤال له شأن ، وهو من أكبر الأسئلة فى هذا الباب ، وأجوبة الطوائف على حسب أصولهم : فالجبرية تجيب عنه بأن أفعاله لا تعلل بالحكم والمصالح ، وكل ممكن فهو جائز عليه ، ويجوز أن يعذبهم على فعل ما يحبه ويرضاه ، وترك ما يبغضه ويسخطه ، والجميع بالنسبة إليه سواء ، وهذه الفرقة قد سدت على نفسها باب الحكمة والتعليل ، والقدرية تجيب عنه على أصولها بأنه سبحانه لم يثبطهم حقيقة ، ولم يمنعهم ، بل هم منعوا أنفسهم ، وثبطوها عن الخروج ، وفعلوا ما لا يريد ، ولما كان فى خروجهم المفسدة التى ذكرها الله سبحانه ألقى فى نفوسهم كراهة الخروج ، قالوا : وجعل سبحانه إلقاء كراهة الانبعاث فى قلوبهم كراهة مشيئة ، من غير أن يكره هو سبحانه انبعاثهم ؛ فإنه أمرهم به ، قالوا : وكيف يأمرهم بما يكرهه ، ولا يخفى على من نور الله بصيرته فساد هذين الجوابين ، وبعدهما من دلالة القرآن ، فالجواب الصحيح : أنه سبحانه أمرهم بالخروج له ، ولأمره ، واتباعا لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ونصرة له ، وللمؤمنين ، وأحب ذلك منهم ، ورضيه لهم دينا ، وعلم سبحانه أن خروجهم ، لو خرجوا ، لم يقع على هذا الوجه ، بل يكون خروجهم خذلان لرسوله ، وللمؤمنين ، فكان خروجا يتضمن خلاف ما يحبه ويرضاه ، ويستلزم وقوع ما يكرهه ويبغضه ، فكان مكروها له من هذا الوجه ، ومحبوبا له من الوجه الذى خرج عليه أولياؤه ، وهو يعلم أنه لا يقع منهم إلا على الوجه المكروه إليه ، فكرهه ، وعاقبهم على ترك الخروج الذى يحبه ويرضاه ، لا على ترك الخروج الذى يبغضه ويسخطه ، وعلى هذا فليس الخروج الذى

كرهه منهم طاعة ، حتى لو فعلوه لم يثبهم عليه ، ولم يرضه منهم ، وهذا الخروج المكروه له ضدان : أحدهما : الخروج المرضى المحبوب ، وهذا الضد هو الذى يحبه ، والثانى : التخلف عن رسوله ، والقعود عن الغزو معه ، وهذا الضد يبغضه . ويكرهه أيضا ، وكراهته للخروج على الوجه الذى كانوا يخرجون عليه لا ينافى كراهته لهذا الضد ، فنقول للسائل : قعودهم مبغوض له ، ولكن هاهنا أمران مكروهان له سبحانه ، وأحدهما أكره له من الآخر ؛ لأنه أعظم مفسدة ، فإن قعودهم مكروه له ، وخروجهم على الوجه الذى ذكره أكره إليه ، ولم يكن لهم بد من أحد المكروهين إليه سبحانه ، فدفع المكروه الأعلى بالمكروه الأدنى ؛ فإن مفسدة قعودهم عنه أصغر من مفسدة خروجهم معه ؛ فإن مفسدة قعودهم تختص بهم ، ومفسدة خروجهم تعود على المؤمنين ، فتأمل هذا الموضع ، فإن قلت : فهلا وفقهم للخروج الذى يحبه ويرضاه ، وهو الذى خرج عليه المؤمنون ؟ قلت : قد تقدم جواب مثل هذا السؤال مرارا ، وإن حكمته سبحانه تأبى أن يضع التوفيق فى غير محله ، وعند غير أهله ، فالله أعلم حيث يجعل هداه وتوفيقه وفضله ، وليس كل محل يصلح لذلك ، ووضع الشىء فى غير محله لا يليق بحكمته ، فإن قلت : وعلى ذلك فهلا جعل المحال كلها صالحة ؟ قلت : يأباه كمال ربوبيته ، وملكه ، وظهور آثار أسمائه وصفاته فى الخلق ، والأمر ، وهو سبحانه لو فعل ذلك لكان محبوبا له ؛ فإنه يحب أن يذكر ، ويشكر ، ويطاع ، ويوحد ، ويعبد ، ولكن كان ذلك يستلزم فوات ما هو أحب إليه من استواء أقدام الخلائق فى الطاعة والإيمان وهو : محبته لجهاد أعدائه ، والانتقام منهم ، وإظهار قدر أوليائه ، وشرفهم ، وتخصيصهم بفضله ، وبذل نفوسهم له فى معاداة من عاداه ، وظهور عزته ، وقدرته ، وسطوته ، وشدة أخذه ، وأليم عقابه ، وأضعاف أضعاف هذه الحكم التى لا سبيل للخلق ، ولو تناهوا فى العلم والمعرفة ، إلى الإحاطة بها ، ونسبة ما عقلوه منها إلى ما خفى عليهم كنقرة عصفور فى بحر .

فصل : وأما التزيين فقال تعالى : ﴿ كذلك زينا لكل أمة عملهم ﴾ وقال : ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ وقال : ﴿ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ فأضاف التزيين إليه منه سبحانه خلقا ، ومشيئة ، وحذف فاعله تارة ، ونسبه إلى سببه ومن أجراه على يده تارة ، وهذا التزيين منه سبحانه حسن ؛ إذ هو ابتلاء ، واختبار بعيد ؛ ليتميز المطيع منهم من العاصى ، والمؤمن من الكافر كما قال تعالى : ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾ وهو من الشيطان قبيح ، وأيضا فتزيينه سبحانه للعبد عمله السيئ عقوبة منه على إعراضه عن توحيده ، وعبوديته ، وإيثار سيئ العمل على حسنه ؛ فإنه لابد أن يعرِّفه سبحانه السيىء من الحسن ، فإذا آثر القبيح ، واختاره ، وأحبه ، ورضيه لنفسه ، زينه سبحانه له ، وأعماه عن رؤية قبحه ، بعد أن رآه قبيحا ، وكل ظالم ، وفاجر ، وفاسق لابد أن يريه الله تعالى ظلمه ، وفجوره ، وفسقه ، قبيحا ، فإذا تمادى عليه ارتفعت رؤية قبحه من قلبه ، فربما رآه حسنا عقوبة له ؛ فإنه إنما يكشف له عن قبحه بالنور الذى فى قلبه ، وهو حجة الله عليه ، فإذا تمادى فى غيه وظلمه ذهب ذلك النور ، فلم ير قبحه فى ظلمات الجهل ، والفسوق ، والظلم ، ومع هذا فحجة الله قائمة عليه بالرسالة ، وبالتعريف الأول ، فتزيين الرب تعالى : عدل ، وعقوبته : حكمة ، وتزيين الشيطان : إغواء ، وظلم ، وهو السبب الخارج عن العبد ، والسبب الداخل فيه : حبه ، وبغضه ، وإعراضه ، والرب سبحانه خالق الجميع ، والجميع واقع بمشيئته ، وقدرته ، ولو شاء لهدى خلقه أجمعين ، والمعصوم من عصمه الله ، والمخذول من خذله الله ، ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين .

فصل : وأما عدم مشيئته سبحانه ، وإرادته ، فكما قال تعالى : ﴿ أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ﴾ وقال : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ ﴿ ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ﴾ وعدم مشيئته

للشيء مستلزم لعدم وجوده ، كما أن مشيئته تستلزم وجوده ؛ فما شاء الله وجب وجوده ، وما لم يشأ امتنع وجوده ، وقد أخبر سبحانه أن العباد لا يشاءون إلا بعد مشيئته ، ولا يفعلون شيئا إلا بعد مشيئته فقال : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ وقال : ﴿ وما يذكرون إلا أن يشاء الله ﴾ فإن قيل : فهل يكون الفعل مقدورا للعبد فى حال عدم مشيئة الله له أن يفعله ؟ قيل : إن أريد بكونه مقدورا : سلامة آلة العبد التى يتمكن بها من الفعل ، وصحة أعضائه ، ووجود قواه ، وتمكينه من أسباب الفعل ، وتهيئة طريق فعله ، وفتح الطريق له ، فنعم هو مقدور بهذا الاعتبار ، وإن أريد بكونه مقدورا : القدرة المقارنة للفعل ، وهى الموجبة له التى إذا وجدت لم يتخلف عنها الفعل ؛ فليس بمقدور بهذا الاعتبار ، وتقرير ذلك : أن القدرة نوعان : قدرة مصححة ، وهى : قدرة الأسباب ، والشروط ، وسلامة الآلة ، وهى مناط التكليف ، وهذه متقدمة على الفعل ، غير موجبة له ، وقدرة مقارنة للفعل ، مستلزمة له ، لا يتخلف الفعل عنها ، وهذه ليست شرطا فى التكليف ، فلا يتوقف صحته وحسنه عليها ؛ فإيمان من لم يشأ الله إيمانه ، وطاعة من لم يشأ طاعتهُ ، مقدور بالاعتبار الأول ، غير مقدور بالاعتبار الثانى ، وبهذا التحقيق تزول الشبهة فى تكليف ما لا يطاق ، كما يأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالى فإذا قيل : هل خلق لمن علم أنه لا يؤمن قدرة على الإيمان ، أم لم يخلق له قدرة ؟ قيل : خلق له قدرة مصححة ، متقدمة على الفعل ، هى مناط الأمر ، والنهى ، ولم يخلق له قدرة موجبة للفعل ، مستلزمة له ، لا يتخلف عنها ، فهذا فضله يؤتيه من يشاء ، وتلك عدله التى تقوم بها حجته على عبده ، فإن قيل : فهل يمكنه الفعل ، ولم يخلق له هذه القدرة ؟ قيل : هذا هو السؤال السابق بعينه ، وقد عرفت جوابه وبالله التوفيق .

فصل : وأما إماتة قلوبهم ففى قوله : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ وقوله : ﴿ أو من كان ميْتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى

الظلمات ليس بخارج منها ﴾ وقوله : ﴿ لينذر من كان حيا ﴾ وقوله : ﴿ وما أنت بمسمع من فى القبور ﴾ فوصف الكافر بأنه ميت ، وأنه بمنزلة أصحاب القبور ؛ وذلك أن القلب الحى هو الذى يعرف الحق ، ويقبله ، ويحبه ، ويؤثره على غيره ، فإذا مات القلب لم يبق فيه إحساس ، ولا تمييز بين الحق والباطل ، ولا إرادة للحق وكراهة للباطل ، فهو بمنزلة الجسد الميت الذى لا يحس بلذة الطعام والشراب ، وألم فقدهما ، وكذلك وصف سبحانه كتابه ووحيه بأنه : روح ؛ لحصول حياة القلب به ، فيكون القلب حيا ، ويزداد حياة بروح الوحى ، فيحصل له حياة على حياة ، ونور على نور : نور الوحى على نور الفطرة قال : ﴿ يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ وقال : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ﴾ فجعله روحا لما يحصل به من الحياة ، ونورا لما يحصل به من الهدى والإضاءة ؛ وذلك نور وحياة زائدة على نور الفطرة وحياتها ؛ فهو نور على نور ، وحياة على حياة ؛ ولهذا يضرب سبحانه لمن عدم ذلك مثلا بمستوقد النار التى ذهب عنه ضوؤها ، وبصاحب الصيب الذى كان حظه منه الصواعق ، والظلمات ، والرعد ، والبرق ، فلا استنار بما أوقد من النار ، ولا حيى بما فى الصيب من الماء ، ولذلك ضرب هذين المثلين فى سورة الرعد لمن استجاب له فحصل على الحياة ، والنور ، ولمن لم يستجب له وكان حظه الموت والظلمة ، فأخبر عمن أمسك عنه نوره بأنه فى الظلمة ، ليس له من نفسه نور ، فقال تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ﴾ ثم ذكر من أمسك عنه هذا النور ، ولم يجعله له فقال : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم

يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب * أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ وفي المسند من حديث عبد الله بن عمر قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله خلق خلقه في ظلمة ، ثم ألقى عليهم من نوره ؛ فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ضل ؛ فلذلك أقول جف القلم على علم الله » وقال تعالى : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾ وهذه الظلمات ضد الأنوار التي يتقلب فيها المؤمن ، فإن نور الإيمان في قلبه ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، وعلمه نور ، ومشيئته في الناس نور ، وكلامه نور ، ومصيره إلى نور ، والكافر بالضد . ولما كان النور من أسمائه الحسنى وصفاته كان دينه نورا ، ورسوله نورا ، وكلامه نورا ، وداره نورا يتلألأ ، والنور يتوقد في قلوب عباده المؤمنين ، ويجرى على ألسنتهم ، ويظهر على وجوههم ، وكذلك لما كان الإيمان واسمه المؤمن لم يعطه إلا أحب خلقه إليه ، وكذلك الإحسان صفته وهو المحسن ويحب المحسنين ، وهو صابر يحب الصابرين ، شاكر يحب الشاكرين ، عفو يحب أهل العفو ، حييٌّ يحب أهل الحياء ، ستير يحب أهل الستر ، قوى يحب أهل القوة من المؤمنين ، عليم يحب أهل العلم من عباده ،جواد يحب أهل الجود ، جميل يحب المتجملين ، بر يحب الأبرار ، رحيم يحب الرحماء ، عدل يحب أهل العدل ، رشيد يحب أهل الرشد ، وهو الذي جعل من يحبه من خلقه كذلك ، وأعطاه من هذه الصفات ما شاء ، وأمسكها عمن يبغضه ، وجعله على أضدادها ، فهذا عدله ، وذاك فضله ، والله ذو الفضل العظيم .

فصل : وأما جعل القلب قاسيا فقال تعالى ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعنَّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾

والقسوة : الشدة والصلابة فى كل شيء ، يقال : حجر قاس ، وأرض قاسية لا تنبت شيئا ، قال ابن عباس : قاسية عن الإيمان ، وقال الحسن : طبع عليها ، والقلوب ثلاثة ، قلب قاس ، وهو : اليابس الصلب الذى لا يقبل صورة الحق ، ولا تنطبع فيه ، وضده القلب اللين المتماسك ، وهو : السليم من المرض ، الذى يقبل صورة الحق بلينه ، ويحفظه بتماسكه ، بخلاف المريض الذى لا يحفظ ما ينطبع فيه لميعانه ، ورخاوته ، كالمائع الذى إذا طبعت فيه الشيء قبل صورته بما فيه من اللين ، ولكن رخاوته تمنعه من حفظها ، فخير القلوب القلب الصلب اللين ؛ فهو يرى بصفائه ، ويقبله بلينه ، ويحفظه بصلابته ، وفى المسند وغيره عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « القلوب آنية الله فى أرضه ، فأحبها إليه : أصلبها ، وأرقها ، وأصفاها » وقد ذكر سبحانه أنواع القلوب فى قوله : ﴿ ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفى شقاق بعيد * وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ﴾ فذكر القلب المريض وهو : الضعيف المنحل الذى لا تثبت فيه صورة الحق ، والقلب القاسى : اليابس الذى لا يقبلها ، ولا تنطبع فيه ، فهذان القلبان شقيان معذبان ، ثم ذكر القلب المخبت المطمئن إليه ، وهو الذى ينتفع بالقرآن ويزكو به ، قال الكلبى : فتخبت له قلوبهم : فترق للقرآن قلوبهم ، وقد بين سبحانه حقيقة الإخبات ، ووصف المخبتين فى قوله : ﴿ وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ فذكر للمخبتين أربع علامات : وجل قلوبهم عند ذكره ، والوجل : الخوف مقرون بهيبة ومحبة ، وصبرهم على أقداره ، وإتيانهم بالصلاة قائمة الأركان ظاهرًا وباطنا ، وإحسانهم إلى عباده بالإنفاق مما آتاهم ، وهذا إنما يتأتى للقلب المخبت ، قال ابن عباس : المخبتين : المتواضعين ، وقال مجاهد : المطمئنين إلى الله ، وقال الأخفش : الخاشعين ، وقال ابن جرير : الخاضعين ، قال الزجاج :

اشتقاقه من الخبت : وهو المنخفض من الأرض ، وكل مخبت متواضع ، فالإخبات : سكون الجوارح على وجه التواضع ، والخشوع لله ، فإن قيل : فإذا كان معناه التواضع والخشوع فكيف عدى بإلى فى قوله : ﴿ وأخبتوا إلى ربهم ﴾ ؟ قيل : ضمن معنى أنابوا واطمأنوا وتابوا ، وهذه عبارات السلف فى هذا الموضوع ، والمقصود : أن القلب المخبت ضد القاسى والمريض ، وهو سبحانه الذى جعل بعض القلوب مخبتا إليه ، وبعضها قاسيا ، وجعل للقسوة آثارا ، وللإخبات آثارا ، فمن آثار القسوة : تحريف الكلم عن مواضعه ، وذلك من سوء الفهم ، وسوء القصد ، وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب ، ومنها : نسيان ما ذكر به ، وهو : ترك ما أمر به علما وعملا ، ومن آثار الإخبات : وجل القلوب لذكره سبحانه ، والصبر على أقداره ، والإخلاص فى عبوديته ، والإحسان إلى خلقه .

فصل : وأما تضييق الصدر ، وجعله حرجا لا يقبل الإيمان ، فقال تعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ﴾ ، والحرج : هو الشديد الضيق فى قول أهل اللغة جميعهم ، يقال : رجل حرج ، وحرج : أى ضيق الصدر .

قال الشاعر :

لا حرج الصدر ولا عنيف

وقال عبيد بن عمير : قرأ ابن عباس هذه الآية ، فقال : هل هنا أحد من بنى بكر ، قال رجل : نعم ، قال : ما الحرجة فيكم ؟ قالوا : الوادى الكثير الشجر ، الذى لا طريق فيه فقال ابن عباس : كذلك قلب الكافر ، وقرأ عمر ابن الخطاب الآية فقال : إيتونى رجلًا من كنانة واجعلوه راعيا ، فأتوه به فقال عمر يا فتى ما الحرجة فيكم ؟ فقال : الشجرة تحدق بها الأشجار الكثيرة فلا تصل إليها راعية ولا وحشية ، فقال عمر : كذلك قلب الكافر لا يصل إليه

شيء من الخير ، قال ابن عباس : يجعل صدره ضيقا حرجا إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه وإن ذكر شيء من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك ، ولما كان القلب محلا للمعرفة والعلم والمحبة والإنابة ، وكانت هذه الأشياء إنما تدخل فى القلب إذا اتسع لها فإذا أراد الله هداية عبده وسع صدره وشرحه فدخلت فيه وسكنته ، وإذا أراد ضلاله ضيق صدره وأحرجه فلم يجد محلا يدخل فيه فيعدل عنه ولا يساكنه ، وكل إناء فارغ إذا دخل فيه الشيء ضاق به ، وكلما أفرغت الشيء ضاق إلا القلب اللين فكلما أفرغ منه الإيمان والعلم اتسع وانفسح ، وهذا من آيات قدرة الرب تعالى .

وفى الترمذى وغيره ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إذا دخل النور القلب انفسخ وانشرح » ، قالوا : فما علامة ذلك يا رسول الله ، قال : « الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله » ، فشرح الصدر من أعظم أسباب الهدى ، وتضييقه من أسباب الضلال ، كما أن شرحه من أجل النعم وتضييقه من أعظم النقم ، فالمؤمن منشرح الصدر منفسحه فى هذه الدار على ما ناله من مكروهها ، وإذا قوى الإيمان وخالطت بشاشته القلوب كان على مكارهها أشرح صدرًا منه على شهواتها ومحابها ، فإذا فارقها كان انفساح روحه ، والشرح الحاصل له بفراقها أعظم بكثير كحال من خرج من سجن ضيق إلى فضاء واسع موافق له ، فإنها سجن المؤمن فإذا بعثه الله يوم القيامة رأى من انشراح صدره وسعته ما لا نسبة لما قبله إليه ، فشرح الصدر كما أنه سبب الهداية فهو أصل كل نعمة وأساس كل خير .

وقد سأل كليم الرحمن موسى بن عمران ربه أن يشرح صدره لما علم أنه لا يتمكن من تبليغ رسالته والقيام بأعبائها ، إلا إذا شرح له صدره ، وقد عدد سبحانه من نعمه على خاتم أنبيائه ورسله شرح صدره له وأخبر عن أتباعه أنه شرح صدورهم للإسلام فإن قلت فما الأسباب التى تشرح الصدور والتى

تضيقها ، قلت : السبب الذى يشرح الصدر ، النور الذى يقذفه الله فيه فإذا دخله ذلك النور اتسع بحسب قوة النور وضعفه ، وإذا فقد ذلك النور أظلم وتضايق ، فإن قلت فهل يمكن اكتساب هذا النور أم هو وهبى ؟، قلت هو وهبى وكسبى ، واكتسابه أيضا مجرد موهبة من الله تعالى ، فالأمر كله لله والحمد كله له ، والخير كله بيديه ، وليس مع العبد من نفسه شيء البتة ، بل الله واهب الأسباب ومسبباتها وجاعلها أسبابا ومانحها من يشاء ومانعها من يشاء ، إذا أراد بعبده خيرا وفقه لاستفراغ وسعه ، وبذل جهده فى الرغبة والرهبة إليه ، فإنهما مادتا التوفيق فبقدر قيام الرغبة والرهبة فى القلب يحصل التوفيق .

فإن قلت فالرغبة والرهبة بيده ، لا بيد العبد قلت : نعم والله ، وهما مجرد فضله ومنته وإنما يجعلها فى المحل الذى يليق بهما ويحبسهما عمن لا يصلح لهما ، فإن قلت فما ذنب من لا يصلح ؟ قلت : أكثر ذنوبه أنه لا يصلحَّ لأن صلاحيته بما اختاره لنفسه وآثره وأحبه من الضلال والغى على بصيرة من أمره ، فآثر هواه على حق ربه ومرضاته ، واستحب العمى على الهدى ، وكان كفر المنعم عليه بصنوف النعم وجحده لهيئته والشرك به ، والسعى فى مساخطه أحب إليه من شكره وتوحيده ، والسعى فى مرضاته فهذا من عدم صلاحيته لتوفيق خالقه ومالكه ، وأى ذنب فوق هذا . فإذا أمسك الحكم العدل توفيقه عمن هذا شأنه كان قد عدل فيه وانسدت عليه أبواب الهداية وطرق الرشاد ؛ فأظلم قلبه فضاق عن دخول الإسلام والإيمان فيه ، فلو جاءته كل آية لم تزده إلا ضلالًا وكفرًا .

وإذا تأمل من شرح الله صدره للإسلام والإيمان هذه الآية ، وما تضمنته من أسرار التوحيد والعذر والعدل وعظمة شأن الربوبية صار لقلبه عبودية أخرى ، ومعرفة خاصة ، وعلم أنه عبد من كل وجه وبكل اعتبار ، وأن الرب تعالى رب كل شيء ومليكه من الأعيان والصفات والأفعال ، والأمر كله بيده

والحمد كله له وأزمَّة الأمور بيده ، ومرجعها كلها إليه ولهذه الآية شأن فوق عقولنا ، وأجل من أفهامنا ، وأعظم مما قال فيها المتكلمون الذين ظلموها معناها وأنفسهم كانوا يظلمون ، تالله لقد غلظ عنها حجابهم ، وكثفت عنها أفهامهم ومنعتهم من الوصول إلى المراد بها أصولهم التى أصلوها ، وقواعدهم التى أسسوها فإنها تضمنت إثبات التوحيد والعدل الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ، والعدل الذى يقوله معطلو الصفات ونفاة القدر ، وتضمنت إثبات الحكمة والقدرة والشرع والسبب والحكم والذنب والعقوبة ، ففتحت للقلب الصحيح بابا واسعا من معرفة الرب تعالى بأسمائه وصفات كماله ، ونعوت جلاله ، وحكمته فى شرعه وقدره وعدله فى عقابه وفضله فى ثوابه ، وتضمنت كمال توحيده وربوبيته وقيوميته وإلهيته وأن مصادر الأمور كلها عن محض إرادته ومردها إلى كمال حكمته ، وأن المهدى من خصه الله بهدايته ، وشرح صدره لدينه وشريعته ، وأن الضال من جعل صدره ضيقا حرجا عن معرفته ومحبته كأنما يتصاعد فى السماء وليس ذلك فى قدرته وإن ذلك عدل فى عقوبته لمن لم يقدره حق قدره ، وجحد كمال ربوبيته وكفر بنعمته وآثر عبادة الشيطان على عبوديته ، فسد عليه باب توفيقه وهدايته وفتح عليه أبواب غيه وضلاله ، فضاق صدره وقسا قلبه ، وتعطلت من عبودية ربها جوارحه وامتلأت بالظلمة جوانحه ، والذنب له حيث أعرض عن الإيمان واستبدل به الكفر والفسوق والعصيان ، ورضى بموالاة الشيطان ، وهانت عليه معاداة الرحمن ، فلا يحدث نفسه بالرجوع إلى مولاه ، ولا يعزم يوما على إقلاعه عن هواه ، قد ضاد الله فى أمره ؛ يحب ما يبغضه ، ويبغض ما يحبه ويوالى من يعاديه ، ويعادى من يواليه ، يغضب إذا رضى الرب ويرضى إذا غضب هذا وهو يتقلب فى إحسانه ويسكن فى داره ، ويتغذى برزقه ، ويتقوى على معاصيه بنعمه فمن أعدل منه سبحانه عما يصفه به الجاهلون والظالمون إذا جعل الوحى على أمثال هذا من الذين لا يؤمنون .

فصل : إذا شرح الله صدر عبده بنوره الذى يقذفه فى قلبه ، أراه فى ضوء ذلك النور حقائق الأسماء والصفات التى تضل فيها معرفة العبد ، إذ لا يمكن أن يعرفها العبد على ما هى عليه فى نفس الأمر ، وأراه فى ضوء ذلك النور حقائق الإيمان ، وحقائق العبودية ، وما يصححها وما يفسدها ، وتفاوت معرفة الأسماء والصفات والإيمان والإخلاص وأحكام العبودية بحسب تفاوتهم فى هذا النور ، قال تعالى : ﴿ أومن كان ميْتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ﴾ فكشف لقلب المؤمن فى ضوء ذلك النور عن حقيقة المثل الأعلى مستويا على عرش الإيمان فى قلب العبد المؤمن ، فيشهد بقلبه ربا عظيما قاهرا قادرا أكبر من كل شيء فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله ، السموات السبع قبضة إحدى يديه ، والأرضون السبع قبضة اليد الأخرى ، يمسك السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع ، والشجر على أصبع ، والثرى على أصبع ، ثم يهزهن ، ثم يقول : أنا الملك فالسموات السبع فى كفه كخردلة فى كف العبد يحيط ولا يحاط به ، ويحصر خلقه ولا يحصرونه ، ويدركهم ولا يدركونه ، لو أن الناس من لدن آدم إلى آخر الخلق قاموا صفا واحدا ما أحاطوا به سبحانه ، ثم يشهده فى علمه فوق كل عليم وفى قدرته فوق كل قدير ، وفى جوده فوق كل جواد ، وفى رحمته فوق كل رحيم ، وفى جماله فوق كل جميل حتى لو كان جمال الخلائق كلهم على شخص واحد منهم ، ثم أعطى كلهم مثل ذلك الجمال لكانت نسبته إلى جمال الرب سبحانه دون نسبة سراج ضعيف إلى ضوء الشمس ولو اجتمعت قوة الخلائق على شخص واحد منهم ، ثم أعطى كل منهم مثل تلك القوة لكانت نسبتها إلى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوضة إلى حملة العرش ، ولو كان جودهم على رجل واحد ، وكل الخلائق على ذلك الجود ، لكانت نسبته إلى جوده دون نسبة قطرة إلى البحر ، وكذلك علم الخلائق إذا نسب إلى علمه كان كنقرة عصفور من البحر ، وكذلك سائر صفاته كحياته وسمعه وبصره

وإرادته ، فلو فرض البحر المحيط بالأرض مدادا تحيط به سبعة أبحر وجميع أشجار الأرض شيئا بعد شيء أقلام لفنى ذلك المداد والأقلام ولا تفنى كلماته ، فهو أكبر فى علمه من كل عالم وفى قدرته من كل قادر ، وفى جوده من كل جواد ، وفى غناه من كل غنى ، وفى علوه من كل عال ، وفى رحمته من كل رحيم ، استوى على عرشه ، واستولى على خلقه ، متفرد بتدبير مملكته فلا قبض ولا بسط ولا منع ، ولا هدى ، ولا ضلال ، ولا سعادة ، ولا شقاوة ، ولا موت ولا حياة ، ولا نفع ولا ضر ، إلا بيده ، لا مالك غيره ، ولا مدبر سواه ، لا يستقل أحد معه بملك مثقال ذرة فى السموات والأرض ولا له شركة فى ملكها ، ولا يحتاج إلى وزير ، ولا ظهير ، ولا معين ، ولا يغيب فيخلفه غيره ، ولا يعيى فيعينه سواه ، ولا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه لمن شاء وفيمن شاء ، فهو أول مشاهد المعرفة ، ثم يترق منه إلى مشهد فوقه لا يتم إلا به ، وهو مشهد الإلهية فيشهده سبحانه متجليا فى كماله بأمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، وثوابه وعقابه ، وفضله فى ثوابه ، فيشهد ربا قيوما متكلما آمرا ناهيا ، يحب ويبغض ، ويرضى ويغضب ، قد أرسل رسله ، وأنزل كتبه ، وأقام على عباده الحجة البالغة ، وأتم عليهم نعمته السابغة ، يهدى من يشاء نعمة منه وفضلا ، ويضل من يشاء حكمة منه وعدلا ، ينزل إليهم أوامره وتعرض عليه أعمالهم ، لم يخلقهم عبثا ، ولم يتركهم سدى بل أمره جار عليهم فى حركاتهم وسكناتهم ، وظواهرهم وبواطنهم ، فلله عليهم حكم وأمر فى كل تحريكة وتسكينة ، ولحظة ولفظة ، وينكشف له فى هذا النور عدله وحكمته ، ورحمته ولطفه ، وإحسانه وبره ، فى شرعه وأحكامه ، وأنها أحكام رب رحيم ، محسن لطيف حكيم ، قد بهرت حكمته العقول وأقرت بها الفطر ، وشهدت لمنزلها بالوحدانية ولمن جاء بها بالرسالة والنبوة ، وينكشف له فى ضوء ذلك النور إثبات صفات الكمال وتنزيهه سبحانه عن النقص والمثال ، وإن كل كمال فى الوجود فمعطيه وخالقه

أحق به وأولى وكل نقص وعيب ، فهو سبحانه ، منزه متعال عنه وينكشف له فى ضوء هذا النور حقائق المعاد واليوم الآخر وما أخبر به الرسول عنه حتى كأنه يشاهده عيانا وكأنه يخبر عن الله وأسمائه وصفاته وأمره ونهيه ، ووعده ووعيده إخبار من كأنه قد رأى ، وعاين وشاهد ما أخبر به ، فمن أراد سبحانه هدايته شرح صدره لهذا فاتسع له وانفسح ، ومن أراد ضلالته جعل صدره من ذلك فى ضيق وحرج لا يجد فيه مسلكا ولا منفذا والله الموفق المعين .

وهذا الباب يكفى اللبيب فى معرفة القدر والحكمة ، ويطلعه على العدل والتوحيد الذى تضمنهما قوله : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم * إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ا . هـ كلامه رحمه الله .

سبقت كلمة الله بما هو كائن

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٩٨) : حدثنا حبان بن موسى ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لرجل ممن معه يدعى الإسلام : « هذا من أهل النار » ، فلما حضر القتال قاتل الرجل من أشد القتال ، وكثرت به الجراح فأثبتته فجاء رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال يا رسول الله : أرأيت الذى تحدثت أنه من أهل النار قاتل فى سبيل الله من أشد القتال فكثرت به الجراح فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أما إنه من أصحاب النار » ، فكاد بعض الناس يرتاب فبينا هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح فأهوى بيده إلى كنانة فانتزع منها سهما ، فانتحر بها فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالوا : يارسول الله صدق الله حديثك قد انتحر فلان فقتل نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة إلا مؤمن وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » .

قال الإمام أحمد بن عمرو بن أبى عاصم النبيل فى كتاب السنة (ج ١ ص ٩٦) : ثنا دحيم ثنا ، أبو اليمان ، عن شعيب ، عن الزهرى ، عن أنس

ابن مالك ، عن أم حبيبة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « أُريت ما تلقى أمتى من بعدى ، وسفك بعضهم دماء بعض ، فأحزننى وشق علىّ ، وسبق كما سبق فى الأمم قبلها فسألت الله تعالى أن يولينى شفاعتهم[1] فيهم يوم القيامة ففعل » .

قال الشيخ الألبانى ـ حفظه الله ـ : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وقد أعل بما لا يقدح ، وقد كنت بينت ذلك فى الأحاديث الصحيحة (١٤٤٠) بما يكفى ويشفى إن شاء الله .

الاختلاف الكائن بقدر

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ .

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص ٣٥٨) : حدثنا أحمد بن حنبل ، أخبرنا الوليد بن مسلم ، أخبرنا ثور بن يزيد ، حدثنى خالد بن معدان ، حدثنى عبد الرحمن بن عمرو السلمى ، وحجر بن حجر قالا : أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ﴾ فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين ، وعائدين ، ومقتبسين فقال العرباض صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟

---

(١) كذا فى الأصل وفى المستدرك (ج ١ ص ٦٨) وسألته أن يولينى يوم القيامة شفاعة فيهم فقبل . وفى التوحيد لابن خزيمة (ص ٢٧٣) نحو ما فى المستدرك إلا أن عنده ففعل كما عند ابن أبى عاصم .

فقال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرًا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .

عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر الكلاعى : كلاهما مستور الحال ، فالحديث حسن لغيره وله طرق يرتقى بها إلى الصحة .

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص ٣٤٠) : حدثنا وهب بن بقية ، عن خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » .

هذا الحديث بهذا السند حسن .

وقد وقع ما أخبر به النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ومن قرأ فى كتب الملل والنحل يجد ما يذهله .

ولقد ابتلى المسلمون اليوم بالحزبية التى مسخت كثيرا من الشباب وفرقت شمل المسلمين ، ورب العزة يقول فى كتابه الكريم ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ ، ويقول ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ ، ويقول ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ﴾ .

والحزبيون من لم يكن معهم ، تنكروا له ونفروا عنه ، ولا إله إلَّا الله كم من شاب مسخوه بسبب الحزبية يكون حافظًا للقرآن مبرزا فى العلوم الدينية ، فإذا التحق بهم شغلوه بالترهات والأباطيل حتى تذهب معلوماته .

والناس ينقسمون إلى حزبين حزب الرحمن ، وحزب الشيطان كما أخبرنا الله فى كتابه .

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص ٣٤١) : حدثنا أحمد بن حنبل ، ومحمد بن يحيى قالا : أخبرنا أبو المغيرة أخبرنا صفوان .

(ح) وأخبرنا عمرو بن عثمان ، حدثنا بقية ، حدثنى صفوان نحوه قال : حدثنى أزهر بن عبد الله الحراز ، عن أبى عامر الهوزنى ، عن معاوية بن أبى سفيان ، أنه قام فينا فقال ألا إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قام فينا فقال : ألا إن مَن قبلكم من أهل الكتاب تفرقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين . ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة .

زاد ابن يحيى وعمرو فى حديثهما ، وأنه سيخرج فى أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه ، وقال عمرو : الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله .

الحديث حسن لغيره . أزهر بن عبد الله الحرازى ما وثقه معتبر بل تكلم فيه ؛ لأنه يسب عليا .

ولكن الحديث فى الشواهد كما ترى .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٢١٥) : حدثنا أبو الربيع العتكى وقتيبة ابن سعيد كلاهما عن حماد بن زيد ، واللفظ لقتيبة ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أبى أسماء ، عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكُها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإنى سألت ربى لأمتى ألا يهلكهم بسنة عامة ، وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربى قال : يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإنى أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا » .

وحدثنى زهير بن حرب ، وإسحاق بن إبراهيم ، ومحمد بن المثنى ، وابن بشار قال إسحاق : أخبرنا ، وقال الآخرون : حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنى أبى ، عن قتادة ، عن أبى قلابة ، عن أبى أسماء الرحبى ، عن ثوبان ، أن نبى الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إن الله تعالى زوى لى الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها ، وأعطانى كنزين الأحمر والأبيض » ، ثم ذكر نحو حديث أيوب عن أبى قلابة .

حديث ثوبان رواه أبو داود (ج ١ ص ٣٢٣) ، وزاد فيه : « وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين وإذا وضع السيف فى أمتى ، لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان ، وإنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبى ، وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى ، ولا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله تعالى » .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٢٢٦) : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا عبد الله بن نمير .

(ح) وحدثنا ابن نمير ، واللفظ له حدثنا أبى ، حدثنا عثمان بن حكيم ، أخبرنى عامر بن سعد ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بنى معاوية ، دخل فركع فيه ركعتين ، وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال : صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « سألت ربى ثلاثا ، فأعطانى ثنتين ومنعنى واحدة . سألت ربى ألا يهلك أمتى بالسنة فأعطانيها ، وسألته ألا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها ، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » .

وحدثنا ابن أبى عمر ، حدثنا مروان بن معاوية ، حدثنا عثمان بن حكيم الأنصارى ، أخبرنى عامر بن سعد ، عن أبيه أنه أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى طائفة من أصحابه فمر بمسجد بنى معاوية بمثل حديث ابن نمير .

قال أبو داود رحمه الله (ج ١١ ص ٤٩٧) : حدثنا القعنبى ، أن عبد العزيز بن أبى حازم ، حدثهم ، عن أبيه ، عن عمارة بن عمرو ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « كيف بكم وبزمان أو يوشك أن يأتى زمان يغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس ، قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا » ، وشبك بين أصابعه فقالوا : كيف بنا يا رسول الله فقال : « تأخذون ما تعرفون ، وتذرون ما تنكرون ، وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم » .

قال أبو داود : هكذا روى عن عبد الله بن عمرو ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حدثنا هارون بن عبد الله ، أخبرنا الفضل بن دكين ، أخبرنا يونس بن أبى إسحاق ، عن هلال بن خباب أبى العلاء ، قال : حدثنى عكرمة ، قال : حدثنى عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ ذكر الفتنة فقال : « إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم ، وخفت أمانتهم ، وكانوا هكذا » ، وشبك بين أصابعه قال : فقمت إليه فقلت : كيف أفعل عند ذلك جعلنى الله فداك قال : « الزم بيتك ، وأملك عليك لسانك ، وخذ بما تعرف ، ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة » .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٢ ص ٢٢٠) : ثنا حسين بن محمد ، ثنا محمد بن طريف ، عن أبى حازم ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « يأتى على الناس زمان يغربلون فيه غربلة ، يبقى منهم حثالة قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا ، فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه » . قالوا يا رسول الله : فما المخرج من ذلك قال : « تأخذون ما تعرفون ، وتدعون ما تنكرون ، وتقبلون على أمر خاصتكم وتدعون أمر عامتكم » .

عمرو بن شعيب ، مختلف فى الاحتجاج به ، وهو هنا فى المتابعات .

قال الإمام الطحاوى رحمه الله فى مشكل الآثار (ج ٢ ص ٦٨) : حدثنا بحر بن نصر ، ثنا عبد الله بن وهب ، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن[1] عن عمرو مولى المطلب ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال لعبد الله بن عمرو : « كيف بك يا عبد الله بن عمرو إذا بقيت فى حثالة من الناس قد مرجت أمانتهم ، ومرجت عهودهم ، واختلفوا » ، فقال عبد الله : فكيف تأمرنى يا رسول الله ؟ قال : « تعمل بما تعرف ، وتدع ما تنكر ، وتعمل بخاصة نفسك ، وتدع عنك عوام الناس » .

حدثنا يحيى بن عثمان[2] ثنا عبد الله بن محمد الفهمى[3] ثنا سليمان بن بلال ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ وآله وسلم ثم ذكر مثله سواء .

هذا حديث حسن ، وقد رواه ابن حبان كما فى الموارد (ص ٤٥٧) فقال : أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أمية بن بسطام ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا روح بن القاسم ، عن العلاء ، عن أبيه به .

زيغ القلب

قال الله سبحانه وتعالى حاكيا عن الراسخين فى العلم : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

---

(١) فى الأصل يعقوب بن عبد الرحمن بن عمرو مولى المطلب والصواب ما أثبتناه – كما ترجمه يعقوب . من تهذيب الكمال .

(٢) يحيى بن عثمان : هو يحيى بن عثمان بن صالح المصرى ، قال ابن أبى حاتم كتبت عنه ، وكتب عنه أبى وتكلموا فيه .

(٣) عبد الله بن محمد الفهمى المصرى ويقال له البيطار ، قال ابن أبى حاتم أنا موسى ابن سهيل الرملى ، فيما كتب إلى قال سألت أحمد بن صالح ، عن عبد الله بن محمد البيطار فقال : هو ثقة .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ .

قال الإمام ابن جرير رحمه الله (ج ١٣ ص ١١٢) بتحقيق محمود شاكر حدثنا أحمد بن منصور المروزى ، قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن بكر ، قال : سمعت ابن عيينة يقول فى قول الله : ﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾ ، قال يقول : أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتى .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٥١٣) : حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن عبد الله قال : كثيرا ما كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحلف : « لا ومقلب القلوب » .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٤٥) : حدثنى زهير بن حرب وابن نمير كلاهما عن المقرئ قال زهير : حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ

قال حدثنا حيوة أخبرنى أبو هانئ أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلى أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفه حيث يشاء » . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا على طاعتك » . قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٣٧٧) : حدثنا سعيد بن سليمان عن ابن المبارك عن موسى بن عقبة عن سالم عن عبد الله قال : أكثر ما كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحلف : « لا ومقلب القلوب » .

قال الإمام أبو عبد الله بن ماجة رحمه الله (ج ١ ص ٧٢) : حدثنا هشام ابن عمار ثنا صدقة بن خالد ثنا ابن جابر قال سمعت بسر بن عبيد الله يقول سمعت أبا إدريس الخولانى يقول حدثنى النواس بن سمعان الكلابى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك » قال : « والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين » .

وقال الإمام أبو بكر بن خزيمة فى كتاب التوحيد (ص ٨٠) : حدثنا عبد الله بن محمد الزهرى والحسين بن عبد الرحمن الجرجرائى ومحمد بن محمد ابن خلاد الباهلى ومحمد بن ميمون ومحمد بن منصور المكيان قال حدثنى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وقال حدثنى بسر بن عبيد الله الحضرمى قال حدثنى أبو إدريس الخولانى قال حدثنى النواس بن سمعان الكلابى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الله تعالى ، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه . وكان رسول الله صلى

الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يخفض ويرفع » .

هذا حديث الباهلى وقال الآخران : فإذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاغه . وقال محمد بن ميمون أو قال : يضع ويخفض بالشك وقال الحسين بن عبد الرحمن قال حدثنى عبد الرحمن بن يزيد الأزدى وقال : هو والجرجرائى أيضا ، يا مقلب القلوب .

وقال لنا عبد الله بن محمد الزهرى مرة ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين فإذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاغه . اهـ .

وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده (ج ٤ ص ١٨٢) فقال : ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت ابن جابر يقول حدثنى بسر بن عبيد الله الحضرمى أنه سمع أبا إدريس الخولانى يقول سمعت النواس بن سمعان يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه » . وكان يقول : « يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن عز وجل يخفضه ويرفعه » . اهـ .

وأخرجه النسائى فى الكبرى كما فى تحفة الأشراف ، فأخرجه عن محمد بن حاتم عن حبان عن ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن بسر ابن عبيد الله عن أبى إدريس الخولانى عنه ، أى عن النواس به .

قال الإمام البخارى فى التاريخ (ج ٤ ص ٧٠) : حدثنا عبد الله بن يوسف نا عبد الله بن سالم نا إبراهيم بن سليمان الأفطس عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشى عن جبير بن نفير أخبرنى سلمة بن نفيل السكونى قال : دنوت من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حتى كادت ركبتاى تمس

فخذه فقلت : يا رسول الله سيئ بالخيل ، وألقى السلاح ،وزعموا أن لا قتال قال : « كذبوا ، الآن جاء القتال لا تزال من أمتى أمة قائمة على الحق ، ظاهرة على الناس ، يزيغ الله قلوب قوم فيقاتلوهم ؛ لينالوا منهم » قال وهو مول ظهره إلى اليمن : « إنى لأجد نفس الرحمن من ههنا ولقد أوحى إلى أنى مكفوت غير ملبث وتتبعونى أفذاذا والخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها » . هذا حديث صحيح مسلسل بالشاميين .

الحديث أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (ص ٥٨٣) والطبرانى (ج ٧ ص ٦٠) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ١٠٤) : ثنا الحكم بن نافع قال ثنا إسماعيل بن عياش عن إبراهيم بن سليمان عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشى عن جبير بن نفير أن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : إنى سئمت الخيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها قلت : لا قتال . فقال له النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « الآن جاء القتال ، لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الناس ، يزيغ[1] الله قلوب أقوام ، فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم ، حتى يأتى أمر الله عز وجل وهم على ذلك ألا إن عقر دار المؤمنين الشام والخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة » سنده حسن وإسماعيل بن عياش إذا روى عن الشاميين فروايته مقبولة .

قال الإمام النسائى رحمه الله (ج ٦ ص ٢١٤) : أخبرنا أحمد بن

---

(١) فى الأصل يرفع والصواب ما أثبتناه كما فى تاريخ البخارى والأسماء والصفات للبيهقى والطبرانى فى الكبير والنسائى كما سيأتى إن شاء الله بعد هذا ، وهكذا فى تفسير ابن كثير (ج ٤ ص ١٧٣) : نقلا عن المسند .

عبد الواحد قال حدثنا مروان وهو ابن محمد قال حدثنا خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح المرى قال حدثنا إبراهيم بن أبى عبلة عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشى عن جبير بن نفير عن سلمة بن نفيل الكندى قال : كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال رجل : يا رسول الله أذال[1] الناس ووضعوا السلاح وقالوا لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها فأقبل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بوجهه وقال : « كذبوا الآن جاء القتال ولا يزال من أمتى أمة يقاتلون على الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم ، حتى تقوم الساعة وحتى يأتى وعد الله والخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة وهو يوحى إلى أنى مقبوض غير ملبث وأنتم تتبعونى أفنادا ؛ يضرب بعضكم رقاب بعض ، وعقر دار المؤمنين بالشام » .

هذا حديث صحيح ورجاله ثقات .

وأخرجه الطبرانى (ج ٧ ص ٥٩) .

سقت بعض طرقه التى وقفت عليها من أجل زيادة من الحديث وهى : « إنى لأجد نفس الرحمن من ههنا » فوجدت الحديث يدور على الوليد بن عبد الرحمن الجرشى وقد رواه نصر بن علقمة عن جبير بن نفير شيخ الوليد عزاه الحافظ المزى فى تحفة الأشراف إلى النسائى قال المحقق فى الكبرى وأخرجه أيضا الطبرانى (ج ٧ ص ٦٠) ، ولكن فى تهذيب التهذيب فى ترجمة نصر ابن علقمة ، وقال ابن أبى حاتم عن أبيه نصر بن علقمة عن جبير بن نفير مرسل .

ويروى الحديث عن الوليد إبراهيم بن سليمان وإسماعيل بن عياش وإبراهيم

---

(١) قال السيوطى قوله (أذال الناس الخيل) الإذالة بذال معجمة أى أهانوها واستخفوا بها وقيل أراد أنهم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها .

ابن أبى عبلة ، فأما إبراهيم بن سليمان فزاد هذه الزيادة ، وأما إسماعيل فتارة يزيدها كما عند الطبرانى وتارة لا يزيد كما عند أحمد ، وأما إبراهيم بن أبى عبلة فلم يزدها فالظاهر أن الوليد كان يرويه على الوجهين وقد جاء عند الإمام أحمد رحمه الله من طريق أخرى إلى سلمة بن نفيل فرواه عنه ضمرة بن حبيب فلعل سلمة كان يحدث بها تارة وأخرى لا يحدث بها والله أعلم .

والظاهر أن الإشارة « فى ههنا » فى الحديث إلى الشام وقد جاءت هذه الزيادة من حديث أبى هريرة عند أحمد (ج ٢ ص ٥٤١) فقال رحمه الله : ثنا عصام بن خالد ثنا جرير عن شبيب أبى روح أن أعرابيا أتى أبا هريرة فقال : يا أبا هريرة حدثنا عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذكر الحديث فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية وأجد نفس ربكم من قبل اليمن » . وقال المغيرة : من قبل المغرب إلا أن الكفر والفسوق وقسوة القلب فى الفدادين أصحاب الشعر والوبر . الحديث .

ولكن شبيب أبا روح رواه عنه جماعة ولم يوثقه معتبر بل قال ابن القطان لا تعرف عدالته كما فى تهذيب التهذيب .

وأما قول أبى داود : شيوخ حريز كلهم ثقات فليس على إطلاقه ، فقد راجعت شيوخه عند أن كنت أكتب فى الشفاعة فوجد غالبهم ثقات وفيهم الضعيف والمجهول . والله أعلم .

شرح الصدر للخير من الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ .

التأليف بين القلوب من الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين * وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾ .

قال البخارى رحمه الله ٨ ص ٤٧) : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب عن عمرو بن يحيى عن عبادة بن تميم عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما أفاء الله على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم حنين قسم فى الناس فى المؤلفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال : « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بى ، وعالة فأغناكم الله بى ، كلما قال شيئًا قالوا : الله ورسوله أمنُّ . قال : ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : كلما قال شيئًا قالوا الله ورسوله أمنُّ قال : لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادى الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار إنكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض » .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ ص ٧٦) : حدثنا يعقوب ثنا أبى عن ابن إسحاق قال وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبى سعيد الخدرى قال : لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من تلك العطايا فى قريش وقبائل العرب ولم يكن فى الأنصار منها شىء وجد

هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم : لقى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله إن هذا الحىَّ قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبت قسمت فى قومك وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب ولم يكن فى هذا الحى من الأنصار شىء قال : « فأين أنت من ذلك يا سعد » قال : يا رسول الله ما أنا إلَّا رجل من قومى وما أنا . قال : « فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة » قال : فخرج سعد فجمع الناس فى تلك الحظيرة قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار قال فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو له أهل ثم قال : « يا معشر الأنصار ماقالة بلغتنى عنكم وجدة وجدتموها فى أنفسكم ، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف بين قلوبكم » قالوا بل الله ورسوله أمن وأفضل . قال : « ألا تجيبونى يا معشر الأنصار » قالوا : وبماذا نجيبك يا رسول الله ولله ولرسوله المن والفضل قال : « أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصُدِّقْتُم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فأغنيناك أوجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى لعاعة[1] من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى رحالكم ، فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء

---

(١) فى النهاية اللعاعة بالضم نبت ناعم فى أول ما ينبت يعنى أن الدنيا كالنبات الأخضر وذكر هذا الحديث اهـ مختصرا .

الأنصار » قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتفرقنا .

هذا حديث حسن .

الله هو المزكى للأنفس التى يعلمها أهلا لذلك

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٩ ص ٢٠٨٨) : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم ومحمد بن عبد الله بن نمير واللفظ لابن نمير قال إسحاق أخبرنا وقال الآخران حدثنا أبو معاوية عن عاصم عن عبد الله بن الحارث وعن أبى عثمان النهدى عن زيد بن أرقم قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، والهرم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » .

التوفيق من الله

قال الله عز وجل حاكيا عن شعيب عليه السلام : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى حاكيا عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ﴾ .

بـاب
ـ قول الله عز وجل حاكيا عن يوسف عليه السلام

قال سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ رب السجن أحب إلىّ مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴾ .

وقد استجاب الله ليوسف عليه السلام دعاءه قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ﴾ .

المعصوم من عصم الله

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٥٠١) : حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهرى قال حدثنى أبو سلمة عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله » .

الله هو المقدم وهو المؤخر

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ١٩٦) : حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الملك بن صباح حدثنا شعبة عن أبى إسحاق عن ابن أبى موسى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه كان يدعو بهذا الدعاء : « رب اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى كله وما أنت أعلم به منى اللهم

اغفر لى خطاياى وعمدى وجهلى وجدى وكل ذلك عندى اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير » .

وقال عبيد الله بن معاذ حدثنى أبى حدثنا شعبة عن أبى إسحاق عن أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٨٧) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٣ ص ٣) : حدثنا على بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال حدثنا سليمان بن أبى مسلم عن طاوس سمع ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال : « اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت . أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ، أو لا إله غيرك » قال سفيان وزاد عبد الكريم أبو أمية : ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال سفيان قال سليمان بن أبى مسلم سمعه من طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٦ ص ٥٤) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٦ ص ٥٧) مع النووى : حدثنا محمد ابن أبى بكر المقدمى حدثنا يوسف الماجشون حدثنى أبى عن عبد الرحمن الأعرج عن عبيد الله بن رافع عن على بن أبى طالب عن رسول الله صلى

الله عليه وعلى آله وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين . اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت . أنت ربى وأنا عبدك ، ظلمت نفسى واعترفت بذنبى ، فاغفر لى ذنوبى جميعا . إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . واهدنى لأحسن الأخلاق ، لا يهدى لأحسنها إلا أنت . واصرف عنى سيئها ، لا يصرف عنى سيئها إلا أنت . لبيك وسعديك والخير كله فى يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت . استغفرك وأتوب إليك » . وإذا ركع قال : « اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت . خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى » . وإذا رفع قال : « اللهم ربنا لك الحمد ، ملء السموات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد » . وإذا سجد قال : « اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت ، سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين » . ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : « اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت ، وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » . اهـ .

قال الإمام النووى رحمه الله قوله : (والخير كله فى يديك والشر ليس إليك) قال الخطابى وغيره : فيه الإرشاد إلى الأدب فى الثناء على الله تعالى ومدحه بأن يضاف إليه محاسن الأمور دون مساويها على جهة الأدب .

وأما قوله : والشر ليس إليك فمما يجب تأويله لأن مذهب أهل الحق أن كل المحدثات فعل الله تعالى وخلقه سواء خيرها وشرها وحينئذ يجب تأويله وفيه خمسة أقوال : أحدها معناه : لا يتقرب به إليك قاله الخليل بن أحمد والنضر ابن شميل وإسحاق بن راهويه ويحيى بن معين وأبو بكر بن خزيمة والأزهرى وغيرهم . والثانى حكاه الشيخ أبو حامد عن المزنى وقاله غيره أيضا معناه : لا

يضاف إليك على انفراده لا يقال يا خالق القردة والخنازير ويا رب الشر ونحو هذا وإن كان خالق كل شيء ورب كل شيء وحينئذ يدخل الشر فى العموم . والثالث معناه : والشر لا يصعد إليك إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح . والرابع معناه : والشر ليس شرا بالنسبة إليك فإنك خلقته بحكمة بالغة وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين . والخامس حكاه الخطابى أنه كقولك : فلان إلى بنى فلان إذا كان عداده فيهم أو ضموه[1] إليهم . ا هـ .

نواصى العباد تحت قدرة الله وهيمنته

قال الله تعالى حاكيا عن نوح : ﴿ إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم ﴾ .

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله (ج ١ ص ٤٧١) : حدثنى حرملة ابن يحيى التجيبى أخبرنا ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب عن سعيد ابن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين قفل من غزوة خيبر سار ليلة حتى أدركه الكرى عرس وقال لبلال : « اكلأ لنا الليل » فصلى بلال ما قدر له ونام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالا عيناه وهو مستند إلى راحلته فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أولهم استيقاظا ففزع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « أى بلال » فقال بلال أخذ بنفسى الذى أخذ (بأبى أنت وأمى) يا رسول الله بنفسك قال : « اقتادوا » فاقتادوا رواحلهم شيئا

---

(١) فى الأصل أو صفوه فلعلها أو ضموه كما أثبتناه أو معناها أو ألصقوه . والله أعلم .

ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمر بلالا فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح فلما قضى الصلاة قال : « من نسى الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله قال : ﴿ وأقم الصلاة لذكرى ﴾ » . قال يونس وكان ابن شهاب يقرؤها للذكرى .

لا ملجأ من الله إلّا إليه

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٤٦٢) : حدثنا مسدد حدثنا أبو الأحوص حدثنا أبو إسحاق الهمدانى عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل : اللهم إنى أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت فإنك إن مت فى ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبحت أصبت خيرا .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٨٢) .

الشافى هو الله

قال إبراهيم الخليل عليه السلام فى صفة ربه : ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ .

وقال البخارى رحمه الله (ج ١٠ ص ٢٠٦) : حدثنا مسدد حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز قال : دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك فقال ثابت : يا أبا حمزة اشتكيت فقال أنس : ألا أرقيك برقية رسول الله صلى الله

عليه وعلى آله وسلم قال : بلى قال : اللهم رب الناس ومذهب الباس اشف أنت الشافى لا شافى إلا أنت شفاء لا يغادر سقما .

حدثنا عمرو بن على حدثنا يحيى حدثنا سفيان حدثنى سليمان عن مسلم عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يعوذ بعض أهله ، يمسح بيده اليمنى ويقول : « اللهم رب الناس أذهب البأس واشفه أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما » .

قال سفيان حدثت به منصورا فحدثنى عن إبراهيم عن مسروق عن عائشة .. نحوه .

حدثنى أحمد بن أبى رجاء حدثنا النضر عن هشام بن عروة قال أخبرنى أبى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يرقى يقول : « امسح الباس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له إلا أنت » .

حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال حدثنى عبد ربه بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يقول للمريض : « بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا » .

وإذا علم المسلم أن الشافى هو الله ، لم يتعلق قلبه بالكهان والمنجمين والدجالين والمشعوذين ، ولم يصغ إلى خرافة المرتزقة من سدنة القبور دعاة الشرك والإلحاد الذين يزينون للزائرين دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر لهم (ويملأون قلوب الزائرين رعبا فذاك قد نكَّل به الولى ؛ لأنه لم يف له بالنذر وذاك قد جن بسبب أنه اعتدى على حرمة الولى إلى غير ذلك من تكلم الدعايات الباطلة طهر الله بلاد المسلمين منها) .

الأمن والخوف من الله

قال الله سبحانه وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف والجوع ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وضرب الله مثلًا قريةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعمِ الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ .

الموت والقتل بأجل

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولكل أمةٍ أجلٌ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل لا أملك لنفسى ضرًّا ولا نفعًا إلا ما شاء الله لكل أمةٍ أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلًا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما أهلكنا من قريةٍ إلا ولها كتاب معلوم * ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين * ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين * قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعًا وخفيةً لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين * قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون * قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعضٍ انظر كيف نُصَرِّفُ الآياتِ لعلهم يفقهون ﴾ .

قال إبراهيم الخليل عليه السلام فى صفة ربه : ﴿ والذى يميتنى ثم يحيين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى * وأنه هو أمات وأحيا ﴾ .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٧٧) : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن عبيد الله بن أبى بكر بن أنس عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « وكل الله بالرحم ملكا فيقول : أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فإذا أراد أن يقضى خلقها قال أى رب ذكر أم أنثى أشقى أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك فى بطن أمه » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٣٨) .

وقال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٧٧) : حدثنا أبو الوليد هشام ابن عبد الملك حدثنا شعبة أنبأنى الأعمش قال سمعت زيد بن وهب عن عبد الله قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو الصادق المصدوق قال : « إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ثم علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع ؛ برزقه وأجله وشقى أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح . فوالله إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار

حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » .

قال آدم : إلا ذراع .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٣٦) .

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٥٠) : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وأبو كريب واللفظ لأبى بكر قالا حدثنا وكيع عن مسعر عن علقمة بن مرثد عن المغيرة بن عبد الله اليشكرى عن المعرور بن سويد عن عبد الله قال : قالت أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : اللهم أمتعنى بزوجى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبأبى أبى سفيان وبأخى معاوية قال فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئا قبل حله أو يؤخر شيئا عن حله ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب فى النار أو عذاب فى القبر كان خيرا وأفضل » .

قال وذكرت عنده القردة . قال مسعر وأراه قال والخنازير من مسخ فقال : « إن الله لم يجعل المسخ نسلا ولا عقبا وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك » .

حدثناه أبو كريب حدثنا ابن بشر عن مسعر بهذا الإسناد غير أن فى حديثه عن ابن بشر ووكيع جميعا من عذاب فى النار وعذاب فى القبر .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى وحجاج بن الشاعر واللفظ لحجاج قال إسحاق أخبرنا وقال حجاج حدثنا عبد الرزاق أخبرنا الثورى عن علقمة بن مرثد عن المغيرة بن عبد الله اليشكرى عن معرور بن سويد عن عبد الله بن مسعود قال : قالت أم حبيبة : اللهم متعنى بزوجى رسول الله صلى الله عليه

وعلى آله وسلم وبأبى أبى سفيان وبأخى معاوية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إنك سألت الله لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لا يعجل منها شيئا قبل حله ولا يؤخر منها شيئا بعد حله ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر لكان خيرا لك » .

فقال رجل يا رسول الله القردة والخنازير هى مما مسخ فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله عز وجل لم يهلك قوما أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك » .

حدثنيه أبو داود سليمان بن معبد حدثنا الحسين بن حفص حدثنا سفيان بهذا الإسناد غير أنه قال : وآثار مبلوغة .

قال ابن معبد : وروى بعضهم قبل حله أى نزوله .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام نفيس حول هذا قال رحمه الله وقد سئل عن المقتول هل مات بأجله أم قطع القاتل أجله . فأجاب رحمه الله كما فى مجموع الفتاوى (ج ٨ ص ٥١٦) : المقتول كغيره من الموتى لا يموت أحد قبل أجله ولا يتأخر أحد عن أجله بل سائر الحيوان والأشجار لها آجال لا تتقدم ولا تتأخر فإن أجل الشىء هو نهاية عمره وعمره مدة بقائه فالعمر مدة البقاء والأجل نهاية العمر بالانقضاء .

وقد ثبت فى صحيح مسلم وغيره عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة . وكان عرشه على الماء » . وثبت فى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « كان الله ولم يكن شىء قبله وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شىء وخلق السموات والأرض – وفى لفظ – ثم خلق السموات والأرض وقد قال تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ » .

والله يعلم ما كان قبل أن يكون وقد كتب ذلك فهو يعلم أن هذا يموت بالبطن أو ذات الجنب أو الهدم أو الغرق أو غير ذلك من الأسباب وهذا يموت مقتولا إما بالسم وإما بالسيف وإما بالحجر وإما بغير ذلك من أسباب القتل .

وعلم الله بذلك وكتابته له بل مشيئته لكل شيء وخلقه لكل شيء لا يمنع المدح والذم والثواب والعقاب بل القاتل إن قتل قتيلا أمر الله به ورسوله كالمجاهد فى سبيل الله أثابه الله على ذلك وإن قتل قتيلا حرمه الله ورسوله كقتل القطاع والمعتدين عاقبه الله على ذلك ، وإن قتل قتيلا مباحا - كقتيل المقتص - لم يثب ولم يعاقب إلا أن يكون له نية حسنة أو سيئة فى أحدهما .

والأجل أجلان أجل مطلق يعلمه الله وأجل مقيد وبهذا يتبين معنى قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « من سره أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلا وقال : إن وصل رحمه زدته كذا وكذا والملك لا يعلم أيزداد أم لا لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر » .

ولو لم يقتل المقتول فقد قال بعض القدرية : إنه كان يعيش وقال بعض نفاة الأسباب إنه يموت وكلاهما خطأ فإن الله علم أنه يموت بالقتل فإذا قدر خلاف معلومه كان تقديرا لما لا يكون لو كان كيف يكون وهذا قد يعلمه بعض الناس وقد لا يعلمه ، فلو فرضنا أن الله علم أنه لا يقتل أمكن أن يكون قدر موته فى هذا الوقت وأمكن أن يكون قدر حياته إلى وقت آخر فالجزم بأحد هذين على التقدير الذى لا يكون جهل . اهـ المراد منه .

وقال أبو محمد بن حزم رحمه الله فى الفصل (ج ٣ ص ٨٤) : وقد تحيرت المعتزلة هٰهنا حتى قال بعضهم لو لم يقتل زيد لعاش لو لم يقتل لمات ، وشغب القائلون بأنه لو لم يقتل لعاش بقول الله عز وجل : ﴿ وما يعمر من معمرٍ ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب ﴾ وبقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « من سره أن ينسأ فى أجله فليصل رحمه » .

قال أبو محمد وكل هذا لا حجة لهم فيه بل هو بظاهره حجة عليهم لأن النقص فى اللغة التى بها نزل القرآن إنما هو من باب الإضافة ، وبالضرورة علمنا أن من عمر مائة عام وعمر آخر ثمانين سنة فإن الذى عمر ثمانين نقص من عدد عمر الآخر عشرين عاما ، فهذا هو ظاهر الآية ومقتضاها على الحقيقة لا ما يظنه من لا عقل له من أن الله تعالى جار تحت أحكام عباده ، إن ضربوا زيدا أماته وإن لم يضربوه لم يمته ، ومن أن علمه غير محقق ، فربما أعاش زيدا مائة سنة وربما أعاشه أقل وهذا هو البداء بعينه ومعاذ الله تعالى من هذا القول ، بل الخلق كله مصرف تحت أمر الله عز وجل وعلمه ، فلا يقدر أحد على تعدى ما علم الله تعالى أنه يكون ولا يكون البتة إلا ما سبق فى علمه أن يكون والقتل نوع من أنواع الموت فمن سأل عن المقتول لو لم يقتل لكان يموت أو يعيش فسؤاله سخيف ؛ لأنه إنما يسأل لو لم يمت هذا الميت أكان يموت أو كان لا يموت وهذه حماقة جدا لأن القتل علة لموت المقتول كما أن الحمى القاتلة والبطن القاتل وسائر الأمراض القاتلة علل للموت الحادث عنها ولا فرق وأما قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من سره أن ينسأ فى أجله فليصل رحمه فصحيح موافق للقرآن ولما توجبه المشاهدة ، وإنما معناه أن الله عز وجل لم يزل يعلم أن زيدا سيصل رحمه وأن ذلك سبب إلى أن يبلغ من العمر كذا وكذا وكذا كل حى فى الدنيا لأن من علم الله تعالى أن سيعمره كذا وكذا من الدهر فإنه تعالى قد علم وقدر أنه سيتغدى بالطعام والشراب ويتنفس بالهواء ويسلم من الآفات القاتلة تلك المدة التى لابد من استيفائها والمسبب والسبب كل ذلك قد سبق فى علم الله عز وجل كما هو لا يبدل قال تعالى : ﴿ ما يبدل القول لدى ﴾ ولو كان على غير هذا لوجب البداء ضرورة ولكان غير عليم بما يكون متشككا فيه يكون أم لا يكون وجاهلا به جملة وهذه صفة المخلوقين لا صفة الخالق وهذا كفر ممن قال به وهم لا يقولون بهذا .

قال أبو محمد : ونص القرآن يشهد بصحة ما قلنا قال الله تعالى عز وجل : ﴿ لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل ﴾ وقال تعالى : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴾ وقال تعالى منكرا لقول قوم جرت المعتزلة فى ميدانهم : ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ﴾ .

قال أبو محمد : وهذه نصوص لا يبعد من ردها بعد أن سمعها عن الكفر نعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وموه بعضهم بأن ذكر قول الله تعالى : ﴿ ثم قَضَى أجلًا وأجلٌ مسمى عنده ﴾ .

قال أبو محمد : وهذه الآية حجة عليهم لأنه تعالى نص على أنه قضى أجلا و لم يقل لشيء دون شيء لكن على الجملة ثم قال تعالى : ﴿ وأجلٌ مُسمًّى عنده ﴾ فهذا الأجل المسمى عنده هو الذى قضى بلا شك إذ لو كان غيره لكان أحدهما ليس أجلا إذا أمكن التقصير عنه أو مجاوزته ولكان البارى تعالى مبطلا إذ سماه أجلا وهذا كفر لا يقوله مسلم وأجل الشيء هو ميعاده الذى لا يتعداه وإلا فليس يسمى أجلا البتة و لم يقل تعالى إن الأجل المسمى عنده هو غير الأجل الذى قضى فأجل كل شى منقض أمره بالضرورة نعلم ذلك ويبين ذلك قوله تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ وقال : ﴿ ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ﴾ وقد أخبرنا تعالى بذلك أيضا فقال : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ﴾ فتظاهرت الآيات كلها بالحق الذى هو قولنا وبتكذيب من قال غير ذلك وبالله تعالى التوفيق .

باب لا مستكره لله

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ١٣٩) : حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل أخبرنا عبد العزيز عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطنى فإنه لا مستكره له » . رواه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٦٣) .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ١٣٩) : حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت ، اللهم ارحمنى إن شئت ، ليعزم المسألة فإنه لا مستكره له » . أخرجه أبو داود (ج ٤ ص ٣٥٦) والترمذى (ج ٩ ص ٤٧٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأحمد (ج ٢ ص ٢٤٣ و ٤٦٣ و ٤٨٦ و ٥٠٠ و ٥٣٠) .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٤٤٨) : حدثنا يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام سمع أبا هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لا يقل أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت ، وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء لا مكره له » . أخرجه أحمد (ج ٢ ص ٣١٨) .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٦٣) : حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قالوا : حدثنا إسماعيل يعنون ابن جعفر عن العلاء عن أبيه ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لى ان شئت ، ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه » .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٦٣) : حدثنا إسحاق بن موسى الأنصارى ، حدثنا أنس بن عياض ، حدثنا الحارث وهو ابن عبد الرحمن بن

أبى ذباب عن عطاء بن ميناء عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا يقول أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت ليعزم فى الدعاء ، فإن الله صانع ما شاء لا مكره له » .

الحديث أخرجه ابن مندة فى التوحيد (ج ١ ص ٢٦٧) . ولفظة صانع تعتبر شاذة ، والشذوذ من عطاء بن ميناء فقد خالف همام بن منبه والأعرج وعبد الرحمن والد العلاء ، ويجوز أن يكون الشذوذ من بعض رجال السند غير عطاء بن ميناء ولم أر دليلا صحيحا على جواز صفة الله بأنه صانع .

طلب الإعانة من الله على الأعمال الخيرية

قال أبو داود رحمه الله (ج ٢ ص ١٨٠) طبعة حمص : حدثنا عبيد الله ابن ميسرة ، حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا حيوة بن شريح قال : سمعت عقبة بن مسلم يقول : حدثنى أبو عبد الرحمن الحبلى ، عن الصنابحى ، عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخذ بيده وقال : « يا معاذ والله إنى لأحبك، فقال : أوصيك يا معاذ لا تدعن فى دبر كل صلاة : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » وأوصى بذلك معاذ الصنابحى ، وأوصى به الصنابحى أبا عبد الرحمن .

هذا حديث صحيح وأخرجه النسائى (ج ٣ ص ٥٣) فقال : أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قال : حدثنا ابن وهب قال : سمعت حيوة يحدث عن عقبة بن مسلم ، عن أبى عبد الرحمن الحبلى ، عن الصنابحى ، عن معاذ بن جبل قال : أخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « إنى لأحبك يا معاذ » فقلت : وأنا أحبك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فلا تدع أن تقول فى كل صلاة : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » .

الله هو الذى يحفظ عباده

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ١٢٥) : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا عبيد الله بن عمر ، حدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخل إزاره فإنه لا يدرى ما خلفه عليه ثم يقول : باسمك ربى وضعت جنبى ، وبكأرفعه ، إن أمسكت نفسى فارحمها ، وأن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » . تابعه أبو ضمرة وإسماعيل بن زكرياء ، عن عبيد الله وقال يحيى بن سعيد وبشر ، عن عبيد الله ، عن سعيد ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ورواه مالك وابن عجلان ، عن سعيد ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٨٤) .

قال الإمام الترمذى رحمه الله (ج ٧ ص ٢١٩) : حدثنا أحمد بن محمد ابن موسى ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا الليث بن سعد وابن لهيعة عن قيس بن الحجاج . ق حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ، أخبرنا أبو الوليد ، أخبرنا ليث بن سعد ، حدثنى قيس بن الحجاج المعنى واحد ، عن حنش الصنعانى ، عن ابن عباس قال : كنت خلف النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوما فقال : « يا غلام إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

هذا حديث حسن صحيح .

قال أبو عبد الرحمن : قيس بن الحجاج لم أجد فيه توثيقا معتبرا إلا قول

أبى حاتم ، وهذا لا يرفع الحديث إلى الحسن لكنه قد جاء الحديث من طرق عن ابن عباس ، كما فى جامع العلوم والحكم لابن رجب رحمه الله .

الرفع والخفض بيد الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم ﴾ .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ٨ ص ٣٥٢) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « قال الله عزَّ وجل أنفق أُنفق عليك » ، وقال : « يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار » ، وقال : « أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما فى يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع » .

ومعنى لا تغيضها نفقة لا تنقصها وسحاء أى دائمة قال مسلم رحمه الله (ج ١ ص ١٦٢) : حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا : حدثنا محمد ابن جعفر قال :حدثنى شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن أبى موسى قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يرفع القسط ويخفضه ويرفع إليه عمل النهار بالليل وعمل الليل بالنهار » .

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ٩ ص ٣١٩) : حدثنا محمد بن عثمان الدمشقى أن سليمان بن بلال حدثهم قال : حدثنى العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن رجلا جاء فقال : يا رسول الله سعّر فقال : « بل

ادعوا » ، ثم جاء رجل فقال : يا رسول الله سعّر فقال : « بل الله يخفض ، ويرفع ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد عندى مظلمة » .

هذا حديث حسن . الحديث أخرجه أحمد (ج ٢ ص ٣٣٧ و ص ٣٧٢) .

العزة والذل من الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء ﴾ .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص ١٩٩) : ثنا وكيع ثنا يونس بن أبى إسحاق عن بريد بن أبى مريم السلولى عن أبى الحوراء عن الحسن بن على قال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : كلمات أقولهن فى قنوت الوتر : « اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، فإنك تقضى ولا يُقضى عليك إنه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت » .

هذا حديث صحيح وهو من الأحاديث التى ألزم الدارقطنى البخارى ومسلما أن يخرجاها .

التمكين والنصر من الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ الذين إن مكنَّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شيء سببا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا فى غرور ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وكفى بربك هاديا ونصيرا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ .

وليس معناه أننا لا نأخذ بالأسباب قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا ﴾ .

وإليك شيئا من السنة فى الأخذ بالأسباب قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٤٦) باب حفر الخندق : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس رضى الله عنه قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

والنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يجيبهم ويقول : « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فبارك فى الأنصار والمهاجرة » .

حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن أبى إسحاق سمعت البراء رضى الله عنه يقول : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينقل ويقول : « لولا أنت ما اهتدينا » . حدثنا حفص بن عمر ، حدثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن البراء رضى الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم الأحزاب ينقل التراب ـ وقد وارى التراب بياض بطنه ـ وهو يقول : « لولا أنت ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ، فأنزل السكينة علينا ، وثبت الأقدام إن لاقينا ، إن الألى قد بغوا علينا ، إذا أرادوا فتنة أبينا » .

وقال البخارى رحمه الله (ج ٦ص ٨١) باب الحراسة فى الغزو فى سبيل الله : حدثنا إسماعيل بن خليل ، أخبرنا على بن مسهر ، أخبرنا يحيى بن سعيد ، أخبرنا عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : سمعت عائشة رضى الله عنها تقول : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم سهر ، فلما قدم المدينة قال : « ليت رجلا من أصحابى صالحا يحرسنى الليلة » إذ سمعنا صوت سلاح فقال : « من هذا ؟ » فقال : أنا سعد بن أبى وقاص جئت لأحرسك فنام النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

حدثنا يحيى بن يوسف ، أخبرنا أبو بكر ، عن أبى حصين ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطى رضى ، وإن لم يعط لم يرض » . لم يرفعه إسرائيل ومحمد بن جحادة عن أبى حصين . وزادنا عمرو قال : أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه

فى سبيل الله ، أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع » . قال أبو عبد الله : لم يرفعه إسرائيل ومحمد بن جحادة ، عن أبى حصين وقال : تعسا فكأنه يقول : فأتعسهم الله . طوبى : فعلى من كل شىء طيب وهى ياء حوّلت إلى الواو وهى من يطيب .

وقال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٩٥) باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحسن الناس وأشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت ، فاستقبلهم النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبى طلحة عرى وفى عنقه السيف ، وهو يقول : « لم تراعوا لم تراعوا » ثم قال : وجدناه بحرا . أو قال : إنه لبحر .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٩٦) باب لبس البيضة : حدثنا عبد الله بن مسلمة ، حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه ، عن سهل رضى الله عنه ، أنه سئل عن جرح النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم أحد فقال : جرح وجه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، فكانت فاطمة عليها السلام تغسل الدم ، وعلى يمسك ، فلما رأت أن الدم لا يرتد إلا كثرة ، أخذت حصيرا فأحرقته حتى صار رمادا ثم ألزقته فاستمسك الدم .

وقال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٩٩) باب ما قيل فى درع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم والقميص فى الحرب : وقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أما خالد فقد احتبس أدراعه فى سبيل الله » . حدثنا محمد ابن المثنى ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا خالد عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو فى قبة :

« اللهم إنى أنشدك عهدك ، ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم » فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو فى الدرع فخرج وهو يقول : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ . وقال وهيب : حدثنا خالد يوم بدر . حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : توفى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير ، وقال يعلى : حدثنا الأعمش : درع من حديد . وقال معلى : حدثنا عبد الواحد ، عن الأعمش وقال : رهنه درعا من حديد .

التثبيت من الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلا * وإذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجدُ لك علينا نصيرا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلَّا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقداكم ﴾ .

وقال البخارى رحمه الله : حدثنا حفص بن عمر ، ثنا شعبة عن أبى إسحاق ، عن البراء رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول :

لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

الله هو الذى يبطل كيد الأعداء ويدافع عن دينه

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وليزيدن كثيرا منهم ما أُنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ﴾ .

وليس معنى هذا أن المسلمين لا يقومون بما أوجب عليهم من الجهاد فى سبيل الله ، وإعداد العدة لأعداء الإسلام ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وينصحون لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن معناه أن المسلمين يقومون بما أوجب عليهم بحسب الاستطاعة والقدرة ، ثم يفوضون الأمر إلى الله فنعم المولى ونعم المصير .

إن الله هو المسعر

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ٩ ص ٣١٩) : حدثنا محمد بن عثمان الدمشقى أن سليمان بن بلال حدثهم قال : حدثنى العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن رجلا جاء فقال : يا رسول الله سعّر فقال : بل ادعوا ثم جاء رجل فقال : يا رسول الله سعّر فقال : « بل الله يخفض ويرفع ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد عندى مظلمة » .

هذا حديث حسن . الحديث أخرجه أحمد (ج ٢ ص ٣٣٧ ، ص ٣٧٢) .

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ٩ ص ٣٢٠) : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، أخبرنا عفان أخبرنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت ، عن أنس بن مالك . وقتادة[1] وحميد ، عن أنس بن مالك قال : قال الناس : يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله هو المسعر ، القابض ، الباسط ، الرازق ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبنى بمظلمة فى دم ولا مال » .

هذا حديث صحيح . الحديث أخرجه الترمذى (ج ٤ ص ٥٤٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

قال الإمام أبو عبد الله بن ماجة رحمه الله (ج ٢ ص ٧٤٢) : حدثنا محمد بن زياد ، ثنا عبد الواحد ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد قال : غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالوا : لو قوّمت يا رسول الله قال : « إنى لأرجو أن ألقى ربى وليس أحد منكم يطلبنى بمظلمة » .

هذا حديث صحيح . وقال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ ص ٨٥) : ثنا على بن عاصم ، أنا الجريرى ، عن أبى نضرة به .

فى مجموع الفتاوى (ج ٨ ص ٥١٩) : سئل شيخ الإسلام عن الغلاء والرخص هل هما من الله تعالى أم لا ؟؟

فأجاب جميع ما سوى الله من الأعيان وصفاتها وأحوالها ، مخلوقة لله مملوكة لله ، هو ربها ، وخالقها ، ومليكها ، ومدبرها لا رب لها غيره ، ولا إله سواه ، له

---

(١) قتادة وحميد معطوفان على ثابت .

الخلق والأمر . لا شريك له فى شىء من ذلك ، ولا معين ، بل هو كما قال سبحانه : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ . أخبر سبحانه أن ما يدعى من دونه ليس له مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، ولا شرك فى ملك ولا إعانة على شىء ، وهذه الوجوه الثلاثة هى التى ثبت بها حق الغير ، فإنه إما أن يكون مالكا للشىء مستقلا بملكه ، أو يكون مشاركا له فيه نظير ، أو لا ذا ولا ذاك فيكون معينا لصاحبه ، كالوزير والمشير والمعلم والمنجد والناصر ، فبين سبحانه أنه ليس لغيره ملك لمثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا لغيره شرك فى ذلك ، لا قليل ولا كثير ، فلا يملكون شيئا ، ولا لهم شرك فى شىء ولا له سبحانه ظهير ، وهو المظاهر المعاون ، فليس له وزير ولا مشير ولا ظهير . وهذا كما قال سبحانه : ﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا ﴾ فإن المخلوق يوالى المخلوق لذله ، فإذا كان له من يواليه عز بوليه ، والرب تعالى لا يوالى أحدا لذلته تعالى بل هو العزيز بنفسه : ﴿ من كا ن يريد العزة فللّه العزة جميعا ﴾ وإنما يوالى عباده المؤمنين لرحمته ونعمته وحكمته وإحسانه وجوده وفضله وإنعامه . وحينئذ فالغلاء بارتفاع الأسعار ، والرخص بانخفاضها هما من جملة الحوادث التى لا خالق لها إلا الله وحده ، ولا يكون شىء منها إلا بمشيئته وقدرته ، لكن هو سبحانه قد جعل بعض أفعال العباد سببا فى بعض الحوادث ، كما جعل قتل القاتل سببا فى موت المقتول ، وجعل ارتفاع الأسعار قد يكون بسبب ظلم العباد وانخفاضها قد يكون بسبب إحسان بعض الناس ، ولهذا أضاف من أضاف من القدرية المعتزلة وغيرهم الغلاء والرخص إلى بعض الناس وبنوا على ذلك أصولا فاسدة :

أحدها : أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله تعالى .

والثانى : إنما يكون فعل العبد سببا له يكون العبد هو الذى أحدثه .

والثالث : أن الغلاء والرخص إنما يكون بهذا السبب .

وهذه الأصول باطلة فإنه قد ثبت أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها ، ودلت على ذلك الدلائل الكثيرة السمعية والعقلية ، وهذا متفق عليه بين الأمة وأئمتها ، وهم مع ذلك يقولون : إن العباد لهم قدرة ومشيئة وأنهم فاعلون لأفعالهم ويثبتون ما خلقه الله من الأسباب وما خلق الله من الحكم .

ومسألة القدر مسألة عظيمة ضل فيها طائفتان من الناس ؛ طائفة أنكرت أن يكون الله خالقا لكل شيء ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، كما أنكرت ذلك المعتزلة ، وطائفة أنكرت أن يكون العبد فاعلا لأفعاله ، وأن تكون لهم قدرة لها تأثير فى مقدورها ، أو أن يكون فى المخلوقات ما هو سبب لغيره ، وأن يكون الله خلق شيئا لحكمه كما أنكر ذلك الجهم بن صفوان ومن اتبعه من المجبرة الذى نسب كثير منهم إلى السنة ، والكلام على هذه المسألة مبسوط فى مواضع أخر .

الأصل الثانى : وهو إنما كان فعل العبد أحد أسبابه ، كالشبع الذى يكون بسبب الأكل ، وزهوق النفس الذى يكون بالقتل ، فهذا قد جعله أكثر المعتزلة فعلا للعبد ، والجبرية لم يجعلوا الفعل للعبد فيه تأثيرا بل ما تيقنوا أنه سبب ، قالوا أنه عنده لابه ، وأما السلف والأئمة فلا يجعلون العبد فاعلا لذلك كفعله لما قام به من الحركات ، فلا يمنعون أن يكون مشاركا فى أسبابه ، وأن يكون الله جعل فعل العبد مع غيره أسبابًا فى حصول مثل ذلك .

وقد ذكر الله فى كتابه النوعين بقوله : ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ﴾ .

والإنفاق والسير هو نفس أعمالهم القائمة بهم فقال فيها : ﴿ إلا كتب لهم ﴾ و لم يقل إلا كتب لهم به عمل صالح ، فإنها نفسها عمل ، فنفس كتابتها يحصل به المقصود بخلاف الظمأ والنصب والجوع الحاصل بغير الجهاد ، بخلاف غيظ الكفار بما نيل منهم ، فإن هذه ليست نفس أفعالهم ، وإنما هى حادثة عن أسباب منها : أفعالهم فلهذا قال تعالى : ﴿ إلا كتب لهم به عمل صالح ﴾ . فتبين أنما يحدث من الآثار عن أفعال العباد لهم بها عمل ؛ لأن أفعالهم كانت سببا فيها ، كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » .

والأصل الثالث : أن الغلاء والرخص لا تنحصر أسبابه فى ظلم بعض ، بل قد يكون سببه قلة ما يخلق ، أو يجلب من ذلك المال المطلوب ، فإذا كثرت الرغبات فى الشيء ، وقل المرغوب فيه ارتفع سعره ، فإذا كثر وقلت وقد تكون بسبب لا ظلم فيه ، وقد تكون بسبب فيه ظلم ، والله تعالى يجعل الرغبات فى القلوب ، فهو سبحانه كما جاء فى الأثر : قد تغلو الأسعار والأهواء غرار ، وقد ترخص الأسعار والأهواء فقار . اهـ

السراء والضراء من الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون * فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون * فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد * إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما أرسلنا فى قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون * ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون * ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كان يكسبون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون * فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون * وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين * فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون * فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين * وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون * ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ .

الضر والخير من الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين * وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾ .

قال البخارى رحمه الله (ج ٨ ص ٥٠١) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهرى قال : أخبرنى سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة بن

عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : قام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين أنزل الله : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ قال : « يا معشر قريش » ـ أو كلمة نحوها ـ « اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئًا ، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئًا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لا أغنى عنك من الله شيئًا ، ويا فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) سلينى ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئًا » . تابعه أصبغ عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب .

الصلاح الزراعى من الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون * إنا لمغرمون * بل نحن محرومون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض

وإنا على ذهاب به لقادرون * فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون * وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ﴾ .

الآفات الزراعية من الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا * كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا * وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا * ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا * قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا * لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا * ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا * فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا * أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا * وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا * ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور * فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل * ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين * فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم * فتنادوا مصبحين * أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين * فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وغدوا على حرد قادرين * فلما رأوها قالوا إنا لضالون * بل نحن محرومون * قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون * قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها

وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

إذا علمت أن الآفات الزراعية من الله فليس معناه أنك تترك الأسباب المشروعة من مكافحة الأمراض التى تكون فى الزرع وغيره من الأشجار المثمرة ، ومن تحين وقت البذر ، وقطع فروع العنب ليثمر ، ولكن معناه أنك تعمل السبب المشروع فإذا حصلت الآفة علمت أنها من عند الله .

الدليل على عمل السبب المشروع

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٨٣٥) : حدثنا قتيبة بن سعيد الثقفى ، وأبو كامل الجحدرى ، وتقاربا فى اللفظ ، وهذا حديث قتيبة قالا : حدثنا أبو عوانة ، عن سماك ، عن موسى بن طلحة ، عن أبيه قال : مررت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوم على رؤوس النخل فقال : « ما يصنع هؤلاء » فقالوا يلقّحونه ، يجعلون الذكر فى الأنثى ، فيتلقح فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ما أظن يغنى ذلك شيئا » قال : فأخبروا بذلك فتركوه ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك فقال : « إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإنى إنما ظننت ظنا ، فلا تؤاخذونى بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به ، فإنى لن أكذب على الله عز وجل » .

حدثنا عبد الله بن الرومى اليمامى ، وعباس بن عبد العظيم العنبرى ، وأحمد ابن جعفر المقرئ قالوا : حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة (وهو ابن عمار) ، حدثنا أبو النجاشى ، حدثنى رافع بن خديج قال : قدم نبى الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة وهم يأبرون النخل ، يقولون يلقحون النخل فقال : « ما تصنعون » قالوا : كنا نصنعه قال : « لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا » فتركوه ، فنفضت أو فنقصت قال : فذكروا ذلك له فقال : « إنما أنا

بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأى ، فإنما أنا بشر » . قال عكرمة : أو نحو هذا . قال المقرئ فنفضت و لم يشك .

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، وعمرو الناقد ، كلاهما عن الأسود بن عامر قال أبو بكر : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة وعن ثابت ، عن أنس ، أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم مر بقوم يلقحون فقال : « لو لم تفعلوا لصلح » قال فخرج شيصا ، فمر بهم فقال : « ما لنخلكم » قالوا : قلت كذا وكذا قال : « أنتم أعلم بأمر دنياكم » .

الله هو المعطى وهو المانع

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٥١٢) : حدثنا محمد بن سنان ، حدثنا فليح ، حدثنا عبدة بن أبى لبابة ، عن وارد مولى المغيرة بن شعبة قال : كتب معاوية إلى المغيرة : اكتب إلىّ ما سمعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول خلف الصلاة فأملى على المغيرة ، قال : سمعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول خلف الصلاة : « لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » . وقال ابن جريج ، أخبرنى عبدة أن ورادًا أخبره بهذا . ثم وفدت بعد إلى معاوية فسمعته يأمر الناس بذلك القول .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ٩٥) : ثنا ابن نمير ويعلى قالا : ثنا عثمان بن حكيم ، وأبو بدر ، عن عثمان بن حكيم ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن معاوية قال يعلى فى حديثه : سمعت معاوية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول على هذه الأعواد : « اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه مالك فى الموطأ

(ج ٣ ص ٩٤) وقد رواه البخارى ، ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة ، ، وأنه كتب إلى معاوية بذلك ، هذا بالنسبة للشطر الأول من الحديث وأما قوله : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » فمتفق عليه من حديثه أيضا .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١ ص ١٦٤) : حدثنا سعيد بن عفير قال : حدثنا ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : قال حميد بن عبد الرحمن : سمعت معاوية خطيبا يقول : سمعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وإنما أنا قاسم والله يعطى ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » .

أخرجه مسلم (ج ٢ ص ٧١٩) وانتهى عنده : وإنما أنا قاسم ويعطى الله .

إعطاء الولد والمنع من الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى حاكيا عن نوح عليه السلام : ﴿ فقلت استغفروا

ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفيا * قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك ربى شقيا * وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا * يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا * يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا * قال كذلك قال ربك هو علىّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين * فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أفرأيتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من منى يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فلينظر الإنسان مما خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر * فما له من قوة ولا ناصر ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكن ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا * فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا * قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا * قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا * فحملته فانتبذت به مكانا قصيا * فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا * فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا * وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * فكلى واشربى وقرى عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا * فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا * قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا * وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا * والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا * ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ * فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب * قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وبشروه بغلام عليم * فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم * قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم ﴾ .

إذا علمت أن إعطاء الولد من الله فليس معناه أنك تترك الأسباب المشروعة ، فلا تترك الزواج وتقول إعطاء الولد من الله ، فإنك إن فعلت ذلك فقد تركت سنة من سنن الأنبياء عليهم السلام ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين * فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

وقال الإمام البخارى رحمه الله (ج ٩ ص ١٠٤) : حدثنا سعيد بن أبى

مريم ، أخبرنا محمد بن جعفر ، أخبرنا حميد بن أبى حميد الطويل أنه سمع أنس ابن مالك رضى الله عنه يقول : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وقال البخارى رحمه الله (ج ٩ ص ١٠٦) : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبى ، حدثنا الأعمش قال : حدثنى إبراهيم ، عن علقمة قال : كنت مع عبد الله فلقيه عثمان بمنى فقال : يا أبا عبد الرحمن إن لى إليك حاجة ، فخليا فقال عثمان . هل لك يا أبا عبد الرحمن فى أن نزوجك بكرا تذكرك ما كنت تعهد ، فلما رأى عبد الله أن ليس له حاجة إلى هذا أشار إلىّ فقال : يا علقمة فانتهيت إليه وهو يقول : أما لئن قلت ذلك لقد قال لنا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

وقال البخارى رحمه الله (ج ٩ ص ١١٧) : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، أخبرنا ابن شهاب ، سمع سعيد بن المسيب يقول : سمعت سعد بن أبى وقاص يقول : رد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا .

حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى سعيد بن المسيب أنه سمع سعد بن أبى وقاص يقول : لقد رد ذلك – يعنى النبى صلى الله عليه

وعلى آله وسلم – على عثمان بن مظعون ، ولو أجاز له التبتل لاختصينا .

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جرير ، عن إسماعيل ، عن قيس قال : قال عبد الله كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وليس لنا شيء ، فقلنا ألا نستخصى ، فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب ثم قرأ علينا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ . فأنت عليك أن تعمل الأسباب المشروعة من زواج ، وعلاج مشروع ، فإذا لم ترزق أولادا فوضت أمرك إلى الله ، وإياك إياك أن تذهب إلى المنجمين ، والدجالين ، والمشعوذين الذين يختلسون أموال المسلمين ، ويشككونهم فى عقيدتهم فى الله ، وأنصحك بتفويض أمرك إلى الله ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ .

الرزق من الله

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ ومعنى قوله ﴿ خير الرازقين ﴾ أن الشخص يرزق أهله ولكن من رزق الله .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ .

قال الحاكم رحمه الله (ج ٢ ص ٣) : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا الربيع بن سليمان ، ثنا عبد الله بن وهب ، أنبأنا سليمان بن بلال ، حدثنى ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، عن عبد الملك بن سعيد بن سويد ، عن أبى حميد الساعدى أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « أجملوا فى طلب الدنيا فإن كلا ميسر لما كتب له منها » .

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

قال أبو عبد الرحمن : هذا حديث حسن على شرط مسلم ، فعبد الملك ابن سعيدبن سويد الأنصارى ليس من رجال البخارى ، وهو حسن الحديث .

قال الحاكم رحمه الله (ج ٢ ص ٤) : أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أنبأنا عبد الله بن الليث المروزى ، ثنا أحمد بن عيسى ، ثنا عبد الله بن وهب ، أخبرنى عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لا تستبطئوا الرزق ، فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له ، فأجملوا فى الطلب أخذ الحلال وترك الحرام » .

هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وشاهده عن أبى الزبير ، عن جابر على شرط مسلم أخبرناه أحمد بن جعفر القطيعى ، ثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنى أبى ، ثنا محمد بن بكر ، عن بن جريج ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه ، فلا تستبطئوا الرزق ، واتقوا الله . أيها الناس وأجملوا فى الطلب ، خذوا ما حل ، ودعوا ما حرم » .

الحديث بطريقيه إلى جابر صحيح ، وعبد الله بن الليث ترجمه الخطيب

(ج ١٠ ص ٤٦) ولم يذكر فيه توثيقا ، فهو مستور الحال ، وهناك عبد الله بن ليث آخر أرفع منه فى الجرح والتعديل ، وثقه على بن المدينى .

قال الإمام ابن أبى عاصم رحمه الله (ج ١ ص ١١٧) : ثنا شيبان بن فروخ ، ثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن أبى قيس عبد الرحمن بن ثروان ، عن هذيل بن شرحبيل ، عن ابن عمر قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فرأى تمرة عاثرة فأعطاها سائلا ، وقال : « لو لم تأتها لأتتك » .

هذا حديث حسن ، رجاله رجال الصحيح .

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٥٠) : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وأبو كريب واللفظ لأبى بكر قالا ، حدثنا وكيع ، عن مسعر ، عن علقمة بن مرثد ،عن المغيرة بن عبد الله اليشكرى ،عن المعرور ابن سويد ، عن عبد الله قال : قالت أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : اللهم أمتعنى بزوجى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وبأبى أبى سفيان ، وبأخى معاوية قال : فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « قد سألت الله لآجال مضروبة ، وأيام معدودة ، وأرزاق مقسومة ، لن يعجل شيئا قبل حله ، أو يؤخر شيئا عن حله ، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب فى النار ، أو عذاب فى القبر ، كان خيرا وأفضل » . قال : وذكرت عنده القردة . قال مسعر وأراه قال : والخنازير من مسخ فقال : إن الله لم يجعل المسخ نسلا ولا عقبا ، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك .

حدثناه أبو كريب ، حدثنا ابن بشر ، عن مسعر بهذا الإسناد غير أن فى حديثه عن ابن بشر ووكيع جميعا من عذاب فى النار وعذاب فى القبر .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى ، وحجاج بن الشاعر ، واللفظ لحجاج قال إسحاق : أخبرنا وقال حجاج : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا الثورى ، عن علقمة بن مرثد ، عن المغيرة بن عبد الله اليشكرى ، عن معرور بن سويد ،

عن عبد الله بن مسعود قال : قالت أم حبيبة اللهم متعنى بزوجى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وبأبى أبى سفيان ، وبأخى معاوية ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إنك سألت الله لآجال مضروبة ، وآثار موطوءة ، وأرزاق مقسومة لا يعجل منها شيئا قبل حله ، ولا يؤخر منها شيئا بعد حله ، ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر لكان خيرا لك » . فقال رجل : يا رسول الله القردة والخنازير هى مما مسخ فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله عز وجل لم يهلك قوما ، أو يعذب قوما ، فيجعل لهم نسلا ، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك » . حدثنيه أبو داود سليمان بن معبد ، حدثنا الحسين بن حفص ، حدثنا سفيان بهذا الإسناد ، غير أنه قال : وآثار مبلوغة . قال ابن معبد : وروى بعضهم قبل حله أى نزوله .

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله (ج ٤ ص ١٩٩٤) : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمى ، حدثنا مروان يعنى ابن محمد ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن يزيد ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم . يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم . يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم . يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص من ملكى شيئا . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم

وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » . قال سعيد كان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه . حدثنيه أبو بكر بن إسحاق ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز بهذا الإسناد غير أن مروان أتمها حديثا .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ ص ٨٣) : ثنا يزيد ، أنا القاسم بن الفضل الحدانى ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبه الراعى ، فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه ، قال ألا تتقى الله ، تنزع منى رزقا ساقه الله إلىّ ، فقال : يا عجبى ذئب مقع على ذنبه يكلمنى كلام الإنس ، فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ، محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ، قال : فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخبره فأمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فنودى الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراعى : « أخبرهم » فأخبرهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « صدق ، والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبة سوطه ، وشراك نعله ، ويخبره فخذه بما حدث[1] أهله بعده » .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح وقد أخرجه ابن حبان .

---

(١) كذا فى المسند بما حدث أهله . وفى تهذيب التهذيب والضعفاء للعقيلى فى ترجمة القاسم بن الفضل ، بما أحدث أهله ، وفى موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (ص ٥١٩) بحدث أهله وما فى هذه المصادر أقرب .

كما فى الموارد(ص ٥١٩) قال رحمه الله أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا هدبة بن خالد القيسى ، حدثنا القاسم بن الفضل الحدانى ، حدثنا الجريرى ، حدثنا أبو نضرة به .

فزاد فيه الجريرى فلعله سمعه من الجريرى ، وهو سعيد بن إياس أبو مسعود ، ومن أبى نضرة فقد رواه العقيلى فى الضعفاء (ج ٣ ص ٥٧٨) عن الفضل عن أبى نضرة به .

ثم روى عن مسلم : وهو ابن إبراهيم قال : كنت عند القاسم بن الفضل الحدانى ، فأتاه شعبة فسأله عن حديث أبى نضرة ، يعنى هذا الحديث قال : فقال شعبة : لعلك سمعته من شهر بن حوشب قال : بلى[1] حدثنا أبو نضرة فما سكت حتى سكت شعبة .

وتأكد شعبة من القاسم بن الفضل الحدانى ، لأن الحديث قد جاء من حديث شهر ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ ص ٨٨) : ثنا أبو اليمان ، أنا شعيب حدثنى عبد الله بن أبى حسين ، حدثنى شهر أن أبا سعيد الخدرى حدثه ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « بينا أعرابى فى بعض نواحى المدينة فى غنم له ، عدا عليه الذئب ، فأخذ شاة من غنمه فأدركه الأعرابى فاستنقذها منه ، وهجهجه فعانده الذئب ، يمشى ثم أقعى مستذفرا بذنبه يخاطبه ، فقال : أخذت رزقا رزقنيه الله ، فقال : واعجبا من ذئب مقع مستذفر بذنبه يخاطبنى ، فقال : والله إنك لتترك أعجب من ذلك قال : وما أعجب من ذلك فقال : رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين الحرتين يحدث الناس عن نبأ ما قد سبق ، وما يكون بعد ذلك قال : فنعق الأعرابى

---

(١) وفى تهذيب التهذيب نقلا عن العقيلى قال لا ، وهو الأقرب .

بغنمه ، حتى ألجأها إلى بعض المدينة ، ثم مشى إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حتى ضرب عليه بابه فلما صلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « أين الأعرابى صاحب الغنم » ، فقام الأعرابى فقال له النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « حدث الناس بما سمعت وما رأيت » ، فحدث الأعرابى الناس بما رأى من الذئب وسمع منه فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند ذلك : « صدق ، آيات تكون قبل الساعة ، والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده » .

شهر بن حوشب : مختلف فيه ،والراجح ضعفه ، وقد جعلأوله من قول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهو من حديث أبى نضرة من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

وفى مجموع الفتاوى (ج ٨ ص ٥٤٠) ، سئل شيخ الإسلام ، عن الرزق هل يزيد أو ينقص ؟ وهل هو ما أكل أو ما ملكه العبد ؟ . فأجاب : الرزق نوعان :

أحدهما : ما علمه الله أنه يرزقه فهذا لا يتغير .

والثانى : ما كتبه وأعلم به ملائكته ، فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب ، فإن العبد يأمر الله الملائكة أن تكتب له رزقا ، وإن وصل رحمه زاده الله على ذلك ، كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « من سره أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه » ، وكذلك عمر داود زاد ستين سنة فجعله الله مائة بعد أن كان أربعين . ومن هذا الباب قول عمر : اللهم إن كنت كتبتنى شقيا فامحنى واكتبنى سعيدا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت .

ومن هذا الباب قوله تعالى عن نوح : ﴿ أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون *

يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ . وشواهده كثيرة .

والأسباب التى يحصل بها الرزق هى من جملة ما قدره الله وكتبه فإن كان قد تقدم بأنه يرزق العبد بسعيه واكتسابه ألهمه السعى والاكتساب ، وذلك الذى قدره له بالاكتساب لا يحصل بدون الاكتساب ، وما قدره له بغير اكتساب كموت موروثه يأتيه به بغير اكتساب . والسعى سعيان :

سعى فيما نصب للرزق كالصناعة والزراعة والتجارة .

وسعى بالدعاء والتوكل والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك فإن الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه .

فصل : والرزق يراد به شيئان :

أحدهما : ما ينتفع به العبد .

والثانى : ما يملكه العبد فهذا الثانى هو المذكور فى قوله تعالى : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم ﴾ وهذا هو الحلال الذى ملكه الله إياه .

وأما الأول فهو المذكور فى قوله تعالى : ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ﴾ وقوله : ﴿ إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها ﴾ ونحو ذلك .

والعبد قد يأكل الحلال والحرام فهو رزق بهذا الاعتبار لا بالاعتبار الثانى وما اكتسبه و لم ينتفع به هو رزق بالاعتبار الثانى دون الأول فإن هذا فى الحقيقة مال وارثه لا ماله . والله أعلم .

الإنكار على من احتج بالقدر على ترك الأعمال الصالحة

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ٣ ص ١٠) : حدثنا أبو اليمان ، قال : أخبرنا شعيب ، عن الزهرى ، قال : أخبرنى على بن حسين أن حسين بن على ، أخبره أن على بن أبى طالب ، أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

طرقه وفاطمة بنت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة فقال : « ألا تصليان » ، فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلىّ شيئا ، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول : ﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ﴾ .

الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص ٥٣٧) .

لا يجوز للعاصى أن يحتج بالقدر على المعصية

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون * قل فللّه الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ .

فأنت تجد أن الله أنكر عليهم فى آخر كل آية من هؤلاء الآيات الثلاث ، وقد أنكر الله على الشيطان حيث قال : ﴿ قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ قال الله سبحانه وتعالى منكرا عليه : ﴿ قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ﴾ .

الإيمان بالقدر لا ينافى العمل

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٠٥٢) : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، وابن نمير قالا : حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن ربيعة بن عثمان ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز . وإن

أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

الأمر بالعمل مع الإيمان بالقدر

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ .

قال البخارى رحمه الله (ج ٨ ص ٧٠٩) : حدثنا آدم ، حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، قال : سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن أبى عبد الرحمن السلمى ، عن على رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى جنازة فأخذ شيئًا فجعل ينكت به الأرض فقال : « ما منكم من أحد إلَّا وقد كتب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة » ، قالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له ؛أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة » ، ثم قرأ ﴿ فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى ﴾ . الآية .

ولئن كنا قد ذكرنا من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية وأقوال السلف التى ستأتى إن شاء الله . ما فيه كفاية ، فليس معناه أنه لا يحمد مطيع ولا يذم عاصٍ ، ولا معناه أنه لا يثاب مطيع ولا يعاقب عاصٍ ، وقد ذكر الإمام محمد بن الحسين أبو بكر الآجرى جملة من الآيات القرآنية التى تدل على إسناد الأفعال إلى أصحابها والثناء على فاعلى الخير ، والذم لفاعلى الشر ، بل الجنة لفاعلى الخير ، والنار لمن أعرض عن أوامر الله وارتكب نواهيه قال رحمه الله فى الشريعة (ص ١٢٢) : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ ، وقال عز وجل ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات

وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ، وقال تبارك وتعالى فى سورة آل عمران : ﴿ فأما الذين كفروا فيعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين * وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة النساء : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ﴾ ، وقال تبارك وتعالى فى سورة المائدة : ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة الأنعام : ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة الأعراف : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة براءة : ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة براءة أيضا : ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون ﴾ .

قال محمد بن الحسين رحمه الله تعالى : اعتبروا رحمكم الله بما تسمعون ، لم يعطهم مولاهم الكريم هذا الخير كله بالإيمان وحده حتى ذكر عز وجل هجرتهم وجهادهم بأموالهم وأنفسهم ، وقد علمتم أن الله عز وجل لما ذكر قوما آمنوا بمكة ، ولم يهاجروا مع رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ماذا قال فيهم وهو قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ﴾ ، ثم ذكر قوما آمنوا بمكة وأمكنتهم الهجرة إليه ، فلم يهاجروا فقال فيهم قولا هو أعظم من هذا وهو قوله عز وجل : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ .

ثم عذر – جل ذكره – من لم يستطع الهجرة ولا النهوض بعد إيمانه فقال عز وجل : ﴿ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ﴾ .

قال محمد بن الحسين رحمه الله تعالى : (كل هذا يدل على أن الإيمان : تصديق بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح ولا يجوز على هذا ردا على المرجئة الذين لعب بهم الشيطان ميزوا هذا تفقهوا إن شاء الله تعالى .

وقال عز وجل فى سورة يونس : ﴿ إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة يونس : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة الرعد : ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب * الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة

إبراهيم : ﴿ وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة الإسراء : ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة الكهف : ﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا * قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا * ما كثين فيه أبدا ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة الكهف : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا * أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة الكهف : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا * خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة مريم : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا * إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا ﴾ ، وقال فى سورة مريم أيضا : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة طه : ﴿ ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا * جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة الحج : ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين * فالذين آمنوا وعملوا

الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة العنكبوت : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعلمون ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة الروم : ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة لقمان : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم * خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة السجدة : ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون * أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة سبأ : ﴿ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة فاطر : ﴿ الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة الزمر : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ﴾ إلى قوله : ﴿ العاملين ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة الشورى : ﴿ ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ، وقال فى حم الزخرف : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ﴾ إلى قوله : ﴿ أنتم وأزواجكم ﴾ إلى قوله : ﴿ وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ ،

وقال عز وجل فى سورة الجاثية : ﴿ وترى كل أمة جاثية ﴾ إلى قوله : ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة الأحقاف : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ إلى قوله : ﴿ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم * والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ إلى قوله : ﴿ والنار مثوى لهم ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة التغابن : ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة الطلاق : ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة إذا السماء انشقت : ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه ﴾ إلى آخر السورة ، وقال عز وجل فى سورة البروج : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة التين والزيتون : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾ ، وقال عز وجل فى سورة لم يكن : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ والعصر * إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

قال محمد بن الحسن رحمه الله : ميزوا رحمكم الله قول مولاكم الكريم : هل ذكر الإيمان فى موضع واحد من القرآن إلا وقد قرن إليه العمل الصالح ؟

وقال عز وجل : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ . فأخبر جل ثناؤه بأن الكلم الطيب حقيقته أن يرفع إلى الله عز وجل بالعمل

الصالح ، فإن لم يكن عمل بطل الكلام من قائله ورد عليه ، ولا كلام أطيب وأجل من التوحيد ، ولا عمل من عمل الصالحات أجل من أداء الفرائض .

حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطى ، قال : حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، قال حدثنا : أبو عبيدة التاجى ، أنه سمع الحسن[1] يقول : قال قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إنا لنحب ربنا عز وجل فأنزل الله عز وجل بذلك قرآنا فقال جل ثناؤه : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ .

فجعل اتباع نبيه محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم . علما لحبه وكذب من خالفه ثم جعل كلّ قول دليلا من عمل يصدقه ومن عمل يكذبه ، فإذا قال قولا حسنا وعمل عملا حسنا رفع الله قوله بعمله ، وإذا قال قولا حسنا وعمل عملا سيئا رد الله القول على العمل وذلك فى كتاب الله عز وجل : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ .

حدثنا أبو بكر بن أبى داود ، قال : حدثنا يزيد بن عبد الصمد ، قال : حدثنا آدم يعنى : ابن أبى إياس ، قال : حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قول الله عز وجل : ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ يقول تكلموا بكلام الإيمان وحققوه بالعمل .

قال الربيع بن أنس : وكان الحسن يقول : الإيمان كلام وحقيقته العمل فإن لم يحقق القول بالعمل لم ينفعه القول .

---

(١) مرسل والمرسل من قسم الضعيف ، لا سيما وهو من مراسيل الحسن وهى شديدة الضعف ، بل قال بعضهم مراسيل الحسن كالريح .

قال محمد بن الحسين رحمه الله : وكذلك ذكر الله عز وجل المتقين فى كتابه فى غير موضع منه ودخولهم لجنة فقال : ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ ، وهذا فى القرآن كثير يطول به الكتاب لو جمعته مثل قوله فى حم الزخرف : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ إلى قوله : ﴿ وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ .

ومثل قوله فى سورة ق ، وفى الذاريات ، والطور : مثل قوله : ﴿ إن المتقين فى جنات ونعيم * فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم * كلوا واشربوا هنيئا بما[1] كنتم تعملون ﴾ . وقال عز وجل فى سورة المرسلات : ﴿ إن المتقين فى ظلال وعيون ﴾ إلى قوله : ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ﴾ . اهـ كلامه رحمه الله .

وقال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١ ص ٦٤) : حدثنا أبو اليمان ، قال : أخبرنا شعيب ، عن الزهرى ، قال : أخبرنى أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله ، أن عبادة بن الصامت رضى الله عنه وكان شهد بدرا ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه : « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا فى معروف . فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه » ، فبايعناه على ذلك .

---

(١) ولا تعارض بين الآية وحديث لن يدخل الجنة أحد بعمله ، فالباء فى الآية باء السببية ، والباء فى الحديث باء العوض والله أعلم .

وقد ورد سؤال عن القدر نظما أورده بعض الذميين أو أورده بعض القدرية على لسان بعض الذميين .

قال السائل كما فى مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ج ٨ ص ٢٤٥) :

أيا علماء الدين ذمى دينكم ... تحير دلوه بأوضح حجة
إذا ما قضى ربى بكفرى بزعمكم ... ولم يرضه منى فما وجه حيلتى ؟
دعانى وسد الباب عنى فهل إلى ... دخول سبيل بينوا لى قضيتى
قضى بضلالى ثم قال : ارضى بالقضا ... فما أنا راض بالذى فيه شقوتى
فإن كنت بالمقضى يا قوم راضيا ... فربى لا يرضى بشؤم بليتى
فهل لى رضا ما ليس يرضاه سيدى ... فقد حرت دلونى على كشف حيرتى
إذا شاء ربى الكفر منى مشيئة ... فهل أنا عاص فى اتباع المشيئة
وهل لى اختيار أن أخالف حكمه ... فبالله فاشفوا بالبراهين غلتى

فأجاب شيخ الإسلام الإمام العلامة أحمد بن تيمية مرتجلا الحمد لله رب العالمين :

سؤالك يا هذا سؤال معاند ... مخاصم رب العرش بارى البرية
فهذا سؤال خاصم الملأ العلا ... قديما به إبليس أصل البلية
ومن يك خصما للمهيمن يرجعن ... على أم رأس هاويا فى الحفيرة
ويدعى خصوم الله يوم معادهم ... إلى النار طرا معشر القدرية
سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا ... به الله أو ماروا به للشريعة
وأصل ضلال الخلق من كل فرقة ... هو الخوض فى فعلٌ الإله بعلة
فإنهمو لم يفهموا حكمة له ... فصاروا على نوع من الجاهلية
فإن جميع الكون أوجب فعله ... مشيئة رب الخلق بارى الخليقة
وذات إله الخلق واجبة بما ... لها من صفات واجبات قديمة
مشيئته مع علمه ثم قدرة ... لوازم ذات الله قاضى القضية

وإبداعه ما شاء من مبدعاته ... بها حكمة وأنواع رحمة
ولسنا إذا قلنا جرت بمشيئة ... من المنكرى آياته المستقيمة
بل الحق أن الحكم لله وحده ... له الخلق والأمر الذى فى الشريعة
هو الملك المحمود فى كل حالة ... له الملك من غير انتقاص بشركة
فما شاء مولانا الإله فإنه ... يكون وما لا لا يكون بحيلة
وقدرته لا نقص فيها وحكمه ... يعم فلا تخصيص فى ذى القضية
أريد بذا أن الحوادث كلها ... بقدرته كانت ومحض المشيئة
ومالكنا فى كل ما قد أراده ... له الحمد حمدا يعتلى كل مدحة
فإن له فى الخلق رحمته سرت ... ومن حكم فوق العقول الحكيمة
أمورا يحار العقل فيها إذا رأى ... من الحكم العليا وكل عجيبة
فنؤمن أن الله عز بقدرة ... وخلق وإبرام لحكم المشيئة
فنثبت هذا كله لإلهنا ... ونثبت ما فى ذاك من كل حكمة
وهذا مقام طالما عجز الأولى ... نفوه وكروا راجعين بحيرة
وتحقيق ما فيه بتبيين غوره ... وتحرير حق الحق فى ذى الحقيقة
هو المطلب الأقصى لوارد بحره ... وذا عسر فى نظم هذى القصيدة
لحاجته إلى بيان محقق ... لأوصاف مولانا الإله الكريمة
وأسمائه الحسنى وأحكام دينه ... وأفعاله فى كل هذى الخليقة
وهذا بحمد الله قد بان ظاهرا ... وإلهامه للخلق أفضل نعمة
وقد قيل فى هذا وخط كتابه ... بيان شفاء للنفوس السقيمة
فقولك لم قد شاء مثل سؤال من ... يقول فلم قد كان فى الأزلية
وذاك سؤال يبطل العقل وجهه ... وتحريمه قد جاء فى كل شرعة
وفى الكون تخصيص كثير يدل من ... له نوع عقل أنه بإرادة
وإصداره عن واحد بعد واحد ... أو القول بالتجويز رمية حيرة
ولا ريب فى تعليق كل مسبب ... بما قبله من علة موجبية

بل الشأن فى الأسباب أسباب ما ترى ... وإصدارها عن حكم محض المشيئة
وقولك لم شاء الإله هو الذى ... أزل عقول الخلق فى قعر حفرة
فإن المجوس القائلين بخالق ... لنفع ورب مبدع للمضرة
سؤالهم عن علة السر أوقعت ... أوائلهم فى شبهة الثنوية
وإن ملاحيد الفلاسفة الأولى ... يقولون بالفعل القديم لعلة
بغوا علة للكون بعد انعدامه ... فلم يجدوا ذاكم فضلوا بضلة
وإن مبادى الشر فى كل أمة ... ذوى ملة ميمونة نبوية
بخوضهمو فى ذاكم صار شركهم ... وجاء دروس البينات بفترة
ويكفيك نقضا أن ما قد سألته ... من العذر مردود لدى كل فطرة
فأنت تعيب الطاعنين جميعهم ... عليك وترميهم بكل مذمة
وتنحل من والاك صفو مودة ... وتبغض من ناواك من كل فرقة
وحالهم فى كل قول وفعلة ... كحالك يا هذا بأرجح حجة
وهبك كففت اللوم عن كل كافر ... وكل غوى خارج عن محجة
فيلزمك الإعراض عن كل ظالم ... على الناس فى نفس ومال وحرمة
ولا تغضبن يوما على سافك دما ... ولا سارق مالا لصاحب فاقة
ولا شاتم عرضا مصونا وإن علا ... ولا ناكح فرجا على وجه غية
ولا قاطع للناس نهج سبيلهم ... ولا مفسد فى الأرض فى كل وجهة
ولا شاهد بالزور إفكا وفرية ... ولا قاذف للمحصنات بزنية
ولا مهلك للحرث والنسل عامدا ... ولا حاكم للعالمين برشوة
وكف لسان اللوم عن كل مفسد ... ولا تأخذن ذا جرمة بعقوبة
وسهل سبيل الكاذبين تعمدا ... على ربهم من كل جاء بفرية
وإن قصدوا إضلال من يستجيبهم ... يروم فساد النوع ثم الرياسة
وجادل عن الملعون فرعون إذ طغى ... فأغرق فى اليم انتقاما بغضبة
وكل كفور مشرك بإلهه ... وآخر طاغ كافر بنبوة

كعـاد ونمروذ وقـوم لصالح ... وقوم لنوح ثم أصحاب الأيكة
وخاصم لموسى ثم سائر من أتى ... من الأنبياء محييا للشريعة
على كونهم قد جاهدوا الناس إذ بغوا ... ونالوا من المعاصى بليغ العقوبة
وإلا فكل الخلق فى كل لفظة ... ولحظة عين أو تحرك شعرة
وبطشة كف أو تخطى قديمة ... وكل حراك بل وكل سكينة
هو تحت أقدار الإله وحكمه ... كما أنت فيما قد أتيت بحجة
وهبك رفعت اللوم عن كل فاعل ... فعال ردى طردا لهذى المقيسة
فهل يمكن رفع الملام جميعه ... عن الناس طرا عند كل قبيحة
وترك عقوبات الذين قد اعتدوا ... وترك الورى الإنصاف بين الرعية
فلا تضمنن نفس ومال بمثله ... ولا يعقبن عاد بمثل الجريمة
وهل فى عقول الناس أو فى طباعهم ... قبول لقول النذل ما وجه حيلتى
ويكفيك نقضا ما بجسم ابن آدم ... صبى ومجنون وكل بهيمة
من الألم المقضى فى غير حيلة ... وفيما يشاء الله أكمل حكمة
إذا كان فى هذا له حكمة فما ... يظن بخلق الفعل ثم العقوبة
وكيف ومن هذا عذاب مولد ... عن الفعل فعل العبد عند الطبيعة
كآكل سم أوجب الموت أكله ... وكل بتقدير لرب البرية
فكفرك يا هذا كسم أكلته ... وتعذيب نار مثل جرعة غصة
ألست ترى فى هذه الدار من جنى ... يعاقب إما بالقضا أو بشرعة
ولا عذر للجانى بتقدير خالق ... كذلك فى الأخرى بلا مثنوية
وتقدير رب الخلق للذنب موجب ... لتقدير عقبى الذنب إلا بتوبة
وما كان من جنس المتاب لرفعه ... عواقب أفعال العباد الخبيثة
كخير به تمحى الذنوب ودعوة ... تجاب من الجانى ورب شفاعة
وقول حليف الشر أنى مقدر ... على كقول الذئب هذى طبيعتى
وتقديره للفعل يجلب نقمة ... كتقديره الأشياء طرا بعلة

فهل ينفعن عذر الملوم بأنه ... كذا طبعه أم هل يقال لعثرة
أم الذم والتعذيب أوكد للذى ... طبيعته فعل الشرور الشنيعة
فإن كنت ترجو أن تجاب بما عسى ... ينجيك من نار الإله العظيمة
فدونك رب الخلق فاقصده ضارعا ... مريدا لأن يهديك نحو الحقيقة
وذلل قياد النفس للحق واسمعن ... ولا تعرضن عن فكرة مستقيمة
وما بان من حق فلا تتركنه ... ولا تعص من يدعو الأقوم شرعة
ودع دين ذا العادات لا تتبعنه ... وعج عن سبيل الأمة الغضبية
ومن ضل عن حق فلا تقفونه ... وزن ما عليه الناس بالمعدلية
هنالك تبدو طالعات من الهدى ... تبشر من قد جاء بالحنيفية
بملة إبراهيم ذاك إمامنا ... ودين رسول الله خير البرية
فلا يقبل الرحمن دينا سوى الذى ... به جاءت الرسل الكرام السجية
وقد جاء هذا الحاشر الخاتم الذى ... حوى كل خير فى عموم الرسالة
وأخبر عن رب العباد بأن من ... غدا عنه فى الأخرى بأقبح خيبة
فهذى دلالات العباد لحائر ... وأما هداه فهو فعل الربوبة
وفقد الهدى عند الورى لا يفيد من ... غدا عنه بل يجزى بلا وجه حجة
وحجة محتج بتقدير ربه ... تزيد عذابا كاحتجاج مريضة
وأما رضانا بالقضاء فإنما ... أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة
كسقم وفقر ثم ذل وغربة ... وما كان من مؤذ بدون جريمة
فأما الأفاعيل التى كرهت لنا ... فلا ترتضى مسخوطة لمشيئة
وقد قال قوم من أولى العلم لا رضا ... بفعل المعاصى والذنوب الكبيرة
وقال فريق نرتضى بقضائه ... ولا نرتضى المقضى أقبح خصلة
وقال فريق نرتضى بإضافة ... إليه وما فينا فنلقى بسخطة
كما أنها للرب خلق وأنها ... لمخلوقة ليست كفعل الغريزة
فنرضى من الوجه الذى هو خلقه ... ونسخط من وجه اكتساب الخطيئة

ومعصية العبد المكلف تركه ... لما أمر المولى وإن بمشيئة
فإن إله الخلق حق مقاله ... بأن العباد فى جحيم وجنة
كما أنهم فى هذه الدار هكذا ... بل البهم فى الآلام أيضا ونعمة
وحكمته العليا اقتضت ما اقتضت من الـ ... ـفروق بعلم ثم أيد ورحمة
يسوق أولى التعذيب بالسبب الذى ... يقدره نحو العذاب بعزة
ويهدى أولى التنعيم نحو نعيمهم ... بأعمال صدق فى رجاء وخشية
وأمر إله الخلق بين ما به ... يسوق أولى التنعيم نحو السعادة
فمن كان من أهل السعادة أثرت ... أوامره فيه بتيسير صنعة
ومن كان من أهل الشقاوة لم ينل ... بأمر ولا نهى بتقدير شقوة
ولا مخرج للعبد عما به قضى ... ولكنه مختار حسن وسوأة
فليس بمجبور عديم الإرادة ... ولكنه شاء بخلق الإرادة
ومن أعجب الأشياء خلق مشيئة ... بها صار مختار الهدى بالضلالة
فقولك هل اختار تركا لحكمة ... كقولك هل أختار ترك المشيئة
واختار أن لا اختار فعل ضلالة ... ولو نلت هذا الترك فزت بتوبة
وذا ممكن لكنه متوقف ... على ما يشاء الله من ذى المشيئة
فدونك فافهم ما به قد أجبت من ... معان إذا انحلت بفهم غريزة
أشارت إلى أصل يشير إلى الهدى ... ولله رب الخلق أكمل مدحة
وصلى إله الخلق جل جلاله ... على المصطفى المختار خير البرية

فصل فى الاستطاعة[1]

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى حكاية عن الخضر إذ يقول لموسى عليهما السلام : ﴿ قال إنك لن تستطيع معى صبرا ﴾ ، ﴿ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا ﴾ ، ﴿ ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ﴾ .

---

(١) اعلم أننا أردنا بهذا الفصل الرد على الجبرية ، وعلى القدرية ؛ فالأدلة التى تثبت الاستطاعة ترد على الجبرية ، والأدلة التى تنفيها ترد على القدرية ، والجمع بين الأدلة : أن للعبد استطاعة ولكنها خاضعة لقدرة الله وإرادته ؛ ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ﴾ .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٢٥١) : حدثنا إسماعيل ، حدثنى مالك عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « دعونى ما تركتكم ؛ فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم » .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ٢ ص ٥٨٧) : حدثنا عبدان ، عن عبد الله ، عن إبراهيم بن طهمان ، قال : حدثنى الحسين المكتب ، عن ابن بريدة ، عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : كانت بى بواسير فسألت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الصلاة ، فقال : « صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعدا ، فإن لم تستطع فعلى جنب » .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٤٠٠) : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبى قال : حدثنى الأعمش ، قال : حدثنى خيثمة ، عن عدى بن حاتم قال : قال : النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ما منكم من أحد

إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ، وليس بينه وبينه ترجمان ، ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه ، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمرة » .

قال البخارى رحمه الله (ج ١ ص ١٢٩) : حدثنا على بن الجعد قال : أخبرنا شعبة عن أبى جمرة قال : كنت أقعد مع ابن عباس يجلسنى على سريره فقال : أقم عندى حتى أجعل لك سهما من مالى ، فأقمت معه شهرين ، ثم قال : إن وفد عبد القيس لما أتوا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « من القوم – أو من الوفد – ؟ » ، قالوا : ربيعة ، قال : « مرحبا بالقوم – أو بالوفد – غير خزايا ، ولا ندامى » ، فقالوا : يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا فى الشهر الحرام ، وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر ، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ، وسألوه عن الأشربة ، فأمرهم بأربع ، ونهاهن عن أربع : أمرهم بالإيمان بالله وحده ، قال : « أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ » قالوا الله ورسوله ، أعلم قال : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس » ، ونهاهم عن أربع : عن الحنتم ، والدباء ، والنقير ، والمزفت – وربما قال المقير – وقال : « احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم » .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ١٩٣) : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على السمع والطاعة يقول لنا : « فيما استطعتم » .

حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، حدثنا عبد الله بن دينار قال : شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك ، قال : كتب : إنى أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين ، على سنة الله وسنة رسوله ، ما استطعت ، وأن بنى قد أقروا بمثل ذلك .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أخبرنا سيار ، عن الشعبى ، عن جرير بن عبد الله قال : بايعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم على السمع ، والطاعة ، فلقننى : فيما استطعت والنصح لكل مسلم .

حدثنا عمرو بن على ، حدثنا يحيى ، عن سفيان قال : حدثنى عبد الله ابن دينار قال : لما بايع الناس عبد الملك كتب إليه عبد الله بن عمر : إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين ، إنى أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك ، أمير المؤمنين ، على سنة الله وسنة رسوله ، فيما استطعت ، وأن بنى قد أقروا بذلك .

قال البخارى رحمه الله (ج ٢ ص ٣٣) : حدثنا الحميدى قال : حدثنا مروان بن معاوية قال : حدثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن جرير قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنظر إلى القمر ليلة - يعنى البدر - فقال : « إنكم سترون ربكم[1] كما ترون هذا القمر ، لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها ، فافعلوا . ثم قرأ : ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ . قال إسماعيل . افعلوا لا تفوتنكم .

قال البخارى رحمه الله (ج ٤ ص ١١٩) : حدثنا عبدان ، عن أبى حمزة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال بينا أنا أمشى مع عبد الله رضى الله عنه فقال : كنا مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : من « استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ؛ فإنه له وجاء » .

---

(١) من الأدلة على أن المؤمنين يرون ربهم فى الآخرة .

قال البخارى رحمه الله (ج ٤ ص ١٦٣) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهرى قال : أخبرنى حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله هلكت ، قال : « مالك ؟ » قال : وقعت على إمرأتى ، وأنا صائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « هل تجد رقبة تعتقها ؟ » قال : لا ، قال : « فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » قال : لا ، قال : « فهل تجد إطعام ستين مسكينا ؟ » قال : لا ، قال : فمكث النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فبينا نحن على ذلك أتى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعرق فيها تمر – والعرق : المكتل – قال : « أين السائل ؟ » ، فقال : أنا ، قال : « خذ هذا فتصدق به » . فقال الرجل : على أفقر منى يا رسول الله ؟ فوالله ما بين لا بتيها – يريد الحرتين – أهل بيت أفقر من أهل بيتى . فضحك النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى بدت أنيابه ، ثم قال : « أطعمه أهلك » .

قال البخارى رحمه الله (ج ٤ ص ٢٢٠) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهرى قال : أخبرنى سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عمرو قال : أخبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنى أقول والله لأصومن النهار ، ولأقومن الليل ، ما عشت فقلت له : قد قلته بأبى أنت وأمى قال : « فإنك لا تستطيع ذلك ؛ فصم ، وأفطر ، وقم ، ونم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام ؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر » ، قلت : إنى أطيق أفضل من ذلك ، قال : « نعم فصم يوما ، وأفطر يومين » . قلت : إنى أطيق أفضل من ذلك ، قال : « فصم يوما ، وأفطر يوما فذلك صيام داود عليه السلام ، وهو أفضل الصيام » فقلت : إنى أطيق أفضل من ذلك ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا أفضل من ذلك » .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٢٩٣) : حدثنا يحيى بن أيوب ، وقتيبة بن سعيد ، وعلى بن حجر السعدى ، قالوا : حدثنا إسماعيل (يعنون ابن جعفر) ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « التثاؤب من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع » .

قال مسلم رحمه الله (ج ١ ص ٣٦٢) : حدثنا يحيى بن يحيى قال : قرأت على مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الرحمن بن أبى سعيد ، عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إذا كان أحدكم يصلى فلا يدع أحدا يمر بين يديه ، وليدرأه ما استطاع ، فإن أبى فليقاتله ؛ فإنما هو شيطان » .

قال مسلم رحمه الله (ج ١ ص ٦٩) : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا وكيع ، عن سفيان (ح) ، وحدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، كلاهما عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، وهذا حديث أبى بكر قال : أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة ؟ فقال : قد ترك ما هنالك ، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما فى مجموع الفتاوى (ج ٨ ص ٣٧١) :

فصل : قد تكلم الناس من أصحابنا وغيرهم فى استطاعة العبد : هل هى مع فعله ؟ أم قبله ؟ وجعلوها قولين متناقضين : فقوم جعلوا الاستطاعة مع الفعل فقط ، وهذا هو الغالب على مثبتة القدر المتكلمين من أصحاب

الأشعرى ، ومن وافقهم من أصحابنا وغيرهم . وقوم جعلوا الاستطاعة قبل الفعل ، وهو الغالب على النفاة من المعتزلة ، والشيعة ، وجعل الأولون القدرة لا تصلح إلا لفعل واحد ، إذ هى مقارنة له لا تنفك عنه ، وجعل الآخرون الاستطاعة لا تكون إلا صالحة للضدين ، ولا تقارن الفعل أبدا ، والقدرية أكثر انحرافا ؛ فإنهم يمنعون أن يكون مع الفعل قدرة بحال ؛ فإن عندهم أن المؤثر لابد أن يتقدم على الأثر لا يقارنه بحال ، سواء فى ذلك القدرة ، والإرادة ، والأمر .

والصواب الذى دل عليه الكتاب والسنة : أن الاستطاعة متقدمة على الفعل ومقارنة له أيضا وتقارنه أيضا استطاعة أخرى لا تصلح لغيره .

فالاستطاعة نوعان : متقدمة صالحة للضدين ، مقارنة لا تكون إلا مع الفعل ، فتلك هى المصلحة للفعل المجوزة له ، وهذه هى الموجبة للفعل المحققة له .

قال الله تعالى فى الأولى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ ولو كانت هذه الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج ، ولما عصى أحد بترك الحج ، ولا كان الحج واجبا على أحد قبل الإحرام به ، بل قبل فراغه ، وقال تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ فأمر بالتقوى بمقدار الاستطاعة ، ولو أراد الاستطاعة المقارنة لما وجب على أحد من التقوى إلا ما فعل فقط ، إذ هو الذى قارنته تلك الاستطاعة ، وقال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ والوسع الموسوع ، وهو الذى تسعه ، وتطيقه ، فلو أريد به المقارن لما كلف أحد إلا الفعل الذى أتى به فقط ، دون ما تركه من الواجبات ، وقال تعالى : ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ﴾ ﴿ فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ﴾ والمراد به الاستطاعة المتقدمة ، وإلا كان المعنى : فمن لم يفعل الصيام فإطعام ستين ، فيجوز حينئذ الإطعام ، لكل من لم يصم ، ولا يكون الصوم واجبا على أحد حتى يفعله ، وقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إذا أمرتكم بأمر

فأتوا منه ما استطعتم » ، ولو أريد به المقارنة فقط لكان المعنى : فأتوا منه ما فعلتم ، فلا يكونون مأمورين إلا بما فعلوه ، وكذلك قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعمران بن حصين : « صل قائما ، فإن لم تستطع فعلى جنب » ولو أريد المقارنة لكان المعنى : فإن لم تفعل فتكون مخيرا ، ونظائر هذا متعددة ؛ فإن كل أمر علق فى الكتاب والسنة وجوبه بالاستطاعة ، وعدمه بعدمها ، لم يرد به المقارنة وإلا لما كان الله قد أوجب الواجبات إلا على من فعلها ، وقد أسقطها عمن لم يفعلها ، فلا يأثم أحد بترك الواجب المذكور .

وأما الاستطاعة المقارنة الموجبة فمثل قوله تعالى : ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ﴾ وقوله : ﴿ الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا ﴾ فهذه الاستطاعة هى المقارنة الموجبة ؛ إذ الأخرى لابد منها فى التكليف .

فالأولى هى الشرعية التى هى مناط الأمر ، والنهى ، والثواب ، والعقاب ، وعليها يتكلم الفقهاء ، وهى الغالبة فى عرف الناس .

والثانية : هى الكونية التى هى مناط القضاء والقدر ، وبها يتحقق وجود الفعل .

فالأولى للكلمات الأمريات الشرعيات ، والثانية للكلمات الخلقيات الكونيات كما قال : ﴿ وصدقت بكلمات ربها وكتبه ﴾

وقد اختلف الناس فى قدرة العبد على خلاف معلوم الحق ، أو مراده ، والتحقيق : أنه قد يكون قادرا بالقدرة الأولى الشرعية المقدمة على الفعل ؛ فإن الله قادر أيضا على خلاف المعلوم والمراد ، وإلا لم يكن قادرا إلا على ما فعله ، وليس العبد قادرا على ذلك بالقدرة المقارنة للفعل ؛ فإنه لا يكون إلا ما علم الله كونه وأراد كونه ؛ فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وكذلك قول الحواريين : ﴿ هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من

السماء ﴾ إنما استفهموا عن هذه القدرة ، وكذلك ظن يونس ﴿ أن لن نقدر عليه ﴾ أى : فسر بالقدرة كما يقال للرجل هل تقدر أن تفعل كذا ؟ أى هل تفعله ، وهو مشهور فى كلام الناس .

ولما اعتقدت القدرية أن الأولى كافية فى حصول الفعل ، وأن العبد يحدث مشيئته ، جعلته مستغنيا عن الله من حيث الفعل ، كما أن الجبرية لما اعتقدت أن الثانية موجبة للفعل ، وهى من غيره ، رأوه مجبورا على الفعل ، وكلاهما خطأ قبيح ؛ فإن العبد له مشيئة ، وهى تابعة لمشيئة الله ، كما ذكر الله ذلك فى عدة مواضع من كتابه ﴿ فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء الله ﴾ ، ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا * وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ ، ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ .

فإذا كان الله قد جعل العبد مريدا مختارا شائيا امتنع أن يقال : هو مجبور مقهور ؛ مع كونه قد جعل مريدا ، وامتنع أن يكون هو الذى ابتدع لنفسه المشيئة ، فإذا قيل هو مجبور على أن يختار ، مضطر إلى أن يشاء ، فهذا لا نظير له ، وليس هو المفهوم من الجبر بالاضطرار ، ولا يقدر على ذلك إلا الله ؛ ولهذا افترق القدرية والجبرية على طرفى نقيض ، وكلاهما مصيب فيما أثبته ، دون ما نفاه :

فأبو الحسين البصرى ، ومن وافقه من القدرية يزعمون أن العلم بأن العبد يحدث أفعاله وتصرفاته علم ضرورى ، وأن جحد ذلك سفسطه ، وابن الخطيب ونحوه من الجبرية يزعمون أن العلم بافتقار رجحان فعل العبد على تركه إلى مرجح من غير العبد ضرورى ؛ لأن الممكن المتساوى الطرفين لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا بمرجح ، وكلا القولين صحيح لكن دعوى استلزام أحدهما نفى الآخر ليس بصحيح ؛ فإن العبد محدث لأفعاله ، كاسب لها ، وهذا الإحداث مفتقر إلى محدث ، فالعبد فاعل ، صانع ، محدث ، وكونه فاعلا ، صانعا ، محدثا ، بعد أن لم يكن ، لابد له من فاعل كما قال ﴿ لمن

شاء منكم أن يستقيم ﴾ فإذا شاء الاستقامة صار مستقيما ثم قال : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ .

فما علم بالاضطرار ، وما دلت عليه الأدلة السمعية والعقلية كله حق ؛ ولهذا كان لا حول ولا قوة إلا بالله والعبد فقير إلى الله فقرًا ذاتيًّا له ، فى ذاته ، وصفاته ، وأفعاله ؛ مع أن له ذاتا وصفات وأفعالا ، فنفى أفعاله كنفى صفاته وذاته ، وهو جحد للحق ، شبيه بغلو غالية الصوفية الذين يجعلونه هو الحق ، أو جعل شيء منه مستغنيا عن الله ، أو كائنا بدونه : جحد للحق ، شبيه بغلو الذى قال ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ وقال إنه خلق نفسه وإنما الحق ما عليه أهل السنة والجماعة .

وإنما الغلط فى اعتقاد تناقضه بطريق التلازم ، وأن ثبوت أحدهما مستلزم لنفى الآخر ، فهذا ليس بحق وسببه كون العقل يزيد على المعلوم المدلول عليه ما ليس كذلك ، وتلك الزيادة تناقض ما علم ودل عليه . ا هـ .

واعلم أنى ذكرت الإنكار على من احتج بالقدر على ترك الأعمال الصالحة ، ولا يجوز للعاصى أن يحتج بالقدر على المعصية ، والإيمان بالقدر لا ينافى العمل ، وذكرت فصلا فى الاستطاعة لبيان مذهب أهل السنة رحمهم الله أنه وسط بين نقاة القدر وبين الجبرية ؛ فأهل السنة يثبتون للعبد فعلا ، ومشيئة ، وقدرة ، وإرادة ، وعملا ، وتركا وأنه يمدح على الطاعة ، ويذم على المعصية ، ولكن فعل العبد ، ومشيئته ، وقدرته ، وإرادته ، وعمله ، وتركه ، خاضع لقدرة الله ﴿ وما تشاءون إلَّا أن يشاء الله ﴾ ﴿ لا حول ولا قوة إلا بالله ﴾ وهذا أمر يحس به كل عاقل ؛ فأحدنا يعزم على الأمر فى الحين أو فى الغد فيصرفه الله إلى عمل غيره ، هذا أمر لا ينكر ، فسبحان من يسير الأمور . والعاصى يهم بالمعصية ، فيصرفه الله ، إن كان الله يريد به الخير يصرفه بمرض ، أو خوف من الناس ، وربما خوف من الله إلى غير ذلك من الصرف الذى

يحس به العقلاء وما أكثر التخطيطات التى نخططها لديننا أو دنيانا فيصرفنا إلى غير ما نخططه إما عن اقتناع منا وإما بالقهر ، والغلبة ، فخاب ، وخسر من يظن أنه يغالب الله ، أو يتصرف فى الكون من غير إرادة الله ، ومشيئته . والحمد لله الذى هدانا للإيمان بالقدر وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله فهو المتفضل علينا بالهداية فله الفضل وحده . والحمد لله .

مطابقة الواقع للقدر

إن مما يدخل فى القدر : ما أخبر الله به قبل أن يقع ، أو أخبر به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل أن يقع ، ثم وقع موافقا للقدر ، ويدخل فى هذا ما أخبر رسول الله عن أمور مستقبلة ، ومنها أن يخبر صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن فلانا من أهل الجنة ، ثم لم ينقل عنه أنه غيّر أو بدّل ، أو أخبر أن فلانا من أهل النار ، ثم تحققت له سوء الخاتمة والعياذ بالله ، وهذا يدخل فى دلائل النبوة أيضا ، وقد كنت كتبت جلّه هنالك ، ولا يمنع أن يستدل بالدليل الواحد على أمور شتى ؛ فهذا من الفقه فى الدين ، والحمد لله رب العالمين .

فمنها : قصة أبى لهب وامرأته

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارا ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * فى جيدها حبل من مسد ﴾ .

مات أبو لهب وامرأته على كفرهما كما أخبر الله سبحانه وتعالى ، ومن مات كافرا فهو إلى النار .

قال البخارى رحمه الله (ج ٣ ص ٢٥٩) : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبى ، حدثنا الأعمش ، حدثنى عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال أبو لهب عليه لعنة الله ، للنبى

صلى الله عليه وعلى آله وسلم : تبا لك سائر اليوم ، فنزلت تبت يدا أبى لهب وتب[1] .

ومنها : الإخبار بأن المسلمين سيقتلون أمية بن خلف

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ٢٨٢) : حدثنا أحمد بن عثمان ، حدثنا شريح بن مسلمة ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق قال ، حدثنى عمرو بن ميمون أنه سمع عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حدّث : عن سعد بن معاذ أنه قال : كان صديقا لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة انطلق سعد معتمرا ، فنزل على أمية بمكة فقال لأمية : انظر إلى ساعة خلوة لعلى أن أطوف بالبيت . فخرج به قريبا من نصف النهار فلقيهما أبو جهل فقال : يا أبا صفوان من هذا معك ؟ قال هذا سعد . فقال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنا ، وقد أويتم الصباة ، وزعمتم أنكم تنصرونهم ، وتعينونهم . أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت إلى أهلك سالما فقال له سعد ـ ورفع صوته عليه ـ : أما والله لئن منعتنى هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه : طريقك على المدينة فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبى الحكم سيد أهل الوادى . فقال سعد : دعنا عنك يا أمية فوالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إنهم قاتلوك » . قال : بمكة ؟ قال : لا أدرى . ففزع لذلك أمية فزعا شديدا ، فلما رجع أمية إلى أهله قال : يا أم صفوان ألم ترى ما قال لى سعد ؟ قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أن محمدًا أخبرهم أنهم قاتلى .

---

(١) الشاهد فيه حيث وقع ما أخبر الله به فى كتابه من عدم إسلام أبى لهب وامرأته ؛ وهذا يعد من إعجاز القرآن .

فقالت له : بمكة ؟ قال : لا أدرى فقال أمية : والله لا أخرج من مكة . فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال : أدركوا عيركم ، فكره أمية أن يخرج ، فأتاه أبو جهل فقال : يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت ، وأنت سيد أهل الوادى ، تخلفوا معك . فلم يزل به أبو جهل حتى قال : أما إذا غلبتنى فوالله لأشترين أجود بعير بمكة ، ثم قال أمية : يا أم صفوان جهزينى ، فقالت له : يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربى قال : لا ما أريد أن أجوز معه إلا قريبا ، فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلا إلا عقل بعيره فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل ببدر .

ومنها : ما رأى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه سيتزوج عائشة

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ٢٢٣) : حدثنا معلى ، حدثنا وهيب ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لها : « أريتك فى المنام مرتين : أرى أنك فى سرقة من حرير ويقول : هذه امرأتك فاكشف ، فإذا هى أنت ، فأقول : إن يك هذا من عند الله يمضه » .

ومنها : الإخبار بأن الكفار فى يوم بدر سينهزمون

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٩٩) : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو فى قبة : « اللهم إنى أنشدك عهدك ، ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم » ، فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك يا رسول الله ؛ فقد ألححت على ربك ، وهو فى الدرع ، فخرج ، وهو يقول : « سيهزم الجمع ، ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم ، والساعة أدهى وأمر » .

وقال وهيب : حدثنا خالد (يوم بدر) .

ومنها : الإخبار عن المواقع التى سيقتل فيها بعض الكفار الذين شهدوا بدرا

قال مسلم رحمه الله (ج ١٧ ص ٢٠٥ مع شرح النووى) : حدثنى إسحاق بن عمر بن سليط الهذلى ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت قال : قال أنس : كنت مع عمر (ح) وحدثنا شيبان بن فروخ ، واللفظ له ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة فرأينا الهلال ، وكنت رجلا حديد البصر ، فرأيته وليس أحد يزعم أنه رآه غيرى ، قال : فجعلت أقول لعمر : ما تراه ، فجعل لا يراه ، قال : يقول عمر : سأراه وأنا مستلق على فراشى ، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس ، يقول : هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله ، قال : فقال عمر : فوالذى بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التى حد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى انتهى إليهم فقال : « يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فإنى قد وجدت ما وعدنى الله حقا ؟ » . قال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجسادا ، لا أرواح فيها ؟ قال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئا » .

ومنها : الإخبار بفتح خيبر

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ١٢٦) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبى عبيد ، عن مسلمة بن الأكوع رضى الله

عنه قال : كان على رضى الله عنه تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فخرج على ، فلحق بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فلما كان مساء الليلة التى فتحها فى صباحها فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لأعطين الراية » أو قال : « ليأخذن غدا رجل يحبه الله ورسوله » أو قال : « يحب الله ورسوله يفتح الله عليه » فإذا نحن بعلى وما نرجوه ، فقالوا : هذا على : فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ففتح الله عليه .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٨٧٢) .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ١١١) : حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبى ، حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد رضى الله عنه : سمع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه » فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى ، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى ، فقال : « أين على ؟ » فقيل يشتكى عينيه ، فأمر فدعى له ، فبصق فى عينيه ، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء فقال : نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . فقال : « على رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم » .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٨٧١) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا يعقوب ، يعنى ابن عبد الرحمن القارى ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال يوم خيبر : « لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه » ، قال عمر بن الخطاب : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، قال : فتساورت لها ، رجاء أن أدعى لها ، قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على بن أبى طالب ، فأعطاه

إياها وقال : « امش ، ولا تلتفت ، حتى يفتح الله عليك » قال : فسار على شيئا ، ثم وقف ، ولم يلتفت ، فصرخ : يا رسول الله ! على ماذا أقاتل الناس ؟ قال : « قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم ، وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله » .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦٣٣) : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا أيوب ، عن محمد سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : صبح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خيبر بكرة وقد خرجوا بالمساحى ، فلما رأوه قالوا : محمد والخميس ، فأجالوا إلى الحصن يسعون ، فرفع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يديه وقال : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا اذا أنزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

أخرجه مسلم (ج ٣ ص ١٤٢٦) .

ومنها : الإخبار بأن الله والمؤمنين لا يرضون خليفة للمسلمين إلا أبا بكر

قال البخارى رحمه الله (ج ١٠ ص ١٢٣) : حدثنا يحيى بن يحيى أبو زكرياء ، أخبرنا سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد قال : سمعت القاسم ابن محمد قال: قالت عائشة : وارأساه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ذاك لو كان وأنا حى فأستغفر لك وأدعو لك » ، فقالت عائشة : وا ثكلياه ، والله إنى لأظنك تحب موتى ، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسا ببعض أزواجك ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « بل أنا وارأساه لقد هممت ، أو أردت ، أن أرسل إلى أبى بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون ، أو يتمنى المتمنون ، ثم قلت : يأبى الله ، ويدفع المؤمنون . أو يدفع الله ويأبى المؤمنون » .

ومنها : إخباره بأن من رُدّ من المسلمين إلى الكفار سيجعل الله له فرجا ومخرجا

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ١٤١١) : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت عن أنس أن قريشا صالحوا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فيهم سهيل بن عمرو ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعلى : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » قال سهيل : أما باسم الله فما ندرى ما بسم الله الرحمن الرحيم ، ولكن اكتب ما نعرف : باسمك اللهم ، فقال : « اكتب من محمد رسول الله » قالوا : لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اكتب من محمد بن عبد الله » فاشترطوا على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أن من جاء منكم لم نرده عليكم ، ومن جاءكم منا رددتموه علينا ، فقالوا : يا رسول الله أنكتب هذا ؟ قال : « نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا » .

وقد وقع ما أخبر به النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ فعندما تجمع الهاربون من مكة على سيف البحر ، وقطعوا الطريق على قريش ، طلب كفار قريش من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يقبلهم .

ومنها : الإخبار بهبوب ريح شديدة فى غزوة تبوك

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٧٨٥) : حدثنا عبد الله بن مسلمة ابن قعنب ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن عمرو بن يحيى ، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدى ، عن أبى حميد قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم غزوة تبوك ، فأتينا وادى القرى على حديقة لامرأة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اخرصوها » فخرصناها ،

وخرصها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عشرة أوسق ، وقال : « أحصيها حتى نرجع إليك إن شاء الله » وانطلقنا ، حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ستهب عليكم الليلة ريح شديدة ، فلا يقم فيها أحد منكم ، فمن كان له بعير فليشد عقاله » فهبت ريح شديدة ، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلى طيء ، وجاء رسول ابن العلماء ، صاحب أيلة ، إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بكتاب ، وأهدى له بغلة بيضاء ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأهدى له بردا ، ثم أقبلنا حتى قدمنا وادى القرى ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المرأة عن حديقتها : « كم بلغ ثمرها ؟ » فقالت : عشرة أوسق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إنى مسرع ، فمن شاء منكم فليسرع معى ، ومن شاء فليمكث » فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة ، فقال : « هذه طابة ، وهذا أحد ، وهو جبل يحبنا ، ونحبه » ثم قال : « إن خير دور الأنصار دار بنى النجار ، ثم دار بنى عبد الأشهل ، ثم دار بنى عبد الحارث ابن الخزرج ، ثم دار بنى ساعدة ، وفى كل دور الأنصار خير » فلحقنا سعد ابن عبادة فقال أبو أسيد : ألم تر أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خير دور الأنصار فجعلنا آخرا ، فأدرك سعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يا رسول الله ! خيرت دور الأنصار فجعلتنا آخر ، فقال : « أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار » .

حدثناه أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا عفان (ح) ، وحدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا المغيرة بن سلمة المخزومى قالا : حدثنا وهيب ، حدثنا عمرو ابن يحيى ، بهذا الإسناد إلى قوله : « وفى كل دور الأنصار خير » ولم يذكر ما بعده من قصة سعد بن عبادة ، وزاد فى حديث وهيب : فكتب له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ببحرهم ، ولم يذكر فى حديث وهيب : فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ومنها : الإخبار بأن فاطمة أول أهله لحاقا به

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦٢٧) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا زكرياء ، عن فراس ، عن عامر الشعبى ، عن مسروق ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « مرحبا يا ابنتى » ، ثم أجلسها عن يمينه – أو عن شماله – ثم أسر إليها حديثا ، فبكت ، فقلت لها : لم تبكين ؟ ثم أسر إليها حديثا فضحكت فقلت : ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن ، فسألتها عما قال ، فقالت : ما كنت لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حتى قبض النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسألتها .

فقالت : أسر إلى أن جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة ، وأنه عارضنى العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلى ، وإنك أول أهل بيتى لحاقا بى ، فبكيت ، فقال : أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة – أو نساء المؤمنين – فضحكت لذلك .

حدثنا يحيى بن قزعة ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنها قالت دعا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاطمة ابنته فى شكواه التى قبض فيها ، فسارها بشىء ، فبكت ، ثم دعاها فسارها بشىء فضحكت ، قالت : فسألتها عن ذلك .

فقالت : سارنى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فأخبرنى أنه يقبض فى وجعه الذى توفى فيه ، فبكيت ، ثم سارنى فأخبرنى أنى أول أهل بيته أتبعه ، فضحكت .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٩٠٥) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦٢٨) : حدثنا يحيى بن قزعة حدثنا

إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : دعا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاطمة بنته فى شكواه التى قبض فيها ، فسارها بشىء فبكت ، ثم دعاها فسارها فضحكت ، قالت : فسألتها عن ذلك ، فقالت : سارنى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخبرنى أنه يقبض فى وجعه الذى توفى فيه فبكيت ، ثم سارنى فأخبرنى أنى أول أهل بيته اتبعه فضحكت . اهـ

توفيت فاطمة رضى الله عنها بعد موت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، بستة أشهر كما فى صحيح البخارى .

ومنها : الإخبار بقتل عمر رضى الله عنه

قال البخارى رحمه الله (ج ٤ ص ١١٠) : حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا جامع عن أبى وائل عن حذيفة قال : قال عمر رضى الله عنه : من يحفظ حديثا عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الفتنة ؟ قال حذيفة : أنا سمعته يقول : « فتنة الرجل فى أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة » قال : ليس أسأل عن ذه ، إنما أسأل عن التى تموج كما يموج البحر ! قال : وإن دون ذلك بابا مغلقا . قال : فيفتح أو يكسر ؟ قال : يكسر ، قال : ذاك أجدر ألا يغلق إلى يوم القيامة ، فقلنا لمسروق : سله أكان عمر يعلم من الباب ، فسأله فقال : نعم ، كما يعلم أن دون غد الليلة .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٢١٨) .

ومنها : الإخبار بأن عمر وعثمان سيستشهدان

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ٤٢) : حدثنا مسدد ، حدثنا يزيد ابن زريع ، حدثنا سعيد بن أبى عروبة . وقال لى خليفة : حدثنا محمد بن سواء ، وكهمس بن المنهال قالا : حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك

رضى الله عنه ، قال : صعد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله وقال : « اثبت أحد فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيدان » .

وقال رحمه الله (ص ٥٣) : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى عن سعيد عن قتادة أن أنسا رضى الله عنه حدثهم قال : صعد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال : « اسكن أحد » – أظنه ضربه برجله – « فليس عليك إلا نبى وصديق وشهيدان »

ومنها : الإخبار بقتل عثمان رضى الله عنه مظلوما

وقال الإمام أحمد رحمه الله : ـ أيضا ـ ثنا محمد بن بكر يعنى البسانى ، أنا وهيب بن خالد ، ثنا أيوب عن أبى قلابة عن أبى الأشعث قال : قامت خطباء بإيلياء فى إمارة معاوية رضى الله عنه فتكلموا ، وكان آخر من تكلم مرة بن كعب فقال : لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يذكر فتنة تقربها ، فمر رجل مقنع فقال : هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى ، فقلت : هذا يا رسول الله ، وأقبلت بوجهه إليه فقال : هذا فإذا هو عثمان رضى الله عنه .

حديث حسن . وأبو الأشعث هو شراحيل بن آدة ، روى عنه جماعة وهو من رجال مسلم ، لكنه لم يوثقه معتبر فهو مستور الحال يصلح حديثه فى الشواهد والمتابعات ويكون حسنا لغيره . والله أعلم .

قال الترمذى رحمه الله (ج ١٠ ص ٢٠٣) : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى ، أخبرنا شاذان الأسود بن عامر عن سنان بن هارون ، عن كليب ابن وائل ، عن ابن عمر قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فتنة فقال : « يقتل هذا فيها مظلوما » . لعثمان[1] بن عفان رضى الله عنه . هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ٢٣٦) : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا معاوية عن سليم بن عامر عن جبير بن نفير قال : كنا معسكرين مع معاوية بعد قتل عثمان رضى الله عنه ، فقام كعب بن مرة البهزى فقال : لولا شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ما قمت هذا المقام ، فلما سمع بذكر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجلس الناس فقال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، إذ مر عثمان بن عفان عليه مرجلا قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لتخرجن فتنة من بين قدمى أو من تحت رجلى هذا . هذا يومئذ ومن اتبعه على الهدى » . قال : فقام ابن حوالة الأزدى من عند المنبر فقال : إنك لصاحب هذا ، قال : نعم والله إنى لحاضر ذلك المجلس لو علمت أن فى الجيش مصدقًا كنت أول من تكلم به .

هذا حديث حسن على شرط مسلم .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ١٠٩) : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا الجريرى عن عبد الله بن شقيق ، عن ابن حوالة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو جالس فى ظل دومة ، وعنده كاتب له يملى عليه فقال : « ألا أكتبك يا ابن حوالة » ، قلت : لا أدرى ما خار الله لى ورسوله فأعرض عنى . وقال إسماعيل مرة فى الأولى نكتبك يا ابن حوالة قلت لا أدرى فيم يا رسول الله ، فأعرض عنى فأكب على كاتبه يملى

---

(١) قتل رضى الله عنه سنة خمس وثلاثين كما فى البداية والنهاية ج ٧ ص ١٧٧ .

عليه ، ثم قال : « أنكتبك يا ابن حوالة » قلت : لا أدرى ما خار الله لى ورسوله فأعرض عنى فأكب على كاتبه يملى عليه قال : فنظرت فإذا فى الكتاب عمر فقلت إن عمر لا يكتب إلا فى خير ، ثم قال : « أنكتبك يا ابن حوالة قلت : نعم قال : « يا ابن حوالة كيف تفعل فى فتنة تخرج فى أطراف الأرض كأنها صياصى بقر » قلت : لا أدرى ما خار الله لى ورسوله قال : « وكيف تفعل فى أخرى تخرج بعدها كأن الأولى فيها انتفاحة أرنب » قلت : لا أدرى ما خار الله لى ورسوله قال : « اتبعوا هذا ورجل مقفى حينئذ » قال : فانطلقت فسعيت وأخذت بمنكبيه فأقبلت بوجهه إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقلت : هذا ، قال : « نعم » قال : وإذا هو عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .

هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص ٨٦) : ثنا أبو المغيرة قال : ثنا الوليد بن سليمان قال : حدثنى ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان ابن بشير عن عائشة قالت : أرسل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى عثمان بن عفان ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلما رأينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أقبلت إحدانا على الأخرى ، فكان من آخر كلام كلمه أن ضرب منكبه وقال : « يا عثمان إن الله عز وجل عسى أن يلبسك قميصا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى ، يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى » ثلاثا فقلت لها يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك قالت : نسيته والله فما ذكرته .

قال : فأخبرته معاوية بن أبى سفيان فلم يرض بالذى أخبرته ، حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبى إلىّ به فكتبت إليه به كتابا .

هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

ومنها الإخبار بأن المسلمين بعد غزوة الخندق سيغزون أهل مكة ولا يغزوهم أهل مكة

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ٤٠٥) : حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبى إسحاق عن سليمان بن صرد قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم الأحزاب : « نغزوهم ولا يغزونا » .

حدثنى عبد الله بن محمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا إسرائيل سمعت أبا إسحاق يقول : سمعت سليمان بن صرد يقول : سمعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول حين أجلى الأحزاب عنه : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم »[1] .

ومنها : إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم ميمونة أنها لا تموت بمكة

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله فى البداية والنهاية (ج ٦ ص ٢٥٦) : قال البخارى فى التاريخ : أنا موسى بن إسماعيل ثنا عبد الواحد بن زياد ، ثنا عبد الله بن عبد الله بن الأصم ، ثنا يزيد بن الأصم ، قال : ثقلت ميمونة بمكة وليس عندها من بنى أختها أحد فقالت أخرجونى من مكة فإنى لا أموت بها – إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخبرنى ، أنى لا أموت بمكة فحملوها حتى أتوا بها إلى سرف الشجرة التى بنى بها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تحتها فى موضع القبة فماتت رضى الله عنها .

---

(١) قال الحافظ فى الفتح : وفيه علم من أعلام النبوة فإنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : اعتمر فى السنة المقبلة فصدته قريش عن البيت ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها فكان ذلك سبب فتح مكة فوقع الأمر كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

قال أبو عبد الرحمن : وهذا سند صحيح على شرط مسلم . قال الحافظ ابن كثير رحمه الله فى البداية والنهاية وكان موتها سنة إحدى وخمسين على الصحيح .

ومنها : الإخبار بأن عائشة ستنبحها كلاب الحوْأب فخرجت يوم الجمل ونبحتها

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص ٩٧) : ثنا محمد بن جعفر قال : ثنا شعبة عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم أن عائشة قالت : لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت : ما أظننى إلا راجعة إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ، لنا : « أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب » . فقال الزبير : ترجعين[1] عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس[2] .

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

ومنها : إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن رجل ممن قاتل معه أنه من أهل النار

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٨٩) : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب

---

(١) أى لا ترجعى .

(٢) ومما ينبغى أن يعلم أن أم المؤمنين رضى الله عنها قصدت الخير والإصلاح بين المسلمين وأخطأت وخطؤها مغمور فيما لها من المكانة الكبيرة عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ورحم الله عمار بن ياسر إذ يقول : والله إنها لزوجة رسول الله فى الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها أتطيعونه أم تطيعونها ، أو بهذا المعنى . فهذا هو الإنصاف لا ما تلفقه الرافضة من الأقاصيص المكذبة ، ولقد ابتلى الله الأمة الإسلامية بترهات الرافضة وأباطيلها ، التى هى عار على أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ولكن جزى الله علماءنا خيرا فقد وقفوا لها بالمرصاد .

ابن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا ، فلما مال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم ، وفى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجل لا يدع شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه ، فقالوا ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أما إنه من أهل النار » فقال رجل من القوم : أنا صاحبه ، قال فخرج معه كلما وقف وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه ، قال فجرح الرجل جرحا شديدا ، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه فى الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : أشهد أنك رسول الله ، قال : « وما ذاك » قال الرجل الذى ذكرت آنفا أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت أنا لكم به ، فخرجت فى طلبه ، ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه فى الأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند ذلك : « إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » .

وأخرجه مسلم (ج ١ ص ١٠٥) .

وقال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ١٧٩) : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى (ح) وحدثنى محمود بن غيلان ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال لرجل ممن يدعى الإسلام : « هذا من أهل النار » فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا ، فأصابته جراحة ، فقيل يا رسول الله الذى قلت أنه من أهل النار فإنه قاتل

اليوم قتالا شديدا وقد مات ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إلى النار » قال فكاد بعض الناس أن يرتاب فبينما هم على ذلك إذ قيل إنه لم يمت ولكن به جراحا شديدا ، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه . فأخبر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك فقال « الله أكبر أكبر أشهد أنى عبد الله ورسوله » ثم أمر بلالا فنادى فى الناس أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وأن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .وأخرجهمسلم (ج ١ ص ١٠٦) .

ومنها : الإخبار بإخراج اليهود من خيبر

قال البخارى رحمه الله (ج ٥ ص ٣٢٧) : حدثنا أبو أحمد[1] حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان الكنانى ، أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : لما فدع أهل خيبر[2] عبد الله بن عمر ، قام عمر خطيبا فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عامل يهود خيبر على أموالهم ، وقال : نقركم ما أقركم الله وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فَعُدِىَ عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه ، وليس لنا هناك عدو غيرهم ، هم عدونا وتهمتنا ، وقد رأيت إجلاءهم . فلما أجمع عمر على ذلك ، أتاه أحد بنى الحقيق فقال : يا أمير المؤمنين ، أتخرجنا وقد أقرنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا ، فقال عمر ظننت أنى نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة » . فقال كان ذلك هزيلة من أبى القاسم . فقال : كذبت يا عدو الله . فأجلاهم عمر ، وأعطاهم قيمة

---

(١) أبو أحمد هو مرار بن حموية وليس له ولشيخه فى الصحيح غير هذا الحديث قاله الحافظ .
(٢) الفدع زوال المفصل .

ما كان لهم من الثمر مالا وإبلا وعروضا من أقتاب وحبال وغير ذلك .

رواه حماد بن سلمة عن عبيد الله أحسبه عن نافع عن ابن عمر عن عمر عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، اختصره .

ومنها : الإخبار بأن بعض أمته صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيركبون البحر غزاة فى سبيل الله

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ١٠) : حدثنا عبد الله بن يوسف عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه سمعه يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه ، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأطعمته وجعلت تفلى رأسه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم استيقظ وهو يضحك قالت : فقلت : وما يضحكك يا رسول الله قال : « ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله ، يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة – أو مثل الملوك على الأسرة شك إسحاق – » قالت : فقلت : يا رسول الله ادع الله يجعلنى منهم ، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم وضع رأسه ، ثم استيقظ وهو يضحك ، فقلت وما يضحكك يا رسول الله قال ناس من امتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله كما قال فى الأول ، قالت : فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال : « أنت من الأولين » ، فركبت البحر فى زمان معاوية بن أبى سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت . أخرجه مسلم (ج ٣ ص ١٥١٨) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ١٠٢) حدثنا إسحاق بن يزيد الدمشقى حدثنا يحيى بن حمزة قال : حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان ، أن عمير بن الأسود حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل فى

مساحة حمص ، وهو بناء له ومعه أم حرام ، قال عمير : فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبى ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، يقول : « أول جيش من أمتى يغزون البحر قد أوجبوا » قالت أم حرام : قلت يا رسول الله أنا فيهم ؟ قال : « أنت فيهم » ثم قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » . فقلت أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال : « لا » .

إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن زينب أول زوجاته لحاقا به

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٩٠٧) : حدثنا محمود بن غيلان أبو أحمد حدثنا الفضل بن موسى السينانى أخبرنا طلحة بن يحيى بن طلحة عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا » . قالت : فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا . قالت : فكانت أطولنا يدا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق .

هذا الحديث أخرجه البخارى (ج ٣ ص ٢٨٦) ولكن عنده أن سودة أسرعهن لحوقا . وقد قال الحافظ وهم فيه أبو عوانة والصحيح زينب .

ومنها : إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم جابر بن عبد الله أنها ستكون لهم أنماط

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦٢٩) : حدثنا عمرو بن عباس حدثنا ابن مهدى حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « هل لكم من أنماط ؟ » قلت : وأنى يكون لنا الأنماط ؟ قال : « أما وإنها ستكون لكم الأنماط » . فأنا أقول

لها : ـ يعنى امرأته ـ أخرى عنا أنماطك ، فتقول : ألم يقل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إنها ستكون لكم الأنماط ، فأدعها » . اهـ

قال الحافظ فى الفتح الأنماط جمع نمط بفتحات ، مثل خبر وأخبار ، والنمط بساط له خمل رقيق . اهـ المراد منه .

ومنها : الإخبار بأن بعض أهل المدينة سيخرجون منها رغبة فى الدنيا

قال البخارى رحمه الله (ج ٤ ص ٩٠) : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن سفيان ابن أبى زهير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « تفتح اليمن فيأتى قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وتفتح الشام فيأتى قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وتفتح العراق فيأتى قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » .

وأخرجه مسلم (ج ٢ ص ١٠٠٨ و ١٠٠٩) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ١٠٠٥) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز يعنى الدراوردى عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذى نفسى بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف فيها خيرا منه ، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبيث لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد » .

قال الإمام يعقوب الفسوى عقب هذا الحديث (ج ١ ص ٣٤٩) : وهذا إسناد جيد ثم ذكر أن عبد العزيز وعبد الرحمن وأباه ثقات .

ومنها : الإخبار بقدوم أويس القرنى إلى المدينة

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٩٦٨) : حدثنى زهير بن حرب ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنى سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أسير بن جابر ، أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس ، فقال عمر : هل هٰهنا أحد من القرنيين ؟ فجاء ذلك الرجل ، فقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد قال : « إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس . لا يدع باليمن غير أم له . قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم » .

حدثنا زهير بن حرب ومحمد بن المثنى . قالا : حدثنا عفان بن مسلم . حدثنا حماد (وهو ابن سلمة) عن سعيد الجريرى بهذا الإسناد عن عمر ابن الخطاب قال :إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض . فمروه فليستغفر لكم » .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار (قال إسحاق : أخبرنا وقال الآخران حدثنا) ـ واللفظ لابن المثنى ـ حدثنا معاذ ابن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أسير بن جابر قال : كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس : فقال أنت أويس بن عامر ؟ قال : نعم . قال : من مراد ثم من قرن ؟ قال : نعم . قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع

درهم ؟ قال : نعم . قال لك والدة ؟ قال : نعم . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول « يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم . له والدة هو بها بر ، لو أقسم على الله لأبره . فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل » فاستغفر لى . فاستغفر له .

فقال له عمر : أين تريد ؟ قال الكوفة . قال : ألا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال : أكون فى غبراء الناس أحب إلى .

فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر . فسأله عن أويس ، قال : تركته رث البيت قليل المتاع قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن ، من مراد ثم من قرن ، كان به برص فبرأ منه ، إلا موضع درهم . له والدة هو بها بر . لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل » فأتى أويسا فقال : استغفر لى قال : أنت أحدث عهدا بِسَفَرٍ صَالِحٍ . فاستغفر لى ؟ قال : لقيت عمر ؟ قال : نعم . فاستغفر له ففطن له الناس . فانطلق على وجهه : قال أسير : وكسوته بردة . فكان كلما رآه إنسان قال : من أين لأويس هذه البردة ؟

قال الحاكم رحمه الله (ج ٣ ص ٤٠٤) حدثنا على بن حمشاذ العدل ثنا الحسين بن الفضل البجلى ، ومحمد بن غالب الضبى ، قالا : ثنا عفان ابن مسلم ثنا حماد بن سلمة عن سعيد الجريرى عن أبى نضرة ، عن أسير ابن جابر قال : لما أقبل أهل اليمن جعل عمر رضى الله عنه يستقرى الرفاق ، فيقول هل فيكم أحد من قرن ، حتى أتى عليه قرن . فقال من أنتم ؟ قالوا : قرن ، فرفع عمر بزمام أو زمام أويس ، فناوله عمر ، فعرفه بالنعت . فقال له عمر : ما اسمك ؟ قال : أنا أويس . قال : هل كان لك والدة ؟ قال : نعم . قال : هل بك من البياض ؟ قال : نعم . دعوت الله تعالى ، فأذهبه عنى

إلا موضع الدرهم من سرتى ؛ لأذكر به ربى ، فقال له عمر : استغفر لى . قال : أنت أحق أن تستغفر لى . أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . فقال عمر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن خير التابعين رجل يقال له أويس القرنى . وله والدة وكان به بياض فدعا ربه فأذهبه عنه إلا موضع الدرهم فى سرته » . قال : فاستغفر له . قال : ثم دخل فى أغمار الناس فلم يدر أين وقع . قال : ثم قدم الكوفة فكنا نجتمع فى حلقة فنذكر الله وكان يجلس معنا فكان إذ ذكرهم وقع حديثه من قلوبنا موقعا لا يقع حديث غيره . ففقدته يوما فقلت لجليس لنا ، ما فعل الرجل الذى كان يقعد إلينا ، لعله اشتكى ، فقال : رجل من هو ؟ فقلت من هو ؟ قال ذاك أويس القرنى . فدللت على منزله فأتيته ، فقلت يرحمك الله أين كنت ؟ ولم تركتنا ؟ فقال : لم يكن لى رداء . فهو الذى منعنى من إتيانكم . قال : فألقيت إليه ردائى . فقذفه إلى . قال : فتخاليته ساعة ثم قال : لو أنى أخذت رداءك هذا فلبسته فرآه على قومى ، قالوا انظروا إلى هذا المرائى ، لم يزل فى الرجل حتى خدعه وأخذ رداءه ، فلم أزل به حتى أخذه . فقلت : انطلق ؛ حتى أسمع ما يقولون فلبسه ، فخرجنا فمر بمجلس قومه فقالوا : انظروا إلى هذا المرائى لم يزل بالرجل حتى خدعه وأخذ رداءه . فأقبلت عليهم فقلت ألا تستحيون ؛ لم تؤذونه والله لقد عرضته عليه فأبى أن يقبله . قال : فوفدت وفود من قبائل العرب إلى عمر ، فوفد فيهم سيد قومه ، فقال لهم عمر بن الخطاب : أفيكم أحد من قرن ؟ فقال له سيدهم : نعم . أنا . فقال له : هل تعرف رجلا من أهل قرن يقال له أويس من أمره كذا ومن أمره كذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما تذكر من شأن ذاك ، ومن ذاك ؟ فقال له عمر ثكلتك أمك أدركه مرتين أو ثلاثا ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لنا : إن رجلا يقال له أويس من قرن من أمره كذا ومن أمره كذا ، فلما قدم الرجل لم يبدأ بأحد قبله فدخل عليه ، فقال استغفر

لى ، فقال ما بدا لك ، قال : إن عمر قال لى كذا وكذا . قال : ما أنا بمستغفر لك حتى تجعل لى ثلاثا . قال : وما هن قال : لا تؤذينى فيما بقى ، ولا تخبر بما قال لك عمر أحدا . من الناس ، ونسى الثالثة .

لم يحكم الحاكم رحمه الله عليه بشيء ، فأشار الحافظ الذهبى فى التلخيص إلى أنه على شرط مسلم . وهو كما يقول رحمه الله ، فإن مسلما قد أخرج صدره .

ومنها : الإخبار بفتنة عظيمة تكون بالمدينة[1]

قال الإمام عبد الرزاق الصنعانى رحمه الله (ج ١١ ص ٣٥١) : عن معمر عن أبى عمران الجونى عن عبد الله بن الصامت ، وهو ابن أخى أبى ذر ، عن أبى ذر قال : كنت رديفا خلف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوما على حمار ، فلما جاوزنا بيوت المدينة قال : « كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة جوع ، تقوم على فراشك لا تبلغ مسجدك حتى يجهدك الجوع » . قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « تعفف يا أبا ذر » قال : « كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة موت يبلغ البيت العبد » يعنى أنه يباع القبر بالعبد قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « تصبر » قال : « كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة قتل تغمر الدماء حجارة الزيت » . قال : قلت الله ورسوله أعلم . قال : « تأتى من أنت منه » . قال : قلت وألبس السلاح قال : « شاركت القوم إذا » . قلت : وكيف أصنع يا رسول الله ، قال : « إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ناحية ثوبك على وجهك ليبوء بإثمك وإثمه » .

---

(١) ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله (ج ٦ ص ٢٣٨) أنها وقعة الحرة .

قال ابن حبان رحمه الله كما فى الموارد (ص ٤٦٠) : أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدى ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أنبأنا مرحوم بن عبد العزيز ، حدثنا أبو عمران الجونى ، حدثنا عبد الله بن الصامت عن أبى ذر قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حمارا أردفنى خلفه ، ثم قال : « يا أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد حتى لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « تعفف » . قال : « يا أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس موت شديد حتى يكون البيت بالعبد كيف تصنع » . قال : الله ورسوله أعلم . قال : « اصبر يا أبا ذر . أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضا حتى تغرق حجارة الزيت فى الدماء كيف تصنع » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « اقعد فى بيتك وأغلق عليك بابك » قال : أريت إن لم أترك . قال : « ائت من أنت منه فكن فيهم » قال : فآخذ سلاحى . قال : « إذا تشاركهم ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه » .

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله أنبأنا حماد ابن سلمة عن أبى عمران الجونى فذكر نحوه .

هذا حديث صحيح .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦١١) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا ابن عيينة ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن أسامة رضى الله عنه قال : أشرف النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أطم من الآطام فقال : « هل ترون ما أرى ؟ إنى أرى الفتن تقع خلال بيوتكم مواقع القطر » . أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٢١١) اهـ .

قد وقعت فتن بالمدينة منها قتل عمر رضى الله عنه ، ثم قتل عثمان رضى الله عنه ، ثم وقعة الحرة ، وفتنة بين العلويين والعباسيين بزعامة محمد بن

عبد الله ابن الحسن الملقب بالنفس الزكية رحمه الله ، ومنها فتنة سكنى النخاولة المدينة ، وهم من الإسماعيلية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ، وفى هذا الزمن فتنة التبرج ، والسفور ، وآلات اللهو والطرب ، والتصوير . ومنها فتنة التظاهر الإيرانى الجاهلى فى تلك البقاع الطاهرة فنعوذ بالله من الفتن .

ومنها : الإخبار عن القتال بين الحسن ومعاوية رضى الله عنهما ثم الصلح

قال البخارى رحمه الله (ج ٥ ص ٣٠٦) : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن موسى قال : سمعت الحسن يقول : استقبل الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص : إنى لأرى كتائب لاتولى حتى تقتل أقرانها ، فقال له معاوية ـ وكان والله خير الرجلين ـ أى عمرو ، إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لى بأمور الناس ، من لى بنسائهم من لى بضيعتهم ؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس ـ عبد الرحمن ابن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز ـ فقال : اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه . فأتياه ، فدخلا عليه ، فتكلما وقالا له وطلبا إليه ، فقال لهما الحسن بن على : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الأمة قد عاثت فى دمائها . قالا : فإنه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ويسألك . قال : فمن لى بهذا ؟ قال : نحن لك به فما سألهما شيئا إلا قالا : نحن لك به . فصالحه . فقال الحسن : ولقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على المنبر ـ والحسن بن على إلى جنبه ـ وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى . ويقول : إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين قال أبو عبد الله : قال لى على بن عبد الله : إنما ثبت لنا سماع الحسن من أبى بكرة بهذا الحديث . اهـ .

كان تسليم الحسن الأمر لمعاوية سنة إحدى وأربعين كما فى البداية والنهاية (ج ٨ ص ١٨) .

ومنها : الإخبار بأن الصحابة سيقاتلون الترك

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦٠٤) : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان . قال : قال إسماعيل ، أخبرنى قيس قال : أتينا أبا هريرة رضى الله عنه فقال : صحبت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سنين لم أكن فى سنى أحرص على أن أعى الحديث منى فيهن ، سمعته يقول وقال هكذا بيده بين يدى الساعة تقاتلون قوما ينتعلون الشعر ، وتقاتلون قوما كأن وجوههم المجان المطرقة[1] . أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٢٣٤) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ١٠٤) : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان قال الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما كأن وجوههم المجان المطرقة » .

قال سفيان : وزاد فيه أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة رواية : « صغار الأعين ، ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة » . أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٢٣٣) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ١٠٤) : حدثنى سعيد بن محمد ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن صالح ، عن الأعرج قال : قال أبو هريرة

---

(١) وكان أول غزو المسلمين الترك سنة ثنتين وعشرين كما فى البداية والنهاية (ج ٧ ص ١٢٦) .

رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك ، صغار الأعين ، حمر الوجوه ، ذلف الأنوف ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر » . أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٢٣٣) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ١٠٣) : حدثنا أبو النعمان ، حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت الحسن يقول : حدثنا عمرو بن تغلب قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما ينتعلون نعال الشعر ، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما عراض الوجوه ، كأن وجوههم المجان المطرقة » .

قال الإمام ابن ماجه رحمه الله (ج ٢ ص ١٣٧٢) : حدثنا الحسن بن عرفة ، ثنا عمار بن محمد ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الأعين ، عراض الوجه كأن أعينهم حدق الجراد ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، ينتعلون الشعر ، ويتخذون الدرق ، يربطون خيلهم بالنخل » . قال المعلق فى الزوائد : إسناده حسن وعمارة بن محمد مختلف فيه ، والحديث رواه ابن حبان فى صحيحه من طريق الأعمش . ا هـ

ومنها : الإخبار بأن الأمة المسلمة ستقاتل خوز أو كرمان

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦٠٤) : حدثنا يحيى ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر، عن همام ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم ، حمر الوجوه ، فطس الأنوف ، صغار الأعين ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، نعالهم الشعر » . تابعه غيره عن عبد الرزاق . ا هـ .

قال الإمام ابن كثير فى البداية والنهاية (ج ٦ ص ٢٢٩) : وقد ذكر عن الإمام أحمد أنه قال : أخطأ عبد الرزاق فى قوله : خوزا بالخاء وإنما هو بالجيم جوزا وكرمان ، هما بلدان معروفان بالشرق فالله أعلم . ا هـ . وذكر الحافظ فى الفتح (ج ٦ ص ٦٠٧) نحو ذلك .

قال الحافظ وتقدم فى الرواية التى قبلها تقاتلون الترك ، واستشكل لأن خوزا وكرمان ليسا من بلاد الترك ، فأما خوز فمن بلاد الأهواز ، وهى من عراق العجم ، وقيل الخوز صنف من الأعاجم ، وأما كرمان فبلدة مشهورة من بلاد العجم أيضا بين خراسان وبحر الهند ، إلى أن قال الحافظ : ويمكن أن يجاب بأن هذا الحديث غير حديث قتال الترك ، ويجتمع منهما الإنذار بخروج الطائفتين ا هـ المراد من الفتح .

إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن أمته سيضرب بعضها رقاب بعض

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ ص ٤٧٧) : ثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن كرز بن علقمة الخزاعى قال : قال رجل : يا رسول الله هل للإسلام من منتهى . قال : « أيما أهل بيت » وقال فى موضع آخر قال : « نعم أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرا أدخل عليهم الإسلام » قال ثم مه قال : « ثم تقع الفتن كأنها الظلل » . قال : كلا والله إن شاء الله قال : بلى والذى نفسى بيده ثم تعودون فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض . وقرأ على سفيان قال الزهرى أساود صباء . قال سفيان الحية السوداء تنصب أى ترتفع .

ثنا عبد الرزاق قال ، أنا معمر ، عن الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن كرز بن علقمة الخزاعى قال : قال أعرابى : يا رسول الله هل للإسلام من منتهى ؟ قال : قال نعم أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله عز وجل بهم خيرا

أدخل عليهم الإسلام قال : ثم ماذا يا رسول الله ؟ قال ثم تقع فتن كأنها الظلل . فقال الأعرابى كلا يا رسول الله قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : بلى والذى نفسى بيده لتعودن فيها أساود وصبا يضرب بعضكم رقاب بعض .

حديث صحيح وهو من الأحاديث التى ألزم الدارقطنى البخارى ومسلما أن يخرجاها .

قال الدارمى رحمه الله (ج ١ ص ٢٩) : حدثنا محمد بن المبارك ، ثنا معاوية بن يحيى ، ثنا أرطأة بن المنذر ، عن ضمرة بن حبيب قال : سمعت مسلمة السكونى وقال غير محمد سلمة السكونى[1] قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ قال قائل : يا رسول الله هل أتيت بطعام من السماء ؟ . قال : نعم أتيت بطعام . قال يا نبى الله هل كان فيه من فضل ؟ قال نعم أتيت بطعام . قال يا نبى الله هل كان فيه من فضل ؟ قال نعم . قال : فما فعل به ؟ قال رفع إلى السماء وقد أوحى إلى أنى غير لابث فيكم إلا قليلا ، ثم تلبثون حتى تقولوا متى متى ، ثم تأتونى أفنادا يفنى بعضكم بعضا بين يدى الساعة موتان شديد وبعده سنوات الزلازل .

حديث حسن .

ومنها : الإخبار عن فتن عامة

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦١٢) : حدثنا عبد العزيز الأويسى ، حدثنا إبراهيم ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن ابن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال

---

(١) هو سلمة بن نفيل السكونى كما فى الإصابة ومسند أحمد (ج ٤ ص ١٠٤) وتاريخ البخارى (ج ٤ ص ٧٠) .

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، ومن تشرف لها تستشرفه ، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به » .

وعن ابن شهاب ، حدثنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن مطيع بن الأسود ، عن نوفل بن معاوية مثل حديث أبى هريرة هذا ، إلا أن أبا بكر يزيد « من الصلاة صلاة من فاتته فكأنما وتر أهله وماله » . أخرجهما مسلم (ج ٤ ص ٢٢١٢) من حديث أبى هريرة .

قال مسلم رحمه الله (ج ٣ ص ١٤٧٢) : حدثنا زهير بن حرب وإسحاق ابن إبراهيم قال إسحاق : أخبرنا ، وقال زهير : حدثنا جرير عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس فى ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه ، فأتيتهم فجلست إليه فقال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى سفر فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خباءه ، ومنا من ينتضل ، ومنا من هو فى جشره إذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، الصلاة جامعة ، فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولها ، وسيصيب آخرها بلاء ، وأمور تنكرونها وتجىء فتنة ويرقق بعضها بعضا ، وتجىء الفتن فيقول المؤمن هذه مهلكتى ، ثم تنكشف وتجىء الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه . فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » فدنوت منه فقلت له : أنشدك الله آنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال : سمعته أذناى ووعاه قلبى . فقلت

له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل . ونقتل أنفسنا ، والله يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾ . قال فسكت ساعة ثم قال : أطعه فى طاعة الله واعصه فى معصية الله .

وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وابن نمير وأبو سعيد الأشج قالوا : حدثنا وكيع (ح) حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو معاوية كلاهما ، عن الأعمش بهذا الإسناد نحوه .

وحدثنى محمد بن رافع ، حدثنا أبو المنذر إسماعيل بن عمر ، حدثنا يونس ابن أبى إسحاق الهمدانى ، حدثنا عبد الله بن أبى إسحاق الهمدانى ، حدثنا عبد الله بن أبى السفر ، عن عامر ، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة الصائدى قال : رأيت جماعة عند الكعبة ، فذكر نحو حديث الأعمش .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ١٠٦) : ثنا أبو المغيرة قال : سمعت الأوزاعى قال : حدثنى ربيعة بن يزيد قال : سمعت واثلة بن الأسقع يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « أتزعمون أنى من آخركم وفاة ألا إنى من أولكم وفاة وتتبعونى أفنادا يهلك بعضكم بعضا » .

الحديث رجاله رجال الصحيح .

قال أبو داود رحمه الله (ج ١١ ص ٣٣٣) : حدثنا مسدد ، أخبرنا عبد الوارث بن سعيد ، عن محمد بن حجادة ، عن عبد الرحمن بن ثروان ، عن هزيل ، عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن بين يدى الساعة فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافرا ، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، القاعد فيها خير من القائم ، والماشى فيها خير من الساعى ، فكسروا قسيكم ، وقطعوا أوتاركم ، واضربوا سيوفكم بالحجارة ، فإن دخل يعنى على أحد منكم فليكن كخيرى بنى آدم » .

هذا حديث حسن .

قال أبو داود رحمه الله (ج ١١ ص ٣٣٣) : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، أخبرنا وكيع ، عن عثمان الشحام قال : حدثنى مسلم بن أبى بكرة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيرا من الجالس ، والجالس خيرا من القائم ، والقائم خيرا من الماشى ، والماشى خيرا من الساعى قال : يا رسول الله ما تأمرنى قال : « من كانت له إبل فليحلق بإبله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه . قال فمن لم يكن له شيء من ذلك . قال : « فليعمد إلى سيفه فليضرب بحده على حره ، ثم لينج ما استطاع النجاء » . مسلم بن أبى بكرة روى عنه جماعة ، ووثقه ابن حبان والعجلى وهما متساهلان فى التوثيق ، فهو مستور الحال يصلح حديثه فى الشواهد والمتابعات .

قال البخارى رحمه الله (ج ١ ص ٦٩) : حدثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن عبد الرحمٰن بن أبى صعصعة ، عن أبيه ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ٢٢٦) : ثنا عبد الصمد ، ثنا زياد ابن مسلم أبو عمر ، ثنا أبو الأشعث الصنعانى قال : بعثنا يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير فلما قدمت المدينة دخلت على فلان سمى زياد واسمه فقال : إن الناس قد صنعوا ما صنعوا فما ترى فقال : أوصانى خليلى أبو القاسم صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن أدركت شيئا من هذه الفتن فاعمد إلى أحد فاكسر به حد سيفك ثم اقعد فى بيتك » قال : فإن دخل عليك أحد إلى البيت فقم إلى المخدع فإن دخل عليك أحد المخدع فاجث على ركبتيك وقل : « بؤ بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين » . فقد كسرت حد سيفى وقعدت فى بيتى .

حديث حسن ، وأبو الأشعث الصنعانى هو شراحيل بن آدة .

ومنها : الإخبار بأنه سيكون بعده صلى الله عليه وعلى آله وسلم شرور وفساد

قال النسائى رحمه الله (ج ٧ ص ٨٤) : أخبرنى أحمد بن يحيى الصوفى قال : حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا يزيد بن مردانبة ، عن زياد بن علاقة ، عن عرفجة بن شريح الأشجعى قال : رأيت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطب الناس فقال : إنه سيكون بعدى هنات[1] وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد يفرق أمر أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم كائنا من كان فاقتلوه ، فإن يد الله على الجماعة ، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض » .

الحديث رجاله ثقات ، وقد رواه النسائى بسند رجاله رجال الشيخين فقال : أخبرنا عمرو بن على قال : حدثنا يحيى قال : حدثنا شعبة قال : حدثنا زياد بن علاقة ، عن عرفجة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « ستكون بعدى هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهم جميع فاضربوه بالسيف » .

وقد أخرجه مسلم (ج ٣ ص ١٤٧٩) من حديث شعبة عن زياد به ومن حديث أبى عوانة وشيبان بن عبد الرحمن وإسرائيل وعبد الله بن المختار كلهم ، عن زياد بن علاقة به .

ومنها : إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن سيكون بعده اثنا عشر خليفة

قال البخارى رحمه الله (ج ١٢ ص ٢١١) : حدثنا محمد بن المثنى ،

---

(١) أى شرور وفساد .

حدثنا غندر ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك سمعت جابر بن سمرة قال : سمعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « يكون اثنا عشر أميرا » . فقال كلمة لم أسمعها فقال أبى : إنه قال : « كلهم من قريش »[1] . أخرجه مسلم (ج ٣ ص ١٤٥٢) .

ومنها : الإخبار بانتهاء خلافة النبوة

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص ٣٩٧) : حدثنا سوار بن عبد الله قال : أخبرنا عبد الوارث بن سعد ، عن سعيد بن جهمان ، عن سفينة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتى الله الملك أو ملكه من يشاء » .

قال سعيد قال لى سفينة : أمسك عليك أبا بكر سنتين وعمر عشرا وعثمان اثنتى عشرة وعلى كذا . قال سعيد : قلت لسفينة إن هؤلاء يزعمون أن عليا لم يكن بخليفة ، قال : كذبت أستاه بنى الزرقاء يعنى بنى مروان . (ح) وأخبرنا عمرو بن عون ، أخبرنا هشيم عن العوام بن حوشب المعنى جميعا عن سعيد بن جهمان ، عن سفينة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتى الملك من يشاء أو ملكه من يشاء » .

هذا حديث حسن ، وسعيد بن جهمان فيه كلام لا ينزل حديثه عن الحسن .

ومنها : الإخبار عن ظلم قريش لأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٢٣٦) : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا شعبة عن أبى التياح قال : سمعت أبا زرعة عن

---

(١) وقد تعسفت الرافضة فى التحجر على هؤلاء الأئمة ، وجعلوا آخرهم خرافتهم صاحب السرداب الذى لا وجود له ولقد أحسن بعض أهل السنة إذ يقول ساخرا منهم ومن خرافتهم :

ما آن للسرداب أن يلد الذى ... كلفتموه بجهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا

نؤمن بأن الله سيخرج المهدى يملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا كما جاء فى كتب السنة ولكن ليس هو خرافة الرافضة .

أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « يهلك أمتى هذا الحى[1] من قريش » . قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : « لو أن الناس اعتزلوهم » ، وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى ، وأحمد بن عثمان النوفلى قالا : حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة بهذا الإسناد فى معناه .

وقال الإمام البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦١٢) : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا شعبة عن أبى التياح ، عن أبى زرعة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يهلك الناس هذا الحى من قريش » قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : « لو أن الناس اعتزلوهم » . قال محمود : حدثنا أبو داود أخبرنا شعبة عن أبى التياح سمعت أبا زرعة .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٩) : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد قال : أخبرنى جدى قال : كنت جالسا مع أبى هريرة فى مسجد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالمدينة معنا مروان قال أبو هريرة : سمعت الصادق المصدوق يقول : « هلكة أمتى على يدى غلمة من قريش » . فقال مروان لعنة الله عليهم غلمة . فقال أبو هريرة لو شئت أن أقول بنى فلان بنى فلان لفعلت فكنت أخرج مع جدى إلى بنى مروان حين ملكوا بالشام فإذا رآهم غلمانا أحداثا قال لنا عسى هؤلاء أن يكونوا منهم . قلنا : أنت أعلم .

---

(١) إذا قرأت فى تاريخ المسلمين وجدت أكثر الفتن صارت عن الخلفاء القرشيين من عهد بنى أمية ، ثم عهد بنى العباس . وفى عصرنا هذا قام إمام الضلالة الخمينى أراح الله المسلمين من شره ، ولست أعنى أن الخلفاء القرشيين كلهم الذين يثيرون الفتن بين المسلمين .

ومنها : الإخبار بالردة

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٤٧٨) : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « تحشرون حفاة عراة غرلا » . ثم قرأ : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ فأول من يكسى إبراهيم . ثم يؤخذ برجال من أصحابى ذات اليمين وذات الشمال . فأقول أصحابى فيقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم : ﴿ وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد * إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ قال محمد بن يوسف الفربرى : ذكر عند أبى عبد الله عن قبيصة قال : هم المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبى بكر ، فقاتلهم أبو بكر رضى الله عنه .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٣) : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا بشر بن السرى ، حدثنا نافع بن عمر ، عن ابن أبى مليكة قال : قالت أسماء عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « أنا على حوضى أنتظر من يرد على فيؤخذ بناس من دونى ، فأقول أمتى فيقال : لا تدرى مشوا على القهقرى » . قال ابن أبى مليكة : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن مغيرة ، عن أبى وائل قال : قال عبد الله : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دونى فأقول : أى رب أصحابى فيقول : لا تدرى ما أحدثوا بعدك » .

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبى حازم قال : سمعت سهل بن سعد يقول : سمعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا ، ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم » . قال أبو حازم فسمعنى النعمان بن أبى عياش ، وأنا أحدثهم هذا فقال : هكذا سمعت سهلا ؟ قلت : نعم . قال وأنا أشهد على أبى سعيد الخدرى لسمعته يزيد فيه قال « إنهم منى » فيقال : إنك لا تدرى ما بدلوا بعدك فأقول : « سحقا سحقا لمن بدل بعدى » .

قال مسلم رحمه الله (ج ١ ص ٢١٨) : حدثنا يحيى بن أيوب ، وسريج ابن يونس ، وقتيبة بن سعيد ، وعلى بن حجر جميعا عن إسماعيل بن جعفر ، قال ابن أيوب : حدثنا إسماعيل ، أخبرنى العلاء ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أتى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لا حقون ، وددت أنا قد رأينا إخواننا » ، قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله قال : « أنتم أصحابى وإخواننا الذين لم يأتوا بعد » فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله فقال : « أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ألا تعرف خيله » ، قالوا بلى يا رسول الله قال : « فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقا سحقا » .

وقد وقعت الردة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ارتد أهل اليمامة وكثير من اليمنيين وكثير من بقية قبائل العرب فتصدى لقتالهم أبو بكر ونصره الله عليهم ورجعوا إلى الإسلام .

قال الإمام أحمد بن عمرو بن أبى عاصم النبيل فى كتابه السنة (ج ١ ص ٩٣) : ثنا محمد بن عوف ، جدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان بن عمر

(وعن راشد بن سعد ، عن عاصم بن حميد السكونى[1] ، عن معاذ بن جبل ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما بعثه إلى اليمن خرج معه يوصيه ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى المدينة فقال : « إن أهل بيتى هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بى وليس كذلك إن أوليائى منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا اللهم إنى لا أحل لهم فساد ما أصلحت وأيم الله لتكفأن أمتى عن دينها كما تكفأن[2] الإناء فى البطحاء » .

هذا حديث صحيح ، وفيه ثلاثة من التابعين صفوان بن عمر ، وراشد ابن سعد ، وعاصم بن حميد وكلهم حمصيون .

ومنها : الإخبار بسوء عاقبة الأسود العنسى ومسيلمة

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١٢ ص ٤٢٣) : حدثنى إسحاق بن إبراهيم الحنظلى ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن همام بن منبه ، قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « نحن الآخرون السابقون » ، وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « بينا أنا نائم إذ اتيت خزائن الأرض فوضع فى يدى سواران من ذهب فكبرا علىّ، وأهمانى فأوحى إلىّ أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة . اهـ .

وقد وقع ما أخبر به النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فخرجا فى آخر حياته مدعين النبوة وقتل الأسود العنسى ، وقتل الأسود فى آخر حياة النبى

---

(١) فى الأصل الكوفى والصواب ما أثبتناه كما فى تهذيب التهذيب والتقريب وهو حمصى .
(٢) كفأت الإناء قلبته كما فى الصحاح والمعنى أن الأمة ستنصرف عن دينها وترجع عنه .

صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما فى الفتح (ج ١٢ ص ٤٢٤) . وأما مسيلمة فقتل فى حروب الردة فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه والحمد لله .

ومن عجب أن يأتى بعض من جمع بين الجهل والإلحاد من اليمنيين فينكر ردة الأسود العنسى فخالف الحديث الصحيح وكتب السير وكتب التواريخ وإجماع المسلمين وصدق الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ يقول : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

ونحن نتوقع من الملاحدة ما هو أعظم من هذا فليس بعد الكفر ذنب والله المستعان .

ومنها : الإخبار بالخصومة بين الصحابة والإخبار بالنعيم

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص ١٦٤) : ثنا سفيان ، عن محمد ابن عمرو ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أبى الزبير ، عن الزبير رضى الله عنه ، قال : لما نزلت ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ قال الزبير : أى رسول الله مع خصومتنا فى الدنيا ، قال : « نعم » ، ولما نزلت ثم ﴿ لتسئلن يومئذ عن النعيم ﴾ . قال الزبير : أى رسول الله أى نعيم نسأل عنه وإنما يعنى هما الأسودان التمر والماء . « أما إن ذلك سيكون » .

هذا حديث حسن ومحمد بن عمرو وهو ابن علقمة .

ومنها : الإخبار بقتل عمار

- رضى الله عنه -

قال البخارى رحمه الله (ج ١ ص ٥٤١) : حدثنا مسدد ، قال : حدثنا عبد العزيز بن مختار ، قال : حدثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة قال لى ابن عباس ولابنه على : انطلقا إلى أبى سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا ، فإذا هو فى حائط

يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى ، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال : كنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار لبنتين لبنتين ، فرآه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فينفض التراب عنه ويقول : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » . قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٢٣٥) ، وبين فيه أن أبا سعيد لم يسمع من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تقتل عمارا إلخ ، وإنما سمعه من أبى قتادة . وليس عند مسلم يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار .

قال الحافظ فى الفتح : (فائدة) روى حديث تقتل عمارا الفئة الباغية جماعة من الصحابة منهم قتادة بن النعمان كما تقدم وأم سلمة عند مسلم ، وأبو هريرة عند الترمذى ، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائى ، وعثمان ابن عفان وحذيفة وأبو أيوب وأبو رافع ، وخزيمة بن ثابت ومعاوية وعمرو ابن العاص وأبو اليسر وعمار نفسه وكلها عند الطبرانى وغيره وغالب طرقها صحيحة أو حسنة ، وفيه عن جماعة آخرين يطول عددهم وفى هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعلى وعمار ورد على النواصب الزاعمين أن عليا لم يكن مصيبا فى حروبه .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٢٣٦) : وحدثنى محمد بن عمرو بن جبلة ، حدثنا محمد بن جعفر .

(ح) وحدثنا عقبة بن مكرم العمى ، وأبو بكر بن نافع ، قال : عقبة حدثنا ، وقال : أبو بكر أخبرنا غندر ، حدثنا شعبة ، قال : سمعت خالدا يحدث عن سعيد بن أبى الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » .

وحدثنى إسحاق بن منصور ، أخبرنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا شعبة ، حدثنا خالد الحذاء ، عن سعيد بن أبى الحسن والحسن ، عن أمهما ، عن أم سلمة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمثله .

وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن ابن عون ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « تقتل عمارا الفئة الباغية » .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ١٩٩) : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا معمر ، عن طاوس ، عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، قال : لما قتل عمار بن ياسر ، دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص ، فقال : قتل عمار ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « تقتله الفئة الباغية » . فقام عمرو بن العاص فزعا يرجع[1] حتى دخل على معاوية فقال له معاوية : ما شأنك قال : قتل عمار ، قال معاوية : قد قتل عمار فماذا ، قال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « تقتله الفئة الباغية » . فقال له معاوية دحضت فى بولك أو نحن قتلناه إنما قتله على[2] وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا أو قال بين سيوفنا .

حديث صحيح رجاله ثقات .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٢ ص ٢٠٦) : ثنا أسود بن عامر ، ثنا يزيد بن هارون ، أنا العوام ، حدثنى أسود بن مسعود ، عن حنظلة بن خويلد العنبرى ، قال : بينما أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان فى رأس عمار يقول كل واحد منهما : أنا قتلته فقال عبد الله ليطب به أحدكم نفسا لصاحبه فإنى سمعت – يعنى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم – كذا قال أبى :

---

(١) أى يقول إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٢) هذا غير مقبول من معاوية رضى الله عنه ، ولكن ليس معناه أن معاوية رضى الله عنه قد كفر كما تدعى الرافضة ، ولكنه رضى الله عنه كان مجتهدا فأخطأ ، وبغيه لا يخرجه عن الإيمان . قال سبحانه وتعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ . فسماهم الله مؤمنين .

يعنى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « تقتله الفئة الباغية » . فقال معاوية ألا تفنى عنا بجنونك يا عمرو فما بالك معنا قال : إن أبى شكانى إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال لى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أطع أباك ما دام حيا ولا تعصه » فأنا معكم ولست أقاتل .

أسود بن مسعود ، وحنظلة بن خويلد وثقهما ابن معين كما فى التاريخ من رواية عثمان بن سعيد الدارمى .

قال الحاكم رحمه الله (ج ٣ ص ٣٨٩) أخبرنا أبو الوليد الفقيه ، وأبو بكر ابن قريش قالا : ثنا الحسن بن سفيان ، ثنا حرملة بن يحيى ، ثنا عبد الله بن وهب ، أخبرنى إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جده سمعت عمار ابن ياسر بصفين فى اليوم الذى قتل فيه وهو ينادى : أزلفت الجنة وزوجت الحور العين اليوم نلقى حبيبنا محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم عهد إلى أن آخر زادك من الدنيا ضيح من لبن[1] .

صحيح على شرطهما ولم يخرجاه . كذا قال الحاكم رحمه الله .

وحرملة بن يحيى من رجال مسلم ولم يخرج له البخارى فهو على شرط مسلم .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ١٩٨) : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد بن سلمة قال : أنا أبو حفص وكلثوم بن جبر ، عن أبى غادية قال : قتل عمار بن ياسر فأخبر عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن قاتله وسالبه فى النار » ، فقيل لعمرو فإنك هوذا تقاتله قال : إنما قال قاتله وسالبه .

---

(١) الضياح والضيح بالفتح : اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخلط . اهـ من النهاية .

حديث حسن .

وأبو حفص الظاهر : إنه عبد الله بن حفص والله أعلم .

فائـــدة :

غادية صحابى ، وهو قاتل عمار بن ياسر ، وقد روى الحديث هذا ثم صار بعد يستأذن على معاوية ويقول : « قاتل عمار » ، والرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « قاتل عمار فى النار » . نسأل الله السلامة .

ومنها : الإخبار بأن عبد الله بن بسر سيعيش قرنا

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ١٨٩) : ثنا عصام بن خالد ، قال : ثنا أبو عبد الله الحسن بن أيوب الحضرمى ، قال : أرانى عبد الله بن بسر شامة فى قرنه فوضعت أصبعى عليها فقال وضع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أصبعه عليها ثم قال لتبلغن قرنا .

قال أبو عبد الله : وكان ذا جمة .

حديث حسن . وقد تابع عصام بن خالد يحيى بن صالح الوحاظى كما فى تاريخ ابن جرير (ج ٢ ص ١٧١) .

وقد عاش عبد الله مائة سنة فاستفيد منه أن القرن مائة سنة .

ومنها : الإخبار أنه لا يبقى أحد ممن هو على ظهر الأرض وقت كلام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قال البخارى رحمه الله (ج ١ ص ٢١١) : حدثنا سعيد بن عفير قال : حدثنى الليث ، قال : حدثنى عبد الرحمن بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سالم وأبى بكر بن سليمان بن أبى حثمة أن عبد الله بن عمر ، قال : صلى

بنا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم العشاء فى آخر حياته فلما سلم قام فقال : « أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد » .

وأخرجه البخارى (ج ٢ ص ٧٤) : ولفظه « أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » .

وقد أخذ العلماء من هذا الحديث أن من ادعى الصحبة بعد مائة سنة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإن دعواه لا تقبل .

والحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٩٦٥) .

ومنها : الإخبار بالمختار ابن[1] أبى عبيد الثقفى والحجاج بن يوسف

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٩٧١) : حدثنا عقبة بن مكرم العامى ، قال : حدثنا يعقوب يعنى : ابن إسحاق الحضرمى ، أخبرنا الأسود بن شيبان ، عن أبى نوفل ، رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة قال : فجعلت قريش تمر عليه ، والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر ، فوقف عليه فقال السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله إن كنت ما علمت صواما قواما وصولا للرحم .

أما والله لأمة أنت شرها لأمة خير ، ثم نفذ عبد الله بن عمر فبلغ الحجاج

---

(١) أما المختار بن أبى عبيد الثقفى فتظاهر بالتشيع لأهل البيت وفى آخر أمره ادعى النبوة فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

وأما الحجاج بن يوسف فظالم قتل من خيار أمة محمد نحو مائة ألف نفس . راجع تهذيب التهذيب .

موقف عبد الله وقوله ، فأرسل إليه فأنزل عن جذعه ، فألقى فى قبور اليهود ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبى بكر فأبت أن تأتيه ، فأعاد عليها الرسول لتأتين أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك قال : فأبت وقالت والله لاآتيك حتى تبعث إل من يسحبنى بقرونى ، قال : فقال : أرونى سبتى فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف حتى دخل عليها فقال : كيف رأيتنى صنعت بعدو الله ، قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ، بلغنى أنك تقول له يا ابن ذات النطاقين ، أنا والله ذات النطاقين ؛

أما أحدهما: فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وطعام أبى بكر من الدواب .

وأما الآخر فنطاق المرأة التى لا تستغنى عنه ، أما إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حدثنا أن فى ثقيف كذابا ومبيرا فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه قال فقام عنها و لم يراجعها .

ومنها : الإخبار بفتح بيت المقدس

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٢٧٧) : حدثنا الحميدى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الله بن العلاء بن زبر ، قال : سمعت بسر بن عبيد الله ، أنه سمع أبا إدريس ، قال : سمعت عوف بن مالك ، قال : أتيت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم ، فقال اعدد ستا بين يدى الساعة : موتى ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا » .

ومنها : الإخبار بفتح فارس

قال البخارى رحمه الله (ج ٨ ص ٦٤١) : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، قال : حدثنى سليمان بن بلال ، عن ثور ، عن أبى الغيث ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ قال : قلت من هم يا رسول الله ، فلم يراجعه حتى سأل ثلاثا وفينا سلمان ، وضع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يده على سلمان ثم قال : « لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء » .

حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، حدثنا عبد العزيز ، أخبرنى ثور ، عن أبى الغيث ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لناله رجال من هؤلاء »[1] .

الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٩٧٢) .

قال الحاكم رحمه الله (ج ٤ ص ٣٩٥) : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عثمان ابن يحيى البزار ببغداد[2] ، ثنا العباس بن محمد الدورى ، ثنا هاشم بن القاسم ، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار[3] ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « رأيت غنما كثيرة سوداء دخلت فيها غنم كثيرة بيض » ، قالوا فما أولته

---

(١) فارس خرج منهم العلماء الأفاضل الحفاظ ، ولا يزال فيهم إلى الآن من حملة الشريعة أما الرافضة فإنهم وإن انتسبوا إلى فارس فهم أعداء السنة وأعداء المسلمين .
راجع (وجاء دور المجوس) .

(٢) ترجمته فى تاريخ بغداد ، وفيه البزار ونقل الخطيب عن البرقانى أنه قال ثقة .

(٣) فى الأصل عبد الرحمن بن عبد الله والصواب ما أثبتناه .

يا رسول الله ؟ ، قال : « العجم يشركونكم فى دينكم وأنسابكم » ، قالوا : العجم يا رسول الله ؟! ، قال : « لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من العجم وأسعدهم به الناس » .

هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه .

قال الحاكم رحمه الله (ج ٢ ص ٤٥٨) : أخبرنا جعفر بن محمد الخلدى ، حدثنا محمد بن على بن زيد الصائغ ، ثنا سعيد بن منصور ، ثنا عبد العزيز ابن محمد ، ثنا العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة رضى الله الله ، قال : لما نزلت ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ﴾ قالوا يارسول الله : من هؤلاء الذين إذا تولينا استبدلوا بنا ؟ وسليمان إلى جنبه فقال : « هم الفرس هم هذا وقومه » .

هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

قال أبو عبد الرحمن : هو كما قال وشيخ الحاكم قال الخطيب : كان ثقة صادقا دينا فاضلا وشيخ شيخه ، وهو محمد بن على الصائغ ، وصفه الحافظ الذهبى فى العبر وفى تذكرة الحفاظ بأنه محدث مكة ، وقد جاء الحديث من طريق أخرى كما فى تفسير الحافظ ابن كثير (ج ٤ ص ١٨٢) رواه ابن أبى حاتم وابن جرير فقالا : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنى مسلم بن خالد ، عن العلاء به ثم قال : تفرد به مسلم بن خالد الزنجى ، ورواه عنه غير واحد ، وقد تكلم فيه بعض الأئمة رحمة الله عليهم والله أعلم . ا هـ .

قال أبو عبد الرحمن : قوله تفرد به مسلم بن خالد متعقب فقد تابعه عبد العزيز بن محمد وهو الدراوردى كما ترى .

ومسلم بن خالد تكلموا فيه من قبل حفظه وهو صالح فى الشواهد والمتابعات فصح الحديث والحمد لله :

ومنها : الإخبار بفتح فارس والروم

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٢٢٥) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جرير ، عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر بن سمرة ، عن نافع بن عتبة ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى غزوة . قال : فأتى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قوم من قبل المغرب ، عليهم ثياب الصوف ، فوافقوه عند أكمةٍ فإنهم لَقِيامٌ ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قاعد . قال فقالت لى نفسى : ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه . قال : ثم قلت : لعله نجى معهم . فأتيتهم فقمت بينهم وبينه قال : فحفظت منه أربع كلمات أعدهن فى يدى . قال : « تغزون جزيرة العرب ، فيفتحها الله . ثم فارس ، فيفتحها الله . ثم تغزون الروم ، فيفتحها الله . ثم تغزون الدجال فيفتحه الله » .

قال : فقال نافع : يا جابر لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم .

فائـــدة :

هذا الحديث معروف لدى المحدثين من حديث نافع بن عتبة ، وقد وهم بعضهم فرواه عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر ، عن هاشم بن عتبة ، وقد عد ابن عساكر من رواه عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر ، عن نافع ابن عتبة سبعة أنفس كما فى الإصابة .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٢٧٤) : حدثنا عمرو بن سواد العامرى ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرنى عمرو بن الحارث أن بكر بن سودة حدثه ، أن يزيد بن رباح هو : أبو فراس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص ، حدثه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « إذا فتحت عليكم فارس ، والروم أى قوم أنتم ؟ » قال عبد الرحمن بن عوف نقول كما أمرنا الله ، قال رسول الله صلى

الله عليه وعلى آله وسلم : « أو غير ذلك تتنافسون ، ثم تتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون ـ أو نحو ذلك ـ ، ثم تنطلقون فى مساكين المهاجرين ، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض » .

قال الإمام أبو نعيم فى دلائل النبوة (ج ٢ ص ١٩٦) : حدثنا عبد الله ابن محمد بن جعفر ، قال : ثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا كثير بن عبيد الحذاء[1] قال : ثنا بقية ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن عوف بن مالك ، قال : قام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « الفقر تخافون ، أو تهمكم الدنيا فإن الله فاتح لكم أرض فارس والروم وتصب عليكم الدنيا صبا حتى لا يزيغكم بعدى إن زغتم إلا هى » .

هذا حديث حسن ، وبقية قد صرح بالتحديث .

ومنها : الإخبار بفتح مصر

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٩٧٠) : حدثنى أبو الطاهر ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى حرملة .

(ح) وحدثنى هارون بن سعيد الأيلى ، حدثنا ابن وهب ، حدثنى حرملة ، وهو ابن عمران التجيبى ، عن عبد الرحمن بن شماسة المهرى ، قال : سمعت أبا ذر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحما ، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان فى موضع لبنة فاخرج منها » . قال فمر بربيعة ، وعبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة يتنازعان فى موضع لبنة فخرج منها .

---

(١) قال أبو حاتم ثقة كما فى تهذيب التهذيب .

حدثنى زهير بن حرب ، وعبيد الله بن سعيد ، قالا : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى سمعت حرملة المصرى ، يحدث عن عبد الرحمن بن شماسة ، عن أبى بصرة ، عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحما ، ـ أو قال ذمة وصهرا ـ فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها فى موضع لبنة فاخرج منها » . قال فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان فى موضع لبنة فخرجت منها .

قال الإمام الطحاوى رحمه الله فى مشكل الآثار (ج ٣ ص ١٢٤) إسحاق ابن إبراهيم بن يونس البغدادى ، قد حدثنا قال : حدثنا محمد بن الصباح ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى ، عن أبى هريرة ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إن فتحتم مصرا فاستوصوا بالقبط فإن لهم ذمة ورحما » .

ثم قال الطحاوى رحمه الله ، ووجدنا إسحاق أيضا قد حدثنا قال حدثنا الوليد بن شجاع بن الوليد ، قال : حدثنى الوليد بن مسلم ثم ذكر بإسناده مثله . ووجدنا إسحاق قد أخبرنا ، قال : حدثنا محمد بن مسلم بن وارة ، قال : حدثنى محمد بن موسى بن أعين ، قال : ثنا أبى ، عن إسحاق بن راشد ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم نحوه وزاد فيه أن أم إسماعيل منهم .

الحديث أخرجه الحاكم (ج ٢ ص ٥٥٣) : فقال أخبرنا أبو بكر بن إسحاق ، أنبأ الحسن بن على بن زياد ، ثنا إبراهيم بن موسى ، ثنا هشام بن يوسف ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن ابن كعب بن مالك ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما » .

قال الزهرى : فالرحم أن أم إسماعيل منهم .

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ومنها : الإخبار بفتح الحيرة

قال الإمام ابن حبان رحمه الله كما فى الموارد (ص ٤١٩) حدثنا ابن أسلم ، حدثنا محمد بن يحيى بن أبى عمر العدنى ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن عدى بن حاتم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « مثلت لى الحيرة كأنياب الكلاب ، وإنكم ستفتحونها » ، فقام رجل فقال هب لى يا رسول الله ابنة بقيلة . فقال : « هى لك فأعطوها إياه » ، فجاء أبوها فقال أتبيعنيها ؟ . فقال : نعم . قال : بكم. قال : احتكم ما شئت . قال : بألف درهم . قال : قد أخذتها فقيل : لو قلت ثلاثين ألفا . قال : وهل عدد أكثر من ألف .

قال الحافظ الهيثمى : قلت هكذا وقع فى هذه الرواية أن الذى اشتراها أبوها وأن المشهور أن الذى اشتراها عبد المسيح أخوها والله أعلم .

هذا حديث صحيح .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦١٠) : حدثنا محمد بن الحكم ، أخبرنا النضر ، أخبرنا إسرائيل ، أخبرنا سعد الطائى ، أخبرنا مُحل بن خليفة ، عن عدى بن حاتم قال : بينا أنا عند النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر ، فشكا إليه قطع السبيل ، فقال : « يا عدى هل رأيت الحيرة ؟ » قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها . قال : « فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة ، حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف أحدا إلا الله » قلت . فيما بينى وبين نفسى : فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد ؟ ـ « ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز

كسرى » . قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال :« كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة ، يطلب من يقبله منه ، فلا يجد أحدا يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ، وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقولن : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أعطك مالا ، وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى ، فينظر عن يمينه ، فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم » قال عدى : سمعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة ، قال عدى : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى ابن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبى أبو القاسم صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يخرج ملء كفه » .

حدثنى عبد الله ، حدثنا أبو عاصم ، أخبرنا سعدان بن بشر ، حدثنا أبو مجاهد ، حدثنا محل بن خليفة سمعت عديا : كنت عند النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ومنها : الإخبار عن إسلام أهل الشام

قال البخارى رحمه الله (ج ٣ ص ٣٨٤) : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : إن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقت لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن المنازل ، ولأهل اليمن يلملم ، هن لهن ، ولمن أتى عليهن من غيرهن ممن أراد الحج والعمرة ، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ ، حتى أهل مكة من مكة[1] . أخرجه مسلم (ج ٢ ص ٨٣٩) .

---

(١) وجه الدلالة من هذا الحديث ، وما بعده ، أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخبر أن أهل هذه البلاد سيسلمون ، ويحجون ، وبعض تلك البلاد لم يكن فتح بعد .

قال البخارى رحمه الله (ج ٣ ص ٣٨٧) : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « يهل أهل المدينة من ذى الحليفة ، وأهل الشام من الجحفة ، وأهل نجد من قرن » . قال عبد الله : وبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « ويهل أهل اليمن من يلملم » . أخرجه مسلم ج ٢ ص ٨٣٩ .

قال الإمام أبو داود (ج ٧ ص ٢٦٠) : حدثنا حيوة بن شريح الحضرمى ، أخبرنا بقية ، حدثنى بحير ، عن خالد ، يعنى ابن معدان ، عن أبى قتيلة ، عن ابن حوالة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودا مجندة : جند بالشام ، وجند باليمن ، وجند بالعراق » قال ابن حوالة خر لى يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ فقال : « عليك بالشام ، فإنها خيرة الله من أرضه ، يجتبى إليها خيرته من عباده . فأما إن أبيتم ، فعليكم بيمنكم ، واسقوا من عندكم ؛ فإن الله توكل لى بالشام وأهله .

حديث حسن ، وأبو قتيلة هو : مرثد بن وداعة ، مختلف فى صحبته ، فإن ثبتت صحبته ، وإلا فهو تابعى مستور الحال ، على أنه قد توبع كما ذكره الحافظ فى الإصابة فى ترجمته عبد الله بن حواله .

ومنها : الإخبار بأناس يقولون من خلق الله ؟!!

وقال مسلم رحمه الله (ج ١ ص ١٢١) : وحدثنى عبد الله بن الرومى ، حدثنا النضر بن محمد ، حدثنا عكرمة ، وهو ابن عمار ، حدثنا يحيى ، حدثنا أبو سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا : هذا الله فمن خلق الله ؟ » قال فبينا أنا فى المسجد إذ جاءنى ناس من الأعراب ، فقالوا : يا أبا هريرة

هذا الله فمن خلق ـ الله ـ ؟ قال : فأخذ حصى بكفه فرماهم ثم قال : قوموا ، قوموا ، صدق خليلي .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٣٣٦) : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث قال : حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرنى عروة بن الزبير ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا[1] ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » . أخرجه مسلم (ج ١ ص ١١٩) وفيه من حديث هشام ، عن أبيه : « فمن وجد من ذلك شيئا فليقل : آمنت بالله » .

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ٣ ص ٢٦٥) : حدثنا الحسن بن صياح ، حدثنا شبابة ، حدثنا ورقاء عن عبد الله بن عبد الرحمن ، سمعت أنس بن مالك ، يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله » .

أخرجه مسلم (ج ١ ص ١٢١) .

وقد وقعت ، فالشيوعيين عليهم لعائن الله يشككون العامة وقد تقدم العلاج النبوى أنه يقول آمنت بالله ثم لينته . والحمد لله .

ومنها : الإخبار عن الأمراء المنحرفين

قال مسلم (ج ٣ ص ١٤٨٠) : حدثنا هداب بن خالد الأزدى ، حدثنا همام بن يحيى ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن ضبة بن حصن ، عن

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (ج ٦ ص ٣٤١) : وفيه علم من أعلام النبوة ؛ لإخباره بوقوع ما سيقع فوقع ا هـ . قال أبو عبد الرحمن : وفيه رد على أهل علم الكلام حيث قال : فليستعذ بالله ولينته وهم يقولون : إنه يلزم التسلسل (فالجواب) النبوى أسلم .

أم سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « ستكون أمراء تعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن أنكر سلم ، ولكن من رضى وتابع قالوا : يا رسول الله أفلا نقاتلهم قال : « لا ، ما صلوا » .

وحدثنى أبو غسان المسمعى ، ومحمد بن بشار جميعا ، عن معاذ واللفظ لأبى غسان ، حدثنا معاذ وهو ابن هشام الدستوائى ، حدثنى أبى عن قتادة ، حدثنا الحسن ، عن ضبة بن محصن العنزى ، عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أنه قال : « يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برئ ، ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضى وتابع » . قالوا : يا رسول الله ألا نقاتلهم . قال : « لا . ما صلوا » (أى من كره بقلبه وأنكر بقلبه)[1] .

وحدثنى أبو الربيع العتكى ، حدثنا حماد يعنى ابن زيد ، حدثنا المعلى بن زياد ، وهشام ، عن الحسن ، عن ضبة بن محصن ، عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بنحو ذلك غير أنه قال : « فمن أنكر فقد برئ ، ومن كره فقد سلم » ، وحدثنا حسن بن الربيع البجلى ، حدثنا ابن المبارك ، عن هشام[2] ، عن الحسن ، عن ضبة بن محصن ، عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذكر مثله إلا قوله : « ولكن من رضى وتابع » ، لم يذكره .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص ١١١) : ثنا روح[3] ثنا أبو يونس[4] القشيرى عن سماك بن حرب ، عن عبد الله ابن خباب بن

---

(١) هذا إذا لم يستطع باليد واللسان ، وأما الخروج فلا ، إلا أن ترى كفرا بواحا عندك فيه من الله برهان .

(٢) هشام هو : ابن حسان ، وفى روايته عن الحسن ضعف ، ولا يضر هنا لأنه فى المتابعات .

(٣) هو ابن عبادة .

(٤) هو حاتم بن أبى صغيرة .

الأرت ، حدثنى أبى خباب بن الأرت . قال : إنا لقعود على باب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ننتظر أن يخرج لصلاة الظهر إذ خرج علينا فقال : « اسمعوا » . فقلنا : سمعنا . ثم قال : « اسمعوا » ، فقلنا : سمعنا . فقال : « إنه سيكون عليكم أمراء فلا تعينوهم على ظلمهم فمن صدقهم بكذبهم فلن يرد على الحوض » .

وأخرجه الإمام أحمد بهذا السند (ج ٦ ص ٣٩٥) بهذا السند .

وهو حديث حسن .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ٢٤٣) : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، حدثنى أبو حصين ، عن الشعبى ، عن عاصم العدوى ، عن كعب ابن عجرة . قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو دخل ، ونحن تسعة وبيننا وسادة من أدم . فقال : « إنها ستكون بعدى أمراء يكذبون ويظلمون ، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم ، فليس منى ولست منه وليس بوارد على الحوض ، ومن لم يصدقهم بكذبهم ويعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه وهو وارد على الحوض » .

حديث حسن .

وأبو حصين هو عثمان بن عاصم .

قال النسائى رحمه الله (ج ٧ ص ١٤٣) : أخبرنا عمرو بن على . قال : حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبى حصين ، عن الشعبى ، عن عاصم العدوى ، عن كعب بن عجرة . قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونحن تسعة فقال : « إنه ستكون بعدى أمراء من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ، وليس بوارد على الحوض ، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه ، وهو وارد على الحوض » .

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا عاصما العدوى ، وقد وثقه النسائى كما فى الخلاصة .

ثم قال النسائى رحمه الله : أخبرنا هارون بن إسحاق . قال : حدثنا محمد يعنى ابن عبد الوهاب. قال : حدثنا مسعر ، عن أبى حصين ، عن الشعبى ، عن عاصم العدوى ، عن كعب بن عجرة قال : خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونحن تسعة خمسة وأربعة أحد العددين من العرب ، والآخر من العجم . فقال : « اسمعوا هل سمعتم أن ستكون بعدى أمراء من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه وليس يرد على الحوض ، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه وسيرد على الحوض » .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ ص ٣٢١) : ثنا عبد الرزاق ، أنا معمر ، عن ابن خثيم ، عن عبد الرحمن بن سابط[1] ، عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لكعب بن عجرة : « أعاذك الله من إمارة السفهاء » قال وما إمارة السفهاء ؟ قال : « أمراء يكونون بعدى لا يقتدون بهدىى ، ولا يستنون بسنتى ، فمن صدقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا منى ولست منهم ، ولا يردوا علىّ حوضى ، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك منى وأنا منهم وسيردوا علىّ حوضى ، يا كعب بن عجرة الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، والصلاة قربان . أو قال برهان : يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به . يا كعب بن عجرة الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها .

---

(١) فى المسند ثابت ، والصواب ما أثبتناه لما فى المسند (ج ٣ ص ٣٩٩) ، وفى مسند الدارمى (ج ٢ ص ٣٣١٨) ، والحديث معروف من رواية عبد الرحمن بن سابط .

وقال الإمام أحمد رحمه الله (ص ٣٩٩) : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب[1] ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر بن عبد الله قال : حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « يا كعب بن عجرة أعيذك بالله من إمارة السفهاء » قال : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « أمراء سيكونون من بعدى ، فمن دخل عليهم فصدقهم بحديثهم وأعانهم على ظلمهم فليسوا منى ولست منهم ، ولم يردوا علىّ الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بحديثهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك منى وأنا منهم ، وأولئك يردون علىّ الحوض يا كعب بن عجرة الصلاة قربان ، والصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار . يا كعب بن عجرة لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت النار أولى به يا كعب بن عجرة . الناس غاديان فغاد بائع نفسه ، وموبق رقبته ، وغاد مبتاع نفسه ومعتق رقبته » .

هذا حديث حسن وقد كنت تركته من أجل قول ابن معين أن عبد الله ابن سابط لم يسمع من جابر وأنه مرسل ، ثم وجدت فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم إثبات الاتصال والحديث شاهد لما قبله .

ومنها : الإخبار عن بعض الأمراء أنهم سيؤخرون الصلاة عن وقتها

قال مسلم رحمه الله (ج ١ ص ٤٤٨) : حدثنا خلف بن هشام ، حدثنا حماد بن زيد (ح) قال : وحدثنى أبو الربيع الزهرانى وأبو كامل الجحدرى قالا : حدثنا حماد عن أبى عمران الجونى ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبى ذر قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « كيف أنت

---

(١) فى الأصل بين وهيب وعبد الله بن عثمان عبد الله بن وهيب والصواب ما أثبتناه .

إذا كان عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها أو يميتون الصلاة عن وقتها ؟ » قال : قلت فما تأمرنى قال : « صل الصلاة لوقتها فإن أدركتها معهم فصل فإنها لك نافلة » . ولم يذكر خلف عن وقتها .

حدثنا يحيى بن يحيى ، أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن أبى عمران الجونى ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبى ذر قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يا أبا ذر إنه سيكون بعدى أمراء يميتون الصلاة ، فصل الصلاة لوقتها ، فإن صليت لوقتها كانت لك نافلة ، وإلا كنت قد أحرزت صلاتك » .

وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا عبد الله بن إدريس عن شعبة ، عن ابن عمران ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبى ذر قال : إن خليلى أوصانى أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا مجدع الأطراف ، وأن أصلى الصلاة لوقتها ، فإن أدركت القوم وقد صلوا كنت قد أحرزت صلاتك ، وإلا كانت لك نافلة » .

وحدثنى يحيى بن حبيب الحارثى ، حدثنا خالد بن الحارث ، حدثنا شعبة عن بديل قال : سمعت أبا العالية يحدث عن عبد الله بن الصامت ، عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وضرب فخذى : « كيف أنت إذا أبقيت فى قوم يؤخرون الصلاة عن وقتها » قال : قال : ما تأمر ؟ قال : « صل الصلاة لوقتها ثم اذهب لحاجتك ، فإن أقيمت الصلاة وأنت فى المسجد فصل » .

وحدثنى زهير بن حرب ، حدثنا إسماعيل بن إبراهم ، عن أيوب ، عن أبى العالية البراء قال : أخر ابن زياد الصلاة ، فجاءنى عبد الله بن الصامت ، فألقيت له كرسيا ، فجلس عليه فذكرت له صنيع ابن زياد فعض على شفته وضرب فخذى وقال : إنى سألت أبا ذر كما سألتنى فضرب فخذى كما ضربت

فخذك وقال : إنى سألت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما سألتنى فضرب فخذى كما ضربت فخذك وقال : « صل الصلاة لوقتها فإن أدركتك الصلاة معهم فصل ، ولا تقل : قد صليت فلا أصلى » .

وحدثنا عاصم بن النضر التيمى ، حدثنا خالد بن الحارث ، حدثنا شعبة عن أبى نعامة ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبى ذر قال : قال : كيف أنتم أو قال كيف أنت إذابقيت فى قوم يؤخرون الصلاة عن وقتها ؟ ، فصل الصلاة لوقتها ، ثم إن أقيمت الصلاة فصل معهم ، فإنها زيادة خير » .

وحدثنى أبو غسان المسمعى ، حدثنا معاذ وهو ابن هشام ، حدثنى أبى عن مطر ، عن أبى العالية البراء قال قلت لعبد الله بن الصامت : نصلى يوم الجمعة خلف أمراء ، فيؤخرون الصلاة . قال : فضرب فخذى ضربة أوجعتنى ، وقال : سألت أبا ذر عن ذلك فضرب فخذى وقال : سألت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ذلك فقال : « صلوا الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم نافلة » . قال : وقال عبد الله : ذكر لى أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ضرب فخذ أبى ذر .

قال أبو داود رحمه الله (ج ٢ ص ٩٩) : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم الدمشقى ، أخبرنا الوليد ، أخبرنا الأوزاعى ، حدثنى حسان يعنى ابن عطية ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون الأودى . قال : قدم علينا معاذ بن جبل اليمن رسول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلينا قال : فسمعت تكبيره مع الفجر ، رجل أجش الصوت قال : فألقيت عليه محبتى فما فارقته حتى دفنته بالشام ميتا ، ثم نظرت إلى أفقه الناس بعده فأتيت ابن مسعود فلزمته حتى مات فقال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « كيف بكم إذا أتيت عليكم أمراء يصلون الصلاة لغير ميقاتها ؟ » قلت : فما تأمرنى إذًا إن أدركنى ذلك يا رسول الله قال : « صل الصلاة لميقاتها ، واجعل صلواتك معهم سبحة » .

حديث صحيح على شرط مسلم .

قال الإمام ابن ماجه رحمه الله (ج ١ ص ٣٩٨) : حدثنا محمد بن الصباح ، أنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لعلكم ستدركون أقواما يصلون الصلاة لغير وقتها ، فإن أدركتموهم فصلوا فى بيوتكم للوقت الذى تعرفون ، ثم صلوا معهم واجعلوها سبحة » .

هذا حديث حسن .

ومنها : الإخبار بأنها ستوجد أثرة من الأمراء

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٥) : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ابن سعيد ،حدثنا الأعمش ، حدثنا زيد بن وهب قال : سمعت عبد الله قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إنكم سترون بعدى أثرة وأمورا تنكرونها » ، قالوا فما تأمرنا يا رسول الله ؟. قال : « أدوا إليهم حقهم ، وسلوا الله حقكم » . أخرجه مسلم (ج ٣ ص ١٤٧٢) .

وقد وقعت الأثرة ، فالحكام يتصرفون فى أموال المسلمين كيفما يشاءون ، دع عنك، الأثرة فى بيت مال المسلمين ، وتفضيل الأقارب ، وتقليدهم المناصب التى ليسوا لها أهلا ، ولن يرفع الله عن المسلمين العذاب الذى يعانونه من حكامهم إلّا إذا رجعوا إلى الله وإلا فرب العزة يقول : ﴿ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾ .

ومنها : الإخبار بكثرة الملوك والرؤساء

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٤٩٥) : حدثنى محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن فران القزاز قال : سمعت أبا حازم قال : قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبى صلى الله عليه

وعلى آله وسلم قال : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم[1] الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى ، وإنه لا نبى بعدى ، وسيكون خلفاء فيكثرون » قالوا فما تأمرنا ؟. قال : « فوا ببيعة الأول فالأول ، أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم » . أخرجه مسلم (ج ٣ ص ١٤٧١) .

ومنها : الإخبار بتوسيد الأمر إلى غير أهله

قال البخارى رحمه الله (ج ١ ص ١٤١) : حدثنا محمد بن سنان قال : حدثنا فليح (ح) وحدثنى إبراهيم بن المنذر قال : حدثنا محمد بن فليح قال : حدثنى أبى قال : حدثنى هلال بن على ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى هريرة قال : بينما النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى مجلس يحدث القوم جاءه أعرابى فقال : متى الساعة ؟. فمضى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحدث فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال : أين أراه السائل عن الساعة قال : ها أنا يا رسول الله قال : « فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » قال كيف إضاعتها قال : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » . اهـ

ومعنى وُسِّد : أسند كما فى الفتح .

---

(١) فى هذا أن السياسة من سنن الأنبياء ، والذين يحاولون فصل الدين عن السياسة لهم مقاصد سيئة ، فهم يريدون التخلص من الدين ، فشقوا وأصبحوا فى قلق عظيم ، وعجزوا عن سياسة شعوبهم ، وعسى أن يعودوا إلى دينهم فيسعدوا فى دينهم ودنياهم .

أنت أيها الزعيم المدبر لو كنت أنت وشعبك متمسكين بالإسلام لما أصبحت خائفا من الانقلابات صباحا ومساء وبالليل ، ذلك لأن الدين الإسلامى يحرم الخروج على الحاكم المسلم ، إلَّا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان .

ومن أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاضربوا عنقه . وإذا بويع لخليفتين فاضربوا عنق الآخر منهما .

ومنها : الإخبار باضطراب دولة غير القرشيين

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٥٣٢) حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهرى قال : كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية وهو عنده فى وفد من قريش أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان ، فغضب معاوية ، فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فإنه بلغنى أن رجالا منكم يتحدثون أحاديث ليست فى كتاب الله ، ولا تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فأولئك جهالكم فإياكم والأمانى التى تضل أهلها ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين[1] » .

ومنها : الإخبار بهلاك كسرى وقيصر

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٢١٩) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزها فى سبيل الله » . وأخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٢٣٧) من طريق الزهرى ، عن سعيد ابن المسيب ،عن أبى هريرة به . ومن طريق معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبى هريرة به .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٢١٩) : حدثنا إسحاق سمع جريرا ، عن عبد الملك ، عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى

---

(١) كتبته لأنه وقع ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فإنه ما وثب على الخلافة أحد وليس بقرشى إلا انتكس وإن طال زمانه ، وهذا الاضطراب الكائن سببه أنه أسند الأمر إلى غير أهله .

الله عليه وعلى آله وسلم : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » . أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٢٣٧) .

وأخرجه أيضا من حديث سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « لتفتحن عصابة من المسلمين ، أو من المؤمنين ، كنز آل كسرى الذى فى الأبيض » قال قتيبة من المسلمين ولم يشك .

وقد رواه الطبرانى فى الكبير (ج ٢ ص ٢١٧) بسنده الصحيح إلى مهاجر ابن مسمار ، وهو حسن الحديث ، عن عامر بن سعد ، عن جابر به .

ومنها : الإخبار بخروج الخوارج

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦١٧) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهرى قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يقسم قسما إذ أتاه ذو الخويصرة – هو رجل من بنى تميم – فقال : يا رسول الله اعدل فقال : « ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » فقال عمر : يا رسول الله ائذن لى فيه فأضرب عنقه فقال : « دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شىء ، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شىء ، ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شىء ، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شىء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس » . قال أبو سعيد فأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى

الله عليه وعلى آله وسلم ، وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس ، فأتى به حتى نظرت إليه على نعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذى نعته .

وأخرجه البخارى (ج ٢ ص ٢٩٠) وفيه زيادة فنزلت فيه ومنهم من يلمزك فى الصدقات . وأخرجه مسلم (ج ٢ ص ٧٤٤) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٨ ص ٦٧) : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد الواحد ، عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة ، حدثنا عبد الرحمن بن أبى نعم قال : سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : بعث على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من اليمن ذهيبة فى أديم مقروظ لم تحصل من ترابها قال : فقسمها بين أربعة نفر بين عيينة بن بدر ، وأقرع ابن حابس ، وزيد الخيل والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء ؟ ، يأتينى خبر السماء صباحا ومساء » قال : فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال : يا رسول الله اتق الله قال : « ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقى الله ؟ » قال : ثم ولى الرجل قال خالد بن الوليد : يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ قال : « لا لعله أن يكون يصلى » . فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ؟ . قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إنى لم أومر أن أنقب قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم » قال ثم نظر إليه وهو مقف فقال : « إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » وأظنه قال : « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود » . وأخرجه مسلم (ج ٢ ص ٧٤٢) .

قال مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ٧٤٥) : وحدثنى محمد بن المثنى ، حدثنا

ابن أبى عدى ، عن سليمان ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذكر قوما يكونون فى أمته يخرجون فى فرقة من الناس سيماهم التحالق قال : « هم شر الخلق أو من أشر الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق » . قال : فضرب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لهم مثلا أو قال قولا : « الرجل يرمى الرمية – أو قال الغرض – فينظر فى النصل فلا يرى بصيرة ونظر فى النضىّ فلا يرى بصيرة ، وينظر فى الفوق فلا يرى بصيرة » قال : قال أبو سعيد : وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق .

حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا القاسم وهو ابن الفضل الحدانى ، حدثنا أبو نضرة عن أبى سعيد الخدرى . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق » .

حدثنا أبو الربيع الزهرانى ، وقتيبة بن سعيد قال قتيبة : حدثنا أبو عوانة ، عن قتادة ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يكون فى أمتى فرقتان فيخرج من بينهما مارقة يلى قتلهم أولاهم بالحق » .

حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا داود ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « تمرق مارقة فى فرقة من الناس ، فيلى قتلهم أولى الطائفتين بالحق » .

حدثنى عبيد الله القواريرى ، حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن الضحاك المشرقى ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى حديث ذكر فيه قوما يخرجون على فرقة مختلفة ، يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦١٨) : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن سويد بن غفلة قال : قال على رضى

الله عنه : إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلأن أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فإن الحرب خدعة ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « يأتى فى آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن فى قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة » . وأخرجه مسلم (ج ٢ ص ٧٤٦) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ٧٤٨) : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عبد الرزاق بن همام ، حدثنا عبد الملك بن أبى سليمان ، حدثنا سلمة ابن كهيل ، حدثنى زيد بن وهب الجهنى ، أنه كان فى الجيش الذين كانوا مع على رضى الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج . فقال على رضى الله عنه : أيها الناس إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « يخرج قوم من أمتى يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشىء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء ، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم ، وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية » . لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم لا تكلوا عن العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعرات بيض فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم ! والله إنى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا فى سرح الناس فسيروا على اسم الله .

قال سلمة بن كهيل فنزلنى زيد بن وهب منزلا حتى قال مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبى ، فقال لهم ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإنى أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم

حروراء فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم . قال : وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان فقال على رضى الله عنه : التمسوا فيهم المخدج فالتمسوه ، فلم يجدوه فقام على رضى الله عنه بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض قال : أخروهم فوجدوه مما يلى الأرض فكبر ثم قال : صدق الله وبلغ رسوله . قال : فقام إليه عبيدة السلمانى فقال يا أمير المؤمنين ألله الذى لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف له .

قال مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ٧٤٧) : وحدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى ، حدثنا ابن عليه وحماد بن زيد .

(ح) وحدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حماد بن زيد .

(ح) وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، وزهير بن حرب واللفظ لهما . قالا : حدثنا إسماعيل بن عليه ، عن أيوب ، عن محمد ، عن عبيدة ، عن على قال : ذكر الخوارج . فقال : فيهم رجل مخدج اليد ، أو مؤدن اليد ، أو مثدون اليد لولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . قال : قلت آنت سمعته من محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ قال إى ورب الكعبة إى ورب الكعبة إى ورب الكعبة .

حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن ابن عون ، عن محمد ، عن عبيدة . قال : لا أحدثكم إلا ما سمعت منه فذكر عن على نحو حديث أيوب مرفوعا .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٢ ص ٢٩٠) : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا الشيبانى ، حدثنا يسير بن عمرو . قال : قلت لسهل بن حنيف : هل سمعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول فى الخوارج شيئا . قال : سمعته يقول وأهوى بيده قبل العراق : « يخرج منه قوم

يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية » .

وأخرجه مسلم رحمه الله (ج ١ ص ٧٥٠) ثم قال مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ٧٥٠) : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، وإسحاق جميعا عن يزيد . قال أبو بكر : حدثنا يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب ، حدثنا أبو إسحاق الشيبانى ، عن أسير بن عمرو ، عن سهل بن حنيف ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتيه قوم قبل المشرق محلقة رءوسهم .

قال مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ٧٥٠) : حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد بن هلال ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبى ذر . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن بعدى من أمتى (أو سيكون بعدى من أمتى) قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حلاقيهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق والخليقة » . فقال ابن الصامت فلقيت رافع بن عمر الغفارى أخا الحكم الغفارى قلت : ما حديث سمعته من أبى ذر كذا وكذا فذكرت له هذا الحديث فقال : وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

قال مسلم رحمه الله : حدثنى أبو الطاهر ويونس بن عبد الأعلى . قالا : أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشج ، عن بسر بن سعيد ، عن عبيد الله ابن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الحرورية لما خرجت وهو مع على بن أبى طالب رضى الله عنه قالوا : لا حكم إلا لله قال على : كلمة حق أريد بها باطل . إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصف ناسا إنى لأعرف صفتهم فى هؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم وأشار إلى حلقه ، من أبغض خلق الله إليه منهم أسود إحدى يديه طبى شاة أو حلمة ثدى ، فلما قتلهم على ابن أبى طالب رضى الله عنه قال : انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئا فقالوا ارجعوا

فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثا ، ثم وجدوه فى خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه .

قال عبيد الله وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول على فيهم .

زاد يونس فى روايته . قال بكير : وحدثنى رجل ، عن ابن حنين أنه قال رأيت ذلك الأسود .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ٧٤٠) : حدثنا محمد بن رمح بن المهاجر ، أخبرنا الليث ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبى الزبير[١] ، عن جابر ابن عبد الله . قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالجعرانة منصرفة من حنين ، وفى ثوب بلال فضة ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقبض منها يعطى الناس فقال يا محمد اعدل قال : « ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟. لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » . فقال عمر بن الخطاب : دعنى يا رسول الله فأقتل هذا المنافق . فقال : « معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية » .

حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبد الوهاب الثقفى . قال : سمعت يحيى ابن سعيد يقول : أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله .

(ح) وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنى قرة ابن خالد ، حدثنى أبو الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يقسم مغانم . وساق الحديث .

---

(١) أبو الزبير وهو : محمد بن مسلم بن تدرس المكى مدلس ، ولم يصرح بالتحديث فى هذه الطريق لكنه قد صرح فى التى تليها .

ه رحمه الله (ج ١ ص ٦٢) : حدثنا بكر بن خلف أبو بشر ، ق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك . قال : ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يخرج قوم فى آخر الزمان (أو فى هذه الأمة) يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم أو حلوقهم . سيماهم التحليق إذا رأيتموهم أو إذا لقيتموهم فاقتلوهم » .

الحديث سنده صحيح ، وقد أخرجه أبو داود (ج ٥ ص ١٢٣) : وهو فى مسند أحمد (ج ٣ ص ٢٢٤) من حديث قتادة ، عن أنس وأبى سعيد ، ومن حديث أنس ، عن أبى سعيد .

ورواية قتادة عن أبى سعيد مرسلة لكنه قد جاء كما عرفت عن أنس ، عن أبى سعيد .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص ٨٦) : ثنا إسحاق بن عيسى الطباع ، حدثنى يحيى بن سليم ، عن عبد الرحمن بن عثمان بن خثيم ، عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القارى . قال : جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة رضى الله عنها ونحن عندها جلوس مرجعه من العراق ليالى قتل على رضى الله عنه ، فقالت له : يا عبد الله بن شداد هل أنت صادق عما أسألك عنه تحدثنى عن هؤلاء القوم الذين قتلهم على رضى الله عنه . قال : وما لى لا أصدقك . قالت : فحدثنى عن قصتهم قال : فإن عليا رضى الله عنه لما كاتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة وأنهم عتبوا عليه فقالوا : انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى ، واسم سماك الله تعالى به ، ثم انطلقت فحكمت فى دين الله فلا حكم إلا لله تعالى فلما أن بلغ عليا رضى الله عنه ما عتبوا عليه وفارقوه عليه فأمر مؤذنا فأذن ، أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ، ويقول أيها المصحف حدث

الناس فناداه الناس فقالوا : يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد فى ورق ونحن نتكلم بما روينا منه فماذا تريد . قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بينى وبينهم كتاب الله . يقول الله تعالى فى كتابه فى امرأة ورجل ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ﴾ .

فأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل ، ونقموا على أن كاتبت معاوية كتب على بن أبى طالب وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالحديبية حين صالح قومه قريشا فكتب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : « كيف نكتب » فقال : اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فاكتب محمد رسول الله » فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك فكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشا يقول الله تعالى فى كتابه ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ فبعث إليهم علىّ عبد الله بن عباس رضى الله عنه فخرجت معه حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس فقال : يا حملة القرآن هذا عبد الله بن عباس رضى الله عنه فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرف به هذا ممن نزل فيه وفى قومه ، قوم خصمون فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله . فقام خطباؤهم فقالوا : والله لتواضعنه كتاب الله فإن جاء بحق نعرفه لنتبعه ، وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب فيهم ابن الكواء حتى أدخلهم على علىّ الكوفة فبعث على رضى الله عنه إلى بقيتهم فقال : قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دما حراما ، أو تقطعوا

سبيلا أو تظلموا ذمة . فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين . فقالت له عائشة رضى الله عنها : فقد قتلهم . فقال : والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم واستحلوا أهل الذمة . فقالت : الله . فقال : الله الذى لا إله إلا هو لقد كان . قالت فما شيء بلغنى عن أهل الذمة يتحدثون يقولون ذو الثدى وذو الثدى . قال : قد رأيته وقمت مع على عليه فى القتلى فدعا الناس فقال أتعرفون هذا فما أكثر من جاء يقول قد رأيته فى مسجد بنى فلان يصلى ، ورأيته فى مسجد بنى فلان يصلى ، ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك . قالت : فما قول على رضى الله عنه حين قام عليه كما يزعم أهل العراق . قال : سمعته يقول صدق الله ورسوله قالت : هل سمعت منه أنه قال غير ذلك ؟ قال : اللهم لا . قالت : أجل صدق الله ورسوله . يرحم الله عليا رضى الله عنه إنه كان من كلامه لا يرى شيئا يعجبه إلا قال : صدق الله ورسوله فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه فى الحديث .

هذا حديث حسن .

قال الإمام البزار رحمه الله كما فى كشف الأستار (ج ٢ ص ٣٦٢) : حدثنا محمد بن معمر ، ثنا أبو هشام المخزومى ، ثنا المغيرة بن سلمة ، ثنا عاصم ابن كليب ، حدثنى أبى . قال : كانت مجالس الناس المساجد حتى رجعوا من صفين وبرأوا من القضية فاستحق الناس وقعدوا فى السك يتخبرون الأخبار فبينا نحن قعود عند على وهو يتكلم بأمر من أمر الناس . قال : فقام رجل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ائذن أن أتكلم . قال : فشغل بما كان فيه من أمر الناس قال : فأخذنا الرجل فأقعدناه إلينا وقلنا ما هذا الذى تريد أن تسأل أمير المؤمنين فقال : إنى كنت فى العمرة فدخلت على أم المؤمنين عائشة فقالت : ما هؤلاء الذين خرجوا قبلكم يقال لهم حروراء فقلت : قوم خرجوا إلى أرض قرية منا ، يقال لها حروراء . قالت : فشهدت هلكتهم . قال

عاصم : فلا أدرى ما قال الرجل نعم أم لا . فقالت عائشة : أما إن ابن أبى طالب لو شاء حدثكم حديثهم . فجئت أسأله عن ذلك فلما فرغ على مما كان فيه قال : أين الرجل المستأذن . قال : فقام فقص عليه ما قص علينا . قال فأهل على وكبر وقال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وليس عنده غير عائشة فقال كيف أنت يا ابن أبى طالب وقوم كذا وكذا فقلت الله ورسوله أعلم فأعادها فقلت الله ورسوله أعلم قال : قوم يخرجون من قبل المشرق ويقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم .

قال الحافظ الهيثمى قلت لم أره بتمامه . وفى الصحيح بعضه . اهـ .

هذا حديث حسن .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص ٣٦) : ثنا وكيع ، ثنا عثمان أبو سلمة الشحام ، حدثنى مسلم بن أبى بكرة ، عن أبيه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « سيخرج قوم أحداث أحداء أشداء ذليقة ألسنتهم بالقرآن يقرأونه لا يجاوز تراقيهم فإذا لقيتموهم فأنيموهم ثم إذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنه يؤجر قاتلهم » .

وقال الإمام أحمد أيضا (ص ٤٤) : ثنا روح ، ثنا عثمان الشحام ، حدثنى مسلم بن أبى بكرة وسأله : هل سمعت فى الخوارج من شيء ؟ قال سمعت والدى أبا بكرة يقول عن نبى الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ألا إنه سيخرج من أمتى أقوام أشداء أحداء ذليقة ألسنتهم بالقرآن لا يجاوز تراقيهم ألا فإذا رأيتموهم فأنيموهم ثم إذا رأيتموهم فأنيموهم فالمأجور قاتلهم » .

مسلم بن أبى بكرة ، ترجمته فى تهذيب الكمال من رجال مسلم . روى عنه أربعة ولم يوثقه معتبر فهو مستور الحال لكنه قد تابعه نصر بن عاصم كما فى كتاب السنة لابن أبى عاصم (ج ٢ ص ٤٥٦) ، وقد وثقه النسائى كما فى تهذيب الكمال ، فالحديث صحيح .

قال عبد الله بن أحمد فى كتاب السنة (ص ٢٤٥) : حدثنى أبى ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبى عن ابن إسحاق ، حدثنى أبو عبيدة بن محمد ابن عماربن ياسر ، عن مقسم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثى ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت معلقا نعله بيده فسألته هل حضرت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين كلمه التميمى يوم حنين ؟ قال : نعم . أقبل رجل من بنى تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهو يعظ الناس . فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « وكيف رأيت ؟ » قال : لم أرك عدلت ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم قال : « ويحك إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ؟ » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ألا نقتله ؟ قال : « لا دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية فينظر فى النصل فلا يوجد شيء ثم فى القدح فلا يوجد شيء ثم فى الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم » .

هذا حديث حسن ، وقد أخرجه الإمام أحمد فى المسند (ج ٢ ص ٢١٩) فقال ثنا يعقوب ثنا أبى به .

قال الإمام البزار كما فى كشف الأستار (ج ٢ ص ٣٥٩) : حدثنا عمرو ابن على ، ثنا معاذ بن هشام ، ثنا أبى ، عن قتادة ، عن عقبة بن وساج . قال : كان صاحب لى يحدثنى عن عبد الله بن عمرو فى شأن الخوارج ، فحججت فلقيت عبد الله بن عمرو . فقلت : إنك بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقد جعل الله عندك علما أن ناسا يطعنون على أمرائهم ، ويشهدون عليهم بالضلالة قال : على أولئك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

أتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بسقاية من ذهب أو فضة فجعل يقسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال : يا محمد لئن كان الله أمرك بالعدل فلم تعدل ؟ قال ويلك فمن يعدل عليك بعدى ؟ . فلما أدبر قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن فى أمتى أشباه هذا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم فإن خرجوا فاقتلوهم » . قال ذلك ثلاثا هذا حديث صحيح على شرط البخارى .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص ٢٥٣) : ثنا عبد الرزاق ، أنا معمر . قال : سمعت أبا غالب[1] يقول لما أوتى برءوس الأزارقة[2] فنصبت على درج دمشق جاء أبو أمامة فلما رآهم دمعت عيناه . فقال : كلاب النار ثلاث مرات ، هؤلاء شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء ، وخير قتلى قتلوا تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قال : فقلت ما شأنك دمعت عيناك ؟ قال رحمة لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام . قال : قلنا أبرأيك قلت هؤلاء كلاب أهل النار أو شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ قال إنى لجرىء بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم غير مرة ولاثنتين ولا ثلاث . قال : فعد مرارا .

حديث حسن ، وأبو غالب قد تابعه سيار الأموى الدمشقى عند أحمد (ج ٥ ص ٢٥٠) وهو مستور الحال .

وقال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص ٢٦٩) : ثنا أنس بن عياض ، قال : سمعت صفوان بن سليم يقول : دخل أبو أمامة الباهلى دمشق فرأى رءوس حروراء قد نصبت فقال : كلاب النار ، ثلاثا وذكر الحديث .

وهذا السند صحيح .

---

(١) اسمه حزور مشهور بكنيته .

(٢) فرقة من الخوارج من أتباع نافع بن الأزرق .

قال عبد الله بن أحمد رحمه الله فى السنة (ص ٢٥٤) : حدثنى أبى ، حدثنا هاشم بن القيس ، حدثنا حشرج بن نباتة العبسى ، حدثنى سعيد بن جهمان . قال : لقيت عبد الله بن أبى أوفى وهو محجوب البصر فسلمت عليه . فقال لى : من أنت ؟ قال : قلت : أبا سعيد بن جهمان . قال : فما فعل والداك قال : قلت : قتلته الأزارقة . قال : لعن الله الأزارقة لعن الله الأزارقة ، حدثنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنهم كلاب أهل النار . قال : قلت الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها قال : بل الخوارج كلها .

هذا حديث حسن .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ٣٨٢) : ثنا بهز وعفان المعنى . قالا : ثنا حماد يعنى ابن سلمة ، قال عفان فى حديثه : حدثنى سعيد بن جهمان قال : كنا مع عبد الله بن أبى أوفى يقاتل الخوارج ، وقد لحق غلام لابن أبى أوفى بالخوارج فناديناه : يا فيروز هذا ابن أبى أوفى . قال : نعم الرجل لو هاجر . قال : ما يقول عدو الله ؟ قال يقول : نعم الرجل لو هاجر فقال : هجرة بعد هجرتى مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرددها ثلاثا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « طوبى لمن قتلهم ثم قتلوه » .

قال عفان فى حديثه وقتلوه ثلاثا .

هذا حديث حسن .

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى الشهير بابن ماجه (ج ١ ص ٥٩) : حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة وعبد الله بن عامر بن زرارة ، قالا : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول الناس يقرأون القرآن

لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، فمن لقيهم فليقتلهم فإن قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم .

الحديث سنده حسن ، وقد أخرجه الترمذى كما فى تحفة الأحوذى (ج ٣ ص ٢١٧) طبعة هندية .

وقال حديث حسن صحيح .

قال ابن ماجه رحمه الله (ج ١ ص ٦١) : حدثنا هشام بن عمار ، ثنا يحيى بن حمزة ، ثنا الأوزاعى ، عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « ينشأ نشء يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع » .

قال ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة حتى يخرج فى عراضهم الدجال » .

قال المعلق : فى الزوائد إسناده صحيح وقد احتج البخارى بجميع رواته .

قال أبو عبد الرحمن : هشام بن عمار روى عنه البخارى حديثين توبع عليهما ، وأخرج له حديث الملاهى تعليقا كما فى مقدمة الفتح ، والجرح فى هشام بن عمار مفسر كما فى مقدمة الفتح .

قال الإمام أبو يوسف يعقوب الفسوى (ج ١ ص ٥٢٢) : حدثنى موسى ابن مسعود قال حدثنا عكرمة ابن عمار عن سماك أبى زميل الدؤلى – وقد كان هرى نجدة – قال : قال ابن عباس : إنه لما اعتزلت الخوارج دخلوا رأيا وهم ستة ألف ، وأجمعوا أن يخرجوا على علىّ بن أبى طالب وأصحاب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم معه . قال : وكان لا يزال يجىء إنسان فيقول : يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك يعنى عليا ، فيقول : دعوهم فإنى لا أقاتلهم حتى يقاتلونى وسوف يفعلون .

فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر فقلت له : يا أمير المؤمنين أبردنا بصلاة لعلى أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم فقال : إنى أخافهم عليك ، فقلت : كلا وكنت رجلا حسن الخلق لا أوذى أحدا فأذن لى فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن ، وترجلت ودخلت عليهم نصف النهار ، فدخلت على قوم لم أر قوما قط أشد منهم اجتهادا ، جباههم قرحت من السجود وأيديهم كأنها بقر الإبل وعليهم قمص مرحضة مشمرين ، مسهمة وجوههم من السهر ، فسلمت عليهم فقالوا : مرحبا يا ابن عباس ما جاء بك ؟ قال قلت : أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ، ومن عند ـ صهر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ علىّ وعليهم أنزل القرآن وهم أعلم بتأويله . فقالت طائفة منهم لا تخاصموا قريشا فإن الله قال : ﴿ بل هم قوم خصمون ﴾ . فقال اثنان أو ثلاثة : لو كلمتهم فقلت لهم ترى ما نقمتهم على صهر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ ، والمهاجرين والأنصار عليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم أحد وهم أعلم بتأويله منكم قالوا : ثلاثا . قلت ماذا قالوا : أما إحداهن : فإنه حكم الرجال فى أمر الله عز وجل وقد قال الله عز وجل ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل ؟ فقلت هذه واحدة وماذا قالوا ؟ وأما الثانية : فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فلئن كانوا مؤمنين ما حل لنا قتالهم وسباهم ، وماذا الثالثة ؟ قالوا : إنه محا نفسه من أمير المؤمنين إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمير الكافرين قلت : هل عندكم غير هذا ؟ قالوا : كفانا هذا . قلت لهم : أما قولكم حكم الرجال فى أمر الله عز وجل أنا أقرأ عليكم فى كتاب الله عز وجل ما ينقض قولكم أفترجعون ؟ قالوا : نعم . قلت : فإن الله عز وجل قد صير من حكمه إلى الرجال فى بيع ربع درهم ثمن أرنب وتلا هذه الآية ﴿ لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾ إلى آخر الآية وفى المرأة وزوجها ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ﴾ إلى آخر الآية ، فنشدتكم بالله هل تعلمون

حكم الرجال فى إصلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل ، أم حكمهم فى أرنب وبضع امرأة ؟ فأيهما ترون أفضل ؟ قالوا بل هذه . قال : خرجت من هذه قالوا : نعم . قلت وأما قولكم : قاتل ولم يسب ولم يغنم فتسبون أمكم عائشة فوالله لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام ، ووالله لئن قلتم نسبيها نستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الإسلام فأنتم بين الضلالتين . إن الله عز وجل قال : ﴿ النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ فإن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام . أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم . وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون يوم الحديبية كاتب المشركين أبا سفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو فقال : يا علىّ اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال المشركون : والله لو نعلم أنك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما قاتلناك . فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنك تعلم أنى رسولك . امح يا علىّ . اكتب هذا ما كتب عليه محمد بن عبد الله ، فوالله لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خير من على فقد محا نفسه .

قال : فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا .

هذا الأثر سنده حسن ، وقد تابع موسى بن مسعود عبد الرزاق كما عند الطبرانى (ج ١٠ ص ٣١٢) وقد قال الحاكم رحمه الله (ج ٢ ص ١٥٢) هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

ومنها : الإخبار بأن الطاعون لا يدخل المدينة

قال البخارى رحمه الله (ج ١٠ ص ١٧٩) : حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن نعيم المجمر ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا يدخل المدينة المسيح ، ولا الطاعون » .

قال الحافظ : كلامًا حاصله أن الطاعون لم يدخل المدينة إلى زمنه . وأما دخول الوباء لها فالوباء لا يصدق عليه أنه الطاعون . إذ الطاعون وخز الجن . وقال الحافظ ـ أيضا ـ وقال آخر هذا من المعجزات المحمدية لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن قرية ، وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص ٨١) : ثنا يزيد[1] ثنا مسلم بن عبيد أبو نضيرة[2] قال : سمعت أبا عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أتانى جبريل عليه السلام بالحمى والطاعون ، فأمسكت الحمى بالمدينة ، وأرسلت الطاعون إلى الشام . فالطاعون شهادة لأمتى ورحمة لهم ورجس على الكافرين » .

هذا حديث حسن .

ومنها : الإخبار بأنه سينفع بسعد أقوام ويضربه آخرون

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ٢٦٩) : حدثنا يحيى بن قزعة ، حدثنا إبراهيم عن الزهرى عن عامر بن سعد بن مالك عن أبيه قال : عادنى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، عام حجة الوداع ، من مرض أشفيت منه على الموت ، فقلت يا رسول الله : بلغنى من الوجع ما ترى ، وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة لى واحدة ، أفأتصدق بثلثى مالى ؟ قال : « لا » . قال : أفأتصدق بشطره ؟ قال : « الثلث يا سعد ، والثلث كثير ، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » .

---

(١) يزيد هو ابن هارون الواسطى .

(٢) ترجمته فى تهذيب التهذيب فى الكنى .

قال أحمد بن يونس عن إبراهيم : « أن تذر ورثتك ولست بنافق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا آجرك الله بها حتى اللقمة تجعلها فى امرأتك » . قلت يا رسول الله : أخلف بعد أصحابى ؟ : قال : « إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغى به وجه الله إلا زددت بـه درجة ورفعة ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضربك آخرون . اللهم أمض لأصحابى هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم . لكن البائس سعد بن خولة يرثى له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن توفى بمكة » وقال أحمد بن يونس وموسى عن إبراهيم « أن تذر ورثتك » . أخرجه مسلم (ج ٣ ص ١٢٥٠) .

وقد انتفع به المسلمون فى الفتوحات الإسلامية وأضربه الفرس . والحمد لله .

ومنها : الإخبار بأن هلاك أمته بسبب التنافس فى الدنيا

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٢٤٣) : حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال حدثنى إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن موسى بن عقبة قال : قال ابن شهاب : حدثنى عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة ، أخبره أن عمرو ابن عوف وهو حليف لبنى عامر بن لؤى كان مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين ، يأتى بجزيتها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو صالح أهل البحرين ، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمى . فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين . فسمعت الأنصار بقدومه فوافقت صلاة الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فلما انصرف ، تعرضوا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين رآهم . وقال : « أظنكم سمعتم بقدوم أبى عبيدة وأنه جاء بشىء » . قالوا : أجل يا رسول الله ، قال :

« فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم » . أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٢٧٣) .

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٢٤٤) : حدثنا إسماعيل قال حدثنى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض » قيل : وما بركات الأرض ؟ قال : « زهرة الدنيا » فقال رجل : أيأتى الخير بالشر ؟ فصمت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حتى ظننت أنه ينزل عليه . ثم جعل يمسح عن جبينه فقال : « أين السائل ؟ » قال : أنا . قال أبو سعيد : لقد حمدناه حين طلع لذلك ، قال : « لا يأتى الخير إلا بالخير . إن هذا المال خضرة حلوة ، وإن كل ما انبت الربيع يقتل حبطا أو يلم ، إلا أكلة الخضرة ، أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس فاجترت وثلطت وبالت ، ثم عادت فأكلت . وإن هذا المال حلوة : من أخذه بحقه ، ووضعه فى حقه فنعم المعونة هو . وإن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع » . الحديث أخرجه مسلم (ج ٢ ص ٧٢٧ و ٧٢٨ و ٧٢٩) .

وقال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦١١) : حدثنى سعيد بن شرحبيل حدثنا ليث عن يزيد عن أبى الخير عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال : « إنى فرطكم وأنا شهيد عليكم . إنى والله لأنظر إلى حوضى الآن . وإنى قد أعطيت خزائن مفاتيح الأرض . وإنى والله ما أخاف بعدى أن تشركوا ، ولكن أخاف أن تنافسوا فيها » . أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٧٩٥) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ٣٤٨) : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ،

أخبرنا زكريا بن عدى ، أخبرنا ابن المبارك عن حيوة عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الخير عن عقبة بن عامر قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على قتلى أحد ، بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات . ثم طلع المنبر فقال : « إنى بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد . وإن موعدكم الحوض وإنى لأنظر إليه من مقامى هذا . وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها » قال : فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٧٩٥) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص ٢٤) : ثنا حيوة قال أنا بقية قال : حدثنى بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عوف بن مالك أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قام فى أصحابه فقال : « الفقر تخافون ، أو العوز ، أو تهمكم الدنيا . فإن الله فاتح لكم أرض فارس والروم وتصب عليكم الدنيا صبا حتى لا يزيغكم بعدى إن أزاغكم إلا هى » .

ومنها : إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنه يهلك الصالحون الأول فالأول

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٢٥١) : حدثنى يحيى بن حماد ، حدثنا أبو عوانة عن بيان عن قيس بن أبى حازم عن مرداس الأسلمى ، قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقى حفالة كحفالة الشعير والتمر لا يباليهم الله بالة » . قال أبو عبد الله يقال حفالة وحثالة .

ومنها : الإخبار بارتكاب الفواحش جهارا

قال الإمام ابن حبان رحمه الله . كما فى الموارد (ص ٤٦٦) : أخبرنا أحمد

ابن على بن المثنى ، حدثنا إبراهيم بن حجاج السامى ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عثمان بن حكيم ، حدثنا أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن عبد الله بن عمرو قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا فى الطريق تسافد الحمير » . قلت إن ذلك لكائن ؟ قال : « نعم ليكونن » .

هذا حديث صحيح .

وقد أخبرنى غير واحد ، أن هذا قد وقع فى أمريكا وفى روسيا ، ونخشى أن يقلدهم المفتونون بهم من أبناء المسلمين .

خصال خمس وقعت كما أخبر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم من ذلك انتشار الأمراض التى أعيت الأطباء بسبب فشو الفاحشة

قال الإمام أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار كما فى كشف الأستار (ج ٢ ص ٢٦٨) : حدثنا جعفر بن محمد الفضيل ، ثنا محمد بن عثمان الدمشقى ، ثنا الهيثم بن حميد ، حدثنى حفص بن غيلان عن عطاء ابن أبى رباح ، قال : كنا مع ابن عمر بمنى ، فجاءه فتى من أهل البصرة فسأله عن شىء[1] فقال : سأخبرك عن ذلك : قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عاشر عشرة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وحذيفة وأبو سعيد الخدرى ورجل آخر سماه ، وأنا ، فجاء فتى من الأنصار فسلم على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم جلس ، فقال : يا رسول الله أى المؤمنين

---

(١) جاء تفسيره فى مستدرك الحاكم (ج ٤ ص ٥٤٠) . أن إسدال العمامة .

أفضل ؟ قال : « أحسنهم خلقا » . قال : أى المؤمنين أكيس ؟ قال : « أكثرهم للموت ذكرا ، وأحسنهم له استعدادا ، قبل أن ينزل بهم » أو قال : « ينزل به أولئك الأكياس » ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقال : « لم تظهر الفاحشة فى قوم قط إلا ظهر فيهم الطاعون ، والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله ، إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وأخذوا بعض ما كان فى أيديهم ، ولم يحكم[1] أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » . قال ثم أمر عبد الرحمن يتجهز لسرية أمره عليها ، فأصبح قد اعتم بعمامة كرابيس سوداء ، فدعاه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنقضها ، فعممه[2] ثم قال : « هكذا يا ابن عوف فاعتم . فإنه أعرب وأحسن » ثم أمر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بلالًا أن يدفع إليه اللواء ، فحمد الله ، ثم قال : « اغزوا جميعا فى سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ، فهذا عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسنته فيكم » .

هذا حديث حسن .

ومنها : الإخبار بأنه سيأتى قوم يخضبون بالسواد

قال الإمام النسائى رحمه الله (ج ٨ ص ١١٩) : أخبرنا عبد الرحمن بن

---

(١) فى المستدرك وما لم يحكم وهو أظهر فى السياق .

(٢) فى المستدرك: بعمامة بيضاء : وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحو ذلك .

عبيد الله الحلبى ، عن عبيد الله وهو ابن عمرو ، عن عبد الكريم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رفعه أنه قال : « قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان ، كحواصل الحمام ، لا يريحون رائحة الجنة » .

هذا الحديث أخرجه أبو داود ، وقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ، ظانا أن عبد الكريم هو ابن أبى المخارق . وعبد الكريم هو ابن مالك الجزرى ، كما بينه الحافظ ابن حجر فى القول المسدد فى الذب عن مسند أحمد .

الحديث سنده صحيح . والحديث يدل على تحريم الخضاب بالسواد . ولنا رسالة فى هذا بعنوان (تحريم الخضاب بالسواد) .

ومنها : الإخبار بمن يتأكل بالقرآن

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ٣ ص ٥٨) : حدثنا وهب بن بقية ، أخبرنا خالد عن حميد الأعرج ، عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابى والعجمى . فقال : « اقرأوا فكل حسن وسيجىء أقوام يقيمونه كما يقام القدح . يتعجلونه[1] ولا يتأجلونه » .

الحديث صحيح على شرط مسلم .

قال أبو داود (ج ٣ ص ٥٩) : حدثنا أحمد بن صالح أخبرنا عبد الله ابن وهب أخبرنى عمرو وابن لهيعة عن بكر بن سوادة ، عن وفاء بن شريح الصدفى ، عن سهل بن سعد الساعدى قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوما ونحن نقترئ ، فقال : « الحمد لله ، كتاب الله واحد ، وفيكم الأحمر وفيكم الأبيض ، وفيكم الأسود . اقرأه قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقوم السهم يتعجل أجره ولا يتأجله » .

---

(١) هذا الحديث ، يعد علما من أعلام النبوة فقد وجد أقوام يتأكلون بالقرآن .

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا وفاء بن شريح ، وهو أيضا مستور الحال ، لكنه فى الشواهد كما ترى ، وأما ابن لهيعة ، فهو مقرون بعمرو وهو ابن الحارث المصرى .

ومنها : الإخبار بالفرقة القرآنية الضالة

قال الإمام أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص ٣٥٤) : حدثنا عبد الوهاب ابن نجدة ، أخبرنا أبو عمرو بن كثير بن دينار ، عن حريز بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن أبى عوف عن المقدام بن معد يكرب ، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته ، يقول عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه . وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السبع ، ولا لقطة معاهد ، إلا أن يستغنى عنها ، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه[1] » .

عبد الرحمن بن أبى عوف مستور الحال يصلح حديثه فى الشواهد والمتابعات ، والحديث له شواهد ، منها الذى بعده ، على أنه قد تابعه الحسن ابن جابر اللحمى ، كما عند الترمذى ، وهو مستور الحال فالحديث حسن لغيره

---

(١) هذا الحديث وأمثاله من السنن المتكاثرة بل والقرآن العظيم ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .

هذه الأدلة تدفع الحديث الباطل ، إذا أتاكم .. الحديث عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فإن وافق كتاب الله ، فهو منى ، وإن لم يوافق فليس منى ولم أقله .

قال عبد الرحمن بن مهدى ويحيى بن معين : إن هذا الحديث من الأحاديث التى وضعتها الزنادقة ليردوا به السنن .

قال أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص ٣٥٦) : حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل وعبد الله بن محمد النفيلى قالا : أخبرنا سفيان . حدثنا أحمد بن حنبل وعبد الله بن محمد النفيلى وابن كثير ، قالوا : حدثنا سفيان عن أبى النضر ، عن عبد الله بن أبى رافع عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته ، يأتيه الأمر مما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول لا ندرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه »[1] .

ومنها : الإخبار بظهور الطائفة المنصورة إلى أن يأتيهم أمر الله

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦٣٢) : حدثنا الحميدى ، حدثنا الوليد ، قال : حدثنى ابن جابر قال : حدثنى عمير بن هانئ أنه سمع معاوية يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم . حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك » .

قال عمير : فقال مالك بن يخامر : قال معاذ وهم بالشام . فقال معاوية هذا مالك يزعم أنه سمع معاذا يقول وهم بالشام . رواه مسلم (ج ٣ ص ١٥٢٤) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ١٣٢) : حدثنا عبد الله بن أبى الأسود ، حدثنا يحيى عن إسماعيل ، حدثنا قيس ، سمعت المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يزال ناس من أمتى حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » . رواه مسلم (ج ٣ ص ١٥٢٣) .

---

(١) فى هذين الحديثين دليل على ضلال الطائفة الملحدة ، التى تسمى بالقرآنية ، وهم الفرماوية بمصر . وكذا الطائفة الضالة القرآنية بالهند ، وليسوا من القرآن فى شىء ، بل هم المعطلون لشرع الله المتلاعبون بدينه .

والمراد بأمر الله هنا الريح الباردة التى تقبض أرواح المؤمنين . وبعدها تقوم الساعة ، كما فى صحيح مسلم . وسنذكره إن شاء الله بعد الحديث هذا ؛ لأن له صلة بهذا الباب . والحمد لله .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٣ ص ١٥٢٤) : حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، حدثنا عمى عبد الله بن وهب ، حدثنا عمرو بن الحارث ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، حدثنى عبد الرحمن بن شماسة المهرى قال : كنت عند مسلمة بن مخلد ، وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص فقال عبد الله : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ، هم شر من أهل الجاهلية ، لا يدعون الله بشىء إلا رده عليهم . فبينا هم على ذلك ، أقبل عقبة بن عامر فقال له مسلمة : يا عقبة اسمع ما يقول عبد الله . فقال عقبة : هو أعلم . وأما أنا فسمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله ، قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك . فقال عبد الله : أجل . ثم يبعث الله ريحا كريح المسك مسها مس الحرير ، فلا تترك نفسا فى قلبه مثقال حبة من الإيمان ، إلا قبضته ، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة .

قال مسلم رحمه الله (ج ٣ ص ١٥٢٣) : حدثنا سعيد بن منصور ، وأبو الربيع العتكى ، وقتيبة بن سعيد ، قالوا : حدثنا حماد (وهو ابن زيد) ، عن أيوب عن أبى قلابة ، عن أبى أسماء ، عن ثوبان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » .

وليس فى حديث قتيبة وهم كذلك .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٣ ص ١٥٢٤) وحدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا : حدثنا محمد بن جعفر . حدثنا شعبة عن سماك بن

حرب ، عن جابر بن سمرة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ أنه قال : « لن يبرح هذا الدين قائما ، يقاتل عليه عصابة من المسلمين ، حتى تقوم الساعة » .

وقال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٣ ص ١٥٢٤) : حدثنى هارون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر . قالا : حدثنا حجاج بن محمد ، قال : قال ابن جريج : أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ، ظاهرين إلى يوم القيامة » .

قال الإمام الترمذى رحمه الله (ج ٦ ص ٤٣٣) : حدثنا محمد بن غيلان ، أخبرنا أبو داود ، أخبرنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إذا فسد أهل الشام ، فلا خير فيكم . لا تزال طائفة من أمتى منصورين . لا يضرهم من خذلهم ، حتى تقوم الساعة » . قال محمد بن إسماعيل : قال على بن المدينى هم أصحاب الحديث .

وفى الباب ؛ عن عبد الله بن حوالة وابن عمر وزيد بن ثابت وعبد الله ابن عمرو ، هذا حديث حسن صحيح .

قال أبو داود رحمه الله (ج ٧ ص ١٦٢) : حدثنا موسى بن إسماعيل ، أخبرنا حماد عن قتادة ، عن مطرف عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ، ظاهرين على من ناوأهم ، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال » .

الحديث على شرط مسلم .

قال البخارى رحمه الله فى التاريخ الكبير (ج ٤ ص ٧٠) : حدثنا

عبد الله بن يوسف ، نا عبد الله بن سالم[1] ، نا إبراهيم بن سليمان الأفطس[2] ، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشى ، عن جبير بن نفير أخبرنى سلمة بن نفيل السكونى . قال : دنوت من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى كادت ركبتاى تمسان فخذه . فقلت : يا رسول الله سيئ بالخيل وألقى السلاح وزعموا أن لا قتال . قال : « كذبوا الآن جاء القتال لا تزال من أمتى أمة قائمة على الحق ظاهرين على الناس يزيغ الله قلوب قوم ، فيقاتلوهم لينالوا منهم » ، قال وهو مول ظهره إلى اليمن : « إنى لأجد نفس الرحمن من هٰهنا ، ولقد أوحى إلى أنى مكفوت غير ملبث وتتبعونى أفذاذا ، والخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها » .

هذا حديث صحيح وقد أخرجه أحمد فى مسنده (ج ٤ ص ١٠٤) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ٤٢٩) : ثنا بهز ، ثنا حماد بن سلمة ، أنا قتادة ، عن مطرف ، عن عمران بن حصين ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى وينزل عيسى بن مريم عليه السلام » . اهـ .

ومن عجب تكالب أهل الشر فى زمننا هذا على هذه الطائفة المنصورة فذاك فى السجن ، وذاك مضيق عليه لا يستطيع أن يقول ما يراه حقا ، وذاك مهدد بالقتل ، ومع هذا فقد أرعبت أعداء الإسلام وأذهلتهم اليقظة الإسلامية هم يعملون على القضاء عليها وهى فى ازدياد ويأبى الله إلَّا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

---

(١) هو الوحاظى ثقة .

(٢) وإبراهيم بن سليمان الأفطس ثقة أيضا .
السند مسلسل بالشاميين .

ومنها : الإخبار بأن بعض الأمة سيستحل بعض المحرمات

قال البخارى رحمه الله (ج ١٠ ص ٥١) : وقال هشام بن عمار : حدثنا صدقة بن خالد ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، حدثنا عطية بن قيس الكلابى ، حدثنا عبد الرحمن بن غنم الأشعرى . قال : حدثنى أبو عامر أو أبو مالك الأشعرى ، والله ما كذبنى سمع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير ، والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم - يعنى الفقير - لحاجة فيقولوا ارجع إلينا غدا فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة .

ومنها : الإخبار عن رفع الأمانة

قال البخارى رحمه الله (ج ١١ ص ٣٣٣) : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، حدثنا حذيفة ، قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر .

حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذور قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة ، وحدثنا عن رفعها ، قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها ، مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا ، وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم[1] يؤدى الأمانة فيقال إن فى بنى فلان رجلا

---

(١) هذا يعد علما من أعلام النبوة ومن خالط الناس وعاملهم عرف ذلك .

أمينا ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده ، وما فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولقد أتى على زمان وما أبالى أيكم بايعت لئن كان مسلما رده على الإسلام ، ولئن كان نصرانيا رده على ساعيه . فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا .

الحديث رواه مسلم (ج ٢ ص ١٦٧) مع النووى .

ومنها : الإخبار عن النساء الكاسيات العاريات

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٣ ص ١٦٨٠) : حدثنى زهير بن حرب ، حدثنا جرير ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما ؛ قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس بها ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

قال البخارى رحمه الله تعالى (ج ١٣ ص ٢٠) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهرى .

(ح) وحدثنا إسماعيل ، حدثنى أخى ، عن سليمان بن بلال ، عن محمد ابن أبى عتيق ، عن ابن شهاب ، عن هند بنت الحارث الفراسية ، أن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قالت : استيقظ رسول الله صلى الله عليه وعلى اضله وسلم ليلة فزعا يقول : « سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن ، وماذا أنزل من الفتن من يوقظ صواحب الحجرات يريد أزواجه لكى يصلين ، رب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة » .

ومنها : الإخبار بتدهور حال المسلمين إذا وقعوا فى الربا وآثروا الدنيا على الآخرة

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٢ ص ٢٨) ثنا الأسود بن عامر ، أنا

أبو بكر ، عن الأعمش ، عن عطاء ابن أبى رباح ، عن ابن عمر . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إذا – يعنى – ضن الناس بالدينار والدرهم تبايعوا بالعين واتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد فى سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » .

هذا الحديث : رجاله رجال الصحيح إلا أن الأعمش مدلس ، ولم يصرح بالتحديث لكن الحديث له طرق أخرى كما فى سنن أبى داود (ج ٣ ص ٧٤٠) ، ومسند أحمد (ج ٢ ص ٤٢ ، و ص ٨٤) من غير طريق الأعمش وقد ذكرت بعضها فى الصحيح المسند من دلائل النبوة الطبعة الثانية .

وقد وقع ما أخبر به النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهذه البنوك الربوية أدخلت على المسلمين الذل والفقر وجميع أصناف الفتن والمصائب وصدق الله إذ يقول ﴿ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ ويقول مبينا أن الفلاح فى ترك الربا ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ .

ومنها إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن عاقبة المكثرين من التعامل بالربا إلى قل . وفى الكتاب العزيز ﴿ يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾ .

قال الإمام أبو عبد الله ابن ماجه (ج ٢ ص ٧٦٥) : حدثنا العباس بن جعفر ، ثنا عمرو بن عون ، ثنا يحيى بن أبى زائدة ، عن إسرائيل عن الركين[1] بن الربيع بن عميلة ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة » .

---

(١) فى الأصل دكين والصواب ماأ ثبتناه .

هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح ، إلا عباس بن جعفر ، وقد وثقه ابن أبى حاتم كما فى تهذيب الكمال ، وقال : أبو حاتم صدوق ، وقال : عبد الله بن إسحاق المدائنى ، حدثنا عباس بن أبى طالب وكان ثقة . ا هـ .

وعباس بن أبى طالب : هو عباس بن جعفر .

والحديث أخرجه الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص ٣٩٥) فقال : حدثنا حجاج ، ثنا شريك ، عن الركين بن الربيع به (و ص ٤٢٤) فقال : ثنا أبو كامل ، ثنا شريك ، عن الركين به ثم ذكر أبو كامل أن شريك أمسك عن رفعه ، ولا يضر هذا فالحديث عند ابن ماجه من غير طريق شريك وهو صحيح .

إخباره : صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن رعاة الإبل سيتطاولون فى البنيان

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ١ ص ١١٤) : حدثنا مسدد قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم . قال : أخبرنا أبو حيان التيمى ، عن أبى زرعة ، عن أبى هريرة قال : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بارزا يوما للناس فأتاه رجل فقال : ما الإيمان ؟ قال : « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وبلقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث » . قال ما الإسلام ؟ قال : « الإسلام أن تعبد الله ، ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » . قال ما الإحسان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . قال متى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، وسأخبرك عن أشراطها ؛ إذا ولدت الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان فى خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم تلا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ الآية ثم أدبر فقال : ردوه فلم يروا شيئا فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم .

الحديث أخرجه مسلم (ج ١ ص ٣٩ ، ٤٠) .

قال مسلم رحمه الله (ج ١ ص ٣٦) : حدثنى أبو خيثمة (زهير بن حرب) ، حدثنا وكيع ، عن كهمس ، عن عبد الله بن بريدة ، عن يحيى بن يعمر .

(ح) وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى ، وهذا حديثه حدثنا أبى ، حدثنا كهمس ، عن ابن بريدة ، عن يحيى بن يعمر . قال : كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين . فقلنا : لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر . فوفق لنا عبد الله ابن عمر بن الخطاب داخل المسجد فاكتنفته أنا وصاحبى أحدنا عن يمينه ، والآخر عن شماله فظننت أن صاحبى سيكل الكلام إلىّ فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم برآء منى ، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ، ثم قال : حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال : صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال : أخبرنى عن الإيمان . قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرنى عن

الإحسان . قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . قال فأخبرنى عن الساعة . قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرنى عن أمارتها . قال : « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان » . قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لى : « يا عمر أتدرى من السائل » ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

ومنها : الإخبار بالتطاول فى البنيان

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٨١) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المال حتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى به ، وحتى يتطاول الناس فى البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه[1] . وذكر الحديث .

ومنها : الإخبار بأن أمته ستقلد فارس والروم

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٣٠٠) : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا ابن أبى ذئب ، عن المقبرى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى

---

(١) أخرجه مسلم مفرقا ، وأخرج منه قوله وحتى يمر الرجل الحديث (ج ٤ ص ١٢٣١) . ولا يخفى عليك بأن الترجمة الأولى مقيدة برعاء الإبل ، والثانية مطلقة فلا تكرار .

الله عليه وعلى آله وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى بأخذ القرون قبلها شبرا بشر ، وذراعا بذراع » ، فقيل يا رسول الله كفارس والروم . فقال « ومن الناس إلا أولئك » .

إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن أمته ستتبع اليهود والنصارى

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٣٠٠) : حدثنا محمد بن عبد العزيز ، حدثنا أبو عمر الصنعانى ، من اليمن ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى قال : « فمن ؟ » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٥٤) .

ومنها : الإخبار بهلاك العرب إذا كثر الخبث

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦١١) : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال حدثنى عروة بن الزبير أن زينب بنت أبى سلمة حدثته أن أم حبيبة بنت أبى سفيان حدثتها عن زينب بنت جحش أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم دخل عليها فزعا يقول : « لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب : فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا . وحلق بأصبعه وبالتى تليها . فقالت زينب : فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا كثر الخبث » . وعن الزهرى حدثتنى هند بنت الحارث أن أم سلمة قالت : استيقظ النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « سبحان الله ماذا أنزل من الخزائن وماذا أنزل من الفتن » .

حديث زينب رضى الله عنها أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٢٠٧) .

ومنها : الإخبار برفع العلم وحدوث بعض الفتن

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ١٣) : حدثنا عياش بن الوليد ، أخبرنا عبد الأعلى ، حدثنا معمر ، عن الزهرى ، عن سعيد ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . قال : « يتقارب الزمان وينقص العمل ، ويلقى الشح ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج قالوا : يا رسول الله أيما هو . قال : « القتل القتل » .

وأخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٥٧) .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ١٣) : حدثنا مسدد حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن الأعمش ، عن شقيق . قال : كنت مع عبد الله وأبى موسى . فقالا : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن بين يدى الساعة لأياما ينزل فيها الجهل ، ويرفع فيها العلم ، ويكثر فيها الهرج . والهرج : القتل » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٠٥٦) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص ٢٦) : ثنا على بن بحر ، قال : ثنا محمد بن حمير الحمصى ، قال : حدثنى إبراهيم بن أبى عبلة عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشى ، قال : ثنا جبير بن نفير ، عن عوف بن مالك ، أنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذات يوم فنظر فى السماء ثم قال : « هذا أوان العلم أن يرفع » فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد أيرفع العلم يا رسول الله وفينا كتاب الله وقد علمناه أبناءنا ونساءنا فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن كنت لأظنك من أفقه أهل المدينة » ، ثم ذكر ضلالة أهل الكتابين ، وعندهما ما عندهما من كتاب الله عز وجل فلقى جبير بن نفير شداد بن أوس بالمصلى فحدثه هذا الحديث ، عن عوف بن مالك فقال : صدق عوف ، ثم قال :

وهل تدرى ما رفع العلم ؟ قال : قلت لا أدرى قال : ذهاب أوعيته . قال وهل تدرى أى العلم أول أن يرفع قال : قلت لا أدرى قال الخشوع حتى لا تكاد ترى خاشعا .

حديث صحيح رجاله ثقات وهو مسلسل بالشاميين إلا شيخ الإمام أحمد فبغدادى .

تنبيه :

قال الإمام أبو جعفر الطحاوى رحمه الله فى كتابه مشكل الآثار (ج ١ ص ١٢٤) مجيبا على إشكال رفع العلم فى زمان النبوة قال رحمه الله : جوابنا له فى ذلك، أن هذا الحديث من أحسن الأحاديث وأصحها ، وأن الذى فيه من نظر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى السماء ، ومن قوله عند ذلك هذا أوان يرفع فيه العلم ، إنما هو إشارة منه إلى وقت يرفع فيه العلم ويجوز أن يكون هذا إلى وقت يكونُ بعده ؛ لأن هذا إنما هو كلمة يشار بها إلى الأشياء من ذلك قوله تعالى : ﴿ هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴾ ليس يومكم فيه يوم أنزل ذلك على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ﴿ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ ﴾ ليس على شيء من يوم قيل له ذلك فى أمثال لهذا كثيرة فى القرآن فمثل ذلك ما فى حديث عوف قد يحتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما نظر إلى السماء أرى فيها الزمان الذى يرفع فيه العلم فقال ما قال من أجل ذلك . ا هـ المراد منه .

ومنها : الإخبار بالملوك والرؤساء الجاهلين

قال البخارى رحمه الله (ج ١ ص ١٩٤) : حدثنا إسماعيل بن أبى أويس . قال : حدثنى مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض

العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

قال الفربرى حدثنا عباس قال : حدثنا قتيبة ، حدثنا جرير عن هشام نحوه .

وأخرجه مسلم فى (ج ٤ ص ٢٠٥٨) .

ومنها : الإخبار بأن أهل البلاد التى فتحت سيمنعون الخراج

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٢٢٠) : حدثنا عبيد بن يعيش وإسحاق ابن إبراهيم ، واللفظ لعبيد قالا : حدثنا يحيى بن آدم بن سليمان مولى خالد ابن خالد ، حدثنا زهير ، عن سهل ابن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مديها ودينارها ومنعت مصر أردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم . شهد على ذلك لحم أبى هريرة ودمه .

قال أبو عبد الرحمن فيه علامتان من علامات النبوة ؛ الأولى أن هذه البلدان سيفتحها المسلمون ، الثانية أن أهلها سيؤدون خراجا للمسلمين ثم يمنعونه .

ومنها : الإخبار بمنع أهل الذمة الجزية

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٢٨٠) قال أبو موسى : حدثنا هاشم ابن القاسم ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كيف أنتم إذا لم تجبوا دينارًا ولا درهما . فقيل : وكيف ترى ذلك كائنا يا أبا هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق قالوا : عم ذلك قال : تنتهك ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة فيمنعون ما فى أيديهم .

ومنها : الإخبار بعدم مبالاة كثير من المسلمين من أين دخل عليهم المال

قال البخارى رحمه الله (ج ٤ ص ٢٩٦) : حدثنا آدم حدثنا ابن أبى ذئب ، حدثنا سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ منه المال أمن الحلال أم من الحرام » .

ومنها : الإخبار بخروج نار من أرض الحجاز

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ٧٨) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، أخبرنى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الإبل ببصرى » .

أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢٢٢٧) .

قال الحافظ فى الفتح (ج ١٣ ص ٧٩) . قال القرطبى فى التذكرة : قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة ، وكان بدؤها زلزلة عظيمة فى ليلة الأربعاء بعد العتمة ، الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ، واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة ، فسكنت ، وظهرت النار بقريظة بطرف الحرة ، ترى فى صورة البلد العظيم ، عليها سور محيط ، عليه شراريف وأبراج ومآذن ، وترى رجال يقودونها ، لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته . ويخرج من مجموع ذلك ، مثل النهر أحمر وأزرق ، له دوى كدوى الرعد ، يأخذ الصخور بين يديه ، وينتهى إلى محط الركب العراق . واجتمع من ذلك ردم كالجبل العظيم ، فانتهت النار إلى قرب المدينة . ومع ذلك فكان يأتى المدينة نسيم بارد ، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر . وقال لى بعض أصحابنا : رأيتها صاعدة فى الهواء من نحو خمسة أيام . وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى .

وقال النووى : تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام . وقال أبو شامة فى « ذيل الروضتين » وردت فى أوائل شعبان سنة أربع وخمسين ، كتب من المدينة الشريفة ، فيها شرح أمر عظيم حدث بها ، فيه تصديق لما فى الصحيحين . فذكر هذا الحديث .

قال : فأخبرنى بعض من أثق به ممن شاهدها . أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب . فمن الكتب .. فذكر نحو ما تقدم ومن ذلك أن فى بعض الكتب : ظهر فى أول جمعة من جمادى الآخرة فى شرقى المدينة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم انفجرت من الأرض وسال منها واد من نار ، حتى حاذى جبل أحد . وفى كتاب آخر : انبجست الأرض من الحرة بنار عظيمة ، يكون قدرها مثل مسجد المدينة ، وهى برأى العين من المدينة ، وسال منها واد يكون مقداره أربع فراسخ ، وعرضه ، أربع أميال ، يجرى على وجه الأرض ، ويخرج منه مهاد وجبال صغار : وفى كتاب آخر : ظهر ضوؤها إلى أن رأوها من مكة . قال : ولا أقدر أصف عظمها ، ولها دوى . قال أبو شامة : ونظم الناس فى هذا أشعارا ، ودام أمرها أشهرا ثم خمدت .

وذكر الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (ج ٦ ص ٢٦٠) عن أبى شامة نحو ما ذكره الحافظ ابن حجر . إلى أن قال : وقد قال قائلهم فى ذلك :

يا كاشف الضر صفحا عن جرائمنا ... فقد أحاطت بنا يا رب بأساء
نشكو إليك خطوبا لا نطيق لها ... حملا ونحن بها حقا أحقاء
زلزال تخشع الصم الصلاد لها ... وكيف تقوى على الزلزال صماء
أقام سبعا يرج الأرض فانصدعت ... عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجرى فوقه سفن ... من الهضاب لها فى الأرض إرساء
يرى لها شرر كالقصر طائشة ... كأنها دية تنصب هطلاء
تشق منها قلوب الصخر إن زفرت ... رعبا وترعد مثل الشهب أضواء
منها تكاثف فى الجو الدخان إلى ... أن عادت الشمس منه وهى دهماء

قد أثرت سعفة فى البدر لفحتها فليلة التمّ بعد النور ليلاء
فيالها آية من معجزات رسو ل الله يعقلها القوم الألباء

قال ومما قيل فى هذه النار مع غرق بغداد فى هذه السنة :

سبحان من أصبحت مشيئته جارية فى الورى بمقدار
أغرق بغداد بالمياه كما أحرق أرض الحجاز بالنار

اهـ

ومنها : الإخبار بأن أرض العرب ستعود مروجا وأنهارا

قال مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ٧٠١) : وحدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا يعقوب وهو ابن عبد الرحمن القارى ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ، ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله ، فلا يجد أحدا يقبلها منه ، وحتى تعود[1] أرض العرب مروجا وأنهارا » .

إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن أمور ستقع من أمته فوقعت

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٢ ص ٣٣٨) : ثنا يونس وسريج قالا : ثنا فليح ، عن سعيد بن عبيد بن السباق ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « قبل الساعة سنوات خداعة يكذب فيها الصادق ، ويصدق فيها الكاذب ، ويخون فيها الأمين ، ويؤتمن فيها الخائن ، وينطق فيها الرويبضة » . قال سريج ونطق فيها الرويبضة .

---

(١) الذى قد وقع الآن وقوع أرض العرب مروجا وأنهارا .

الحديث حسن لغيره لأن فليحا وهو ابن سليمان صدوق كثير الخطأ لكنه سيأتى من حديث أنس إن شاء الله .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ ص ٢٢٠) : ثنا أبو جعفر المدائنى وهو محمد بن المنكدر ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن أمام الدجال سنين خداعة يكذب فيها الصادق ، ويصدق فيها الكاذب ، ويخون فيها الأمين ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويتكلم فيها الرويبضة » قيل : وما الرويبضة ؟ « قال الفويسق يتكلم فى أمر العامة » .

ثنا عثمان بن أبى شيبة قال أبو عبد الرحمن (وهو عبد الله بن الإمام أحمد) وسمعته أنا من عثمان قال : حدثنى عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن دينار قال : سمعت أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إن بين يدى الساعة سنين » . فذكر الحديث حديث حسن ومحمد بن إسحاق وإن كان مدلسا . ولم يصرح بالتحديث عن عبدالله بن دينار ، فقد صرح به عند البزار كما فى مجمع الزوائد (ج ٧ ص ٢٨٤) وقد تقدم من حديث أبى هريرة فيتقوى به حديث أنس ، ويرتقى إلى الصحيح لغيره .

ومنها : الإخبار أنه سيأتى زمان لا يدرى القاتل فى أى شىء قتل ، ولا يدرى المقتول على أى شىء قتل

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ٢٢٣١) : وحدثنا ابن أبى عمر المكى ، حدثنا مروان ، عن يزيد ـ وهو ابن كيسان ـ عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « والذى نفسى بيده ليأتين على الناس زمان لا يدرى القاتل فى أى شىء قتل ، ولا يدرى المقتول على أى شىء قتل » .

وحدثنا عبد الله بن عمر بن أبان ، وواصل بن عبد الأعلى قالا : حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبى إسماعيل الأسلمى ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لا يدرى القاتل فيما قتل ، ولا المقتول فيما قتل » فقيل : كيف يكون ذلك ؟ قال : « الهرج ، القاتل والمقتول فى النار » .

وفى رواية ابن أبان قال : هو يزيد بن كيسان عن أبى إسماعيل ، لم يذكر الأسلمى .

وقد وقع هذا فأخبرنى من أثق به أنه لمَّا وقعت فتنة عدن ، التى دمر الله عليهم بها ، أن بعض الشباب ، وهم فى حال القتال ، يقول بعضهم لبعض : مع من نحن ، وأن بعضهم أصيب برصاصة فتساحب على بطنه حتى وصل إلى جماعة ، فإذا هو يقول : أين إسرائيل ؟ ، ذلك لأن الحزب الشيوعى ، لعنه الله ، لما رأى أنه قد أحيط به ، كذب على الجنود وقال : إسرائيل احتلت البلاد ، والحمد لله لم تزل الشيوعية فى نكبة بعد تلك الوقعة .

ومنها : الإخبار عن دعاة من العرب يدعون إلى النار

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦١٥) : حدثنا يحيى بن موسى ، حدثنا الوليد قال : حدثنى ابن جابر ، قال : حدثنى بسر بن عبيد الله الحضرمى قال : حدثنى أبو إدريس الخولانى أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ؛ مخافة أن يدركنى ، فقلت : يا رسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « نعم » . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : « نعم ، وفيه دخن » . قلت :

وما دخنه ؟ قال : « قوم يهدون بغير هديى ، تعرف منهم ، وتنكر » . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : « نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها » قلت : يا رسول الله ، صفهم لنا ، فقال : « هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا » . قلت : فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ، ولا إمام ؟ قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ؛ ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك » .

حدثنا محمد بن المثنى قال : حدثنى يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل ، حدثنى قيس ، عن حذيفة رضى الله عنه . قال : تعلم أصحابى الخير وتعلمت الشر . وأخرجه مسلم (ج ٣ ص ١٤٧٥) .

فدعاة العروبة ، والقومية ، والبعثية ، والناصرية ، من دعاة النار بل ومن العرب من يدعو إلى الشيوعية كما فى عدن ، وغيرها من البلاد العربية ، فأولئكم من دعاة النار .

ومنها : الإخبار عن التباهى فى المساجد

قال الإمام أبو داود (ج ٢ ص ١٨) : حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أنس ، وقتادة ، عن أنس ، أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المسجد » .

حديث صحيح ، رجاله رجال الصحيح ، إلا شيخ أبى داود وهو ثقة .

وقد وقع ما أخبر به النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولقد أحسن الشيخ محمد بن سالم البيحانى إذ يقول :

(١) أما المساجد فهى اليوم عامرة كأنها من قصور الفرس والروم

(٢) ترى على الباب والمحراب زخرفة تلهيك عن كل منطوق ومفهوم
(٣) ولا يصلى بها إلا مؤذنها أو الإمام ولكن دُون مأمـــوم
(٤) وإن رأيْت صفوفا فى مساجدنا فمـــن فـــقير ومسكين ومحروم

هذا ما عبر به فى عصره رحمه الله ، وقد رأينا هذا وشاهدناه ، أما الآن فالحمد لله إننا نرى الشباب يملأون المساجد ، ولو سلموا من بعض الملهيات ، كالكرة ، والتليفزيون ، وغيرها من الألاعيب ، وعندنا باليمن زيادة على هذا : الشجرة الأثيمة وهى شجرة القات ، عجل الله بزوالها ، لو سلم الشباب من هذه لرأيت المساجد مملوءة .

ومنها : الإخبار بأنه لا يأتى زمان إلَّا والذى بعده شر منه

قال البخارى رحمه الله (ج ١٣ ص ١٩) : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن الزبير بن عدى قال : أتينا أنس بن مالك ، فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج ، فقال : اصبروا فإنه لا يأتى عليكم زمان إلا والذى بعده أشر منه ، حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وهـذا العموم مخصوص بزمن عمر بن عبد العزيز وبزمن المهدى وما شابههما . والله أعلم .

فعلى هذا فلا مجال لبعض المخذولين ، الذين يظنون أنهم يحسنون صنعا ؛ لا مجال لهم للطعن فى هذا الحديث ؛ فهو صحيح من قبل أن يُخلقوا ، ومن بعد ، والحمد لله .

ومنها : الإخبار بأن القوى يأكل الضعيف

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٦ ص ٨١) : ثنا هاشم قال : ثنا إسحاق

ابن سعيد ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهو يقول : « يا عائشة قومك أسرع أمتى بى لحاقا » قالت : فلما جلس قلت : يا رسول الله جعلنى الله فداك ، لقد دخلت وأنت تقول كلاما زعرنى قال : « وما هو » قالت : « تزعم أن قومى أسرع أمتك بك لحاقا ؟ » قال : « نعم » . قالت : ومم ذاك ؟ قال : « تستحليهم المنايا ، وتنفس عليهم أمتهم » قالت : فقلت : فكيف الناس بعد ذلك ، أو عند ذلك قال : « دبى يأكل شداده ضعافه ، حتى تقوم عليهم الساعة » .

قال أبو عبد الرحمن[1] : فسره رجل : هو الجنادب التى لم تنبت أجنحتها .

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين رحمهما الله وإسحاق بن سعيد هو إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص كما جاء فى مسند أحمد ج ٦ ص ٩٠ ، وهو وأبوه من رجال الشيخين[2] .

ومنها : الإخبار بأن عرى الإسلام ستنتقض عروة عروة

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ٢٣٢) : حدثنا هيثم بن خارجة ، ثنا ضمرة[3] ، عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى ، عن أبى فيروز الدجلى[4] ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لينقضن

---

(١) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله .

(٢) وهذا وقع كما أخبر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ فالدول القوية تأكل الدول الضعيفة ، وتمتص خيراتها ، والدول الضعيفة تأكل شعوبها ، وتمتص خيراتها ، وأفراد المجتمع كما قيل : إن كنت ذئبا وإلّا أكلتك الذئاب ، ولن يحفظ لنا دماءنا ، وأموالنا ، وأعراضنا إلا الله ، ثم الإسلام .

(٣) هو ابن ربيعة .

(٤) هو عبد الله وليس بأخيه الضحاك .

الإسلام عروة عروة كما ينقض الحبل قوة قوة »[1] .

حديث صحيح رجاله ثقات .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٥ ص ٢٥١) : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنى عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله ، أن سليمان بن حبيب حدثهم ، عن أبى أمامة الباهلى ، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لينقضن عرا الإسلام ، عروة ، عروة ؛ فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة » .

حديث حسن ، وعبد العزيز بن إسماعيل : قال أبو حاتم : ليس به بأس ، كما فى تعجيل المنفعة .

وهذا وقع كما أخبر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ فقد طغت القوانين الوضعية ، والأسلاف ، والأعراف ، على شرع الله واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ . من أجل هذا فتحت عليهم الفتن ، من كل حدب وصوب ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب ﴾ .

وعسى أن يعتبر حكام المسلمين بما مضى ، ويرجعوا إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، اللذين فيهما الهدى ، والخير ، والسعادة ، والأمن ، والاطمئنان وفيما عداهما الشقاوة ، والخوف ، والقلق ، والإزعاج : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ .

---

(١) القوة : الطاقة من طاقات الحبل ، والجمع قوى . ا هـ نهاية .

ومنها : إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم بكثرة الزلازل

قال الإمام البخارى رحمه الله (ج ٢ ص ٥٢١) : حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب قال : أخبرنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج – وهو القتل القتل – حتى يكثر فيكم المال ، فيفيض » .

قال الدارمى رحمه الله (ج ١ ص ٢٩) : حدثنا محمد بن المبارك ، ثنا معاوية بن يحيى ، ثنا أرطأة بن المنذر ، عن ضمرة بن حبيب قال : سمعت سلمة السكونى ، وقال غير محمد : سلمة السكونى قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ قال قائل : يا رسول الله هل أتيت بطعام من السماء ؟ قال : « نعم أتيت بطعام » قال : يا نبى الله ، هل كان فيه من فضل ؟ قال : « نعم » قال : فما فعل به ؟ قال : « رفع إلى السماء ، وقد أوحى إلى أنى غير لابث فيكم إلا قليلا ، ثم تلبثون حتى تقولوا : متى متى ، ثم تأتونى أفنادا ، يفنى بعضكم بعضا بين يدى الساعة ، موتان شديد ، وبعده سنوات الزلازل » .

هذا حديث حسن .

وقد ذكر الحافظ ابن الجوزى رحمه الله فى كتابه المدهش كثيرا من الزلزال الذى وقع بعد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وحدث بعد الجوزى كثير أيضا ، وكثر الزلزال فى عصرنا هذا ، ولكن أعداء الإسلام يحاولون أن يصرفوا المسلمين عن العبر ، فذاك يسميه بركان وذاك يسميه حوادث طبيعية ، ورب العزة يقول فى كتابه الكريم : ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ﴾ .

الإخبار بأن جماعة من أهل الجنة ؛ فلم ينقل أنهم غيروا ، أو بدلوا

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦٢٠) : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا أزهر بن سعد ، حدثنا ابن عون قال : أنبأنى موسى بن أنس ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال رجل : يا رسول الله أنا أعلم لك علمه ، فأتاه ، فوجده جالسا فى بيته ، منكسا رأسه ، فقال : ما شأنك ؟ فقال : شر ؛ كان يرفع صوته فوق صوت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقد حبط عمله ، وهو من أهل الأرض[1] ، فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا ، فقال موسى ابن أنس : فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة . فقال : « اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة »[2] .

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ٢١) : حدثنا محمد بن مسكين أبو الحسن ، حدثنا يحيى بن حسان ، حدثنا سليمان ، عن شريك بن أبى نمر ، عن سعيد بن المسيب قال : أخبرنى أبو موسى الأشعرى أنه توضأ فى بيته ، ثم خرج فقلت : لألزمن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولأكونن معه يومى هذا ، قال : فجاء المسجد ، فسأل عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالوا : خرج ووجه هٰهنا ، فخرجت على إثره أسأل عنه ، حتى دخل بئر أريس ، فجلست عند الباب ، وبابها من جريد ، حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حاجته فتوضأ ، فقمت إليه ، فإذا هو

---

(١) كذا فى الطبعة السلفية ، والطبعة الحلبية مع الفتح ، وفى بعض طرق الحديث أنه قال : « وهو من أهل النار » .

(٢) قتل ثابت بن قيس رضى الله عنه يوم اليمامة شهيدا ، كما فى البداية والنهاية (ج ٦ ص ٣٣٩) .

جالس على بئر أريس ، وتوسط قفها ، وكشف عن ساقيه ، ودلاهما فى البئر ، فسلمت عليه ، ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت : لأكونن بواب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اليوم ، فجاء أبو بكر فدفع الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال أبو بكر . فقلت : على رسلك ، ثم ذهبت فقلت : يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن ، فقال : « ائذن له ، وبشره بالجنة » فأقبلت حتى قلت لأبى بكر : ادخل ، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يبشرك بالجنة ، فدخل أبو بكر ، فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم معه فى القف ، ودلى رجليه فى البئر ، كما صنع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت ، فجلست ، وقد تركت أخى يتوضأ ، ويلحقنى ، فقلت : إن يرد الله بفلان خيرا ـ يريد أخاه ـ يأت به ، فإذا إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب ، فقلت : على رسلك ، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسلمت عليه ، فقلت : هذا عمر بن الخطاب يستأذن ، فقال : « ائذن له ، وبشره بالجنة » فجئت فقلت : ادخل ، وبشرك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالجنة ، فدخل ، فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى القف عن يساره ، ودلى رجليه فى البئر ، ثم رجعت ، فجلست فقلت : إن يرد الله بفلان خيرا يأت به ، فجاء إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان . فقلت : على رسلك ، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخبرته ، فقال : « ائذن له ، وبشره بالجنة على بلوى تصيبه » ، فجئته فقلت له : ادخل ، وبشرك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالجنة على بلوى تصيبك ، فدخل ، فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر . قال شريك بن عبد الله : قال سعيد بن المسيب : فأولتها قبورهم . أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٨٦٧) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ٤٠) : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا

عبد العزيز بن الماجشون ، حدثنا محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « رأيتنى دخلت الجنة ، فإذا أنا بالرميصاء ، امرأة أبى طلحة ،وسمعت خشفة فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا بلال ورأيت قصرا بفنائه جارية ، فقلت لمن هذا ؟ فقال لعمر ، فأردت أن أدخله فأنظر إليه ، فذكرت غيرتك ، فقال عمر : بأبى وأمى يا رسول الله ، أعليك أغار ؟ » . أخرجه مسلم فى مناقب عمر (ج ٤ ص ١٨٦٣) ما يختص بعمر .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٩٠٨) : وحدثنا ابن أبى عمر ، حدثنا بشر ، يعنى ابن السرى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . قال : « دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت : من هذا ؟ قالوا : هذه الغميصاء بنت ملحان ، أم أنس بن مالك » .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٩٠٨) : حدثنى أبو جعفر ، محمد ابن الفرج ،حدثنا زيد بن الحباب ، أخبرنى عبد العزيز بن أبى سلمة ، أخبرنا محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « أريت الجنة فرأيت امرأة أبى طلحة ، ثم سمعت خشخشة أمامى ، فإذا بلال » .

ثم رأيت ابن أبى حاتم فى العلل ج ٢ ص ٣٩٦ يقول : إنه سأل أباه عن هذا الحديث فقال : روى هذا الحديث سعيد بن سملة بن أبى الحسام المدينى ، عن بسر بن سعيد عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

مرسل وقال هو الصحيح .

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ٤٠) : حدثنا سعيد بن أبى مريم ، أخبرنا الليث قال : حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرنى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله

عليه وعلى آله وسلم إذ قال : « بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرته ، فوليت مدبرا ، فبكى عمر ، وقال : أعليك أغار يا رسول الله » . أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٨٦٣) .

قال الإمام محمد بن حبان رحمه الله ، كما فى الموارد (ص ٥٣٧) : أخبرنا أحمد بن على بن المثنى ، حدثنا أبو نصر التمار[1] ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبى عمران الجونى ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقالوا لفتى من قريش ، فظننت أنه لى ، فقلت من هو ؟ قالوا : عمر بن الخطاب » .

« يا أبا حفص لولا ما أعلم من غيرتك لدخلته » . فقال : يا رسول الله من كنت أغار عليه فإنى لن أغار عليك .

هذا حديث صحيح .

قال الترمذى رحمه الله (ج ١٠ ص ١٧٤) : حدثنا الحسين بن حريث أبو عمار المروزى ، أخبرنا على بن حسين واقد قال : حدثنى أبى قال : حدثنى عبد الله بن بريدة قال : حدثنى أبى بريدة قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فدعا بلالا ، فقال : « يا بلال بم سبقتنى إلى الجنة ؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامى . دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامى ، فأتيت على قصر مربع ، مشرق ، من ذهب ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من العرب . فقلت : أنا عربى ، لمن

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز ثقة .

هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من قريش . فقلت أنا قرشى ، لمن هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . فقلت : أنا محمد ، لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب » فقال بلال : يا رسول الله ، ما أذنت قط إلا صليت ركعتين ، وما أصابنى حدث قط إلا توضأت عندها ، ورأيت أن لله على ركعتين . فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « بهما » .

إلى أن قال الترمذى : هذا حديث حسن ، صحيح ، غريب ، ومعنى هذا الحديث : أنى دخلت الجنة البارحة ، يعنى رأيت فى المنام كأنى دخلت الجنة ، هكذا روى فى بعض الحديث .

ويروى عن ابن عباس أنه قال : رؤيا الأنبياء وحى ا هـ .

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ٢٢) : حدثنى محمد بن بشار ، حدثنا يحيى ، عن سعيد ، عن قتادة أن أنس بن مالك ، رضى الله عنه حدثهم أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم صعد أحدا ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فرجف بهم ، فقال : « أثبت أحد ، فإنما[1] عليك نبى وصديق وشهيدان » .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٨٨٠) : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد العزيز ، يعنى ابن محمد ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان على حراء ، هو وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اهدأ فما عليك إلا نبى ، أو صديق ، أو شهيد » .

حدثنا عبيد الله بن محمد بن يزيد بن خنيس ، وأحمد بن يوسف الأزدى ،

---

(١) فى الطبعة السلفية : فإن عليك نبى .. إلخ والصحيح ما أثبتناه ، كما فى الطبعة الحلبية (ج ٨ ص ٣٨) .

قالا : حدثنا إسماعيل بن أبى أويس ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، كان على جبل حراء ، فتحرك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اسكن حراء ! فما عليك إلا نبى ، أو صديق ، أو شهيد » ، وعليه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبى وقاص ، رضى الله عنهم .

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ١٢٨) : حدثنا عبد الله بن يوسف قال : سمعت مالكا يحدث عن أبى النضر ، مولى عمر بن عبيد الله ، عن عامر ابن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه قال : ما سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول لأحد يمشى على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام . قال : وفيه نزلت هذه الآية : ﴿ وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله ﴾ الآية . قال : لا أدرى[1] قال مالك الآية أو فى الحديث .

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ١٢٩) : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أزهر السمان ، عن ابن عون ، عن محمد ، عن قيس بن عباد ، قال : كنت جالسا فى مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع ، فقالوا : هذا رجل من أهل الجنة ، فصلى ركعتين تجوز فيهما ، ثم خرج وتبعته ، فقلت : إنك حين دخلت المسجد قالوا : هذا رجل من أهل الجنة ، قال : والله ما ينبغى لأحد أن يقول ما لا يعلم ، وسأحدثك لما ذاك ؛ رأيت رؤيا على عهد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقصصتها عليه ، ورأيت كأنى فى روضة ذكر ، من سعتها ، وخضرتها ، وسطها عمود من حديد ، أسفله

---

(١) القائل لا أدرى هو : عبد الله بن يوسف ، كما فى الفتح ، وهذا التردد يكون قادحا فى ثبوت نزول الآية فى عبد الله بن سلام .

فى الأرض ، وأعلاه فى السماء ، فى أعلاه عروة فقيل لى : ارقه . قلت : لا أستطيع ، فأتانى منصف ، فرفع ثيابى من خلفى ، فرقيت حتى كنت فى أعلاه ، فأخذت فى العروة فقيل لى : استمسك ، فاستيقظت ، وإنها لفى يدى ، فقصصتها على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : تلك الروضة : الإسلام ، وذلك العمود : عمود الإسلام ، وتلك العروة : عروة الوثقى ، فأنت على الإسلام حتى تموت ، وذلك الرجل عبد الله بن سلام .

- وقال لى خليفة : حدثنا معاذ ، حدثنا ابن عون ، عن محمد ، حدثنا قيس ابن عباد ، عن ابن سلام قال : وصيف بدل نصيف وأخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٩٣١) .

قال الترمذى رحمه الله (ج ١٠ ص ٣٠٦) : حدثنا قتيبة ، أخبرنا الليث ، عن معاوية بن صالح ، عن ربيعة بن يزيد ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن يزيد بن عميرة قال : لما حضر معاذ بن جبل الموت قيل له : يا أبا عبد الرحمن أوصنا . قال : أجلسونى ، فقال : إن العلم والإيمان مكانهما ، من ابتغاهما ، وجدهما ، يقول ذلك ثلاث مرات ، والتمسوا العلم عند أربعة رهط : عند عويمر أبى الدرداء ، وعند سلمان الفارسى ، وعند عبد الله بن مسعود ، وعند عبد الله بن سلام ، الذى كان يهوديا فأسلم ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « إنه عاشر عشرة فى الجنة » .

وفى الباب عن سعد هذا حديث حسن غريب .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص ١٦٩) : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنى مالك ، يعنى ابن أنس ، عن سالم أبى النضر ، عن عامر بن سعد بن أبى وقاص قال : سمعت أبى يقول : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول لحى من الناس يمشى أنه فى الجنة إلا لعبد الله بن سلام .

حديث صحيح على شرط مسلم .

وقد تقدم أنه أخرجه البخارى .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص ١٦٩) : ثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة أنبأنا عاصم بن بهدلة ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أتى بقصعة ، فأكل منها ، ففضلت فضلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يجىء رجل من هذا الفج ، من أهل الجنة ، يأكل هذه الفضلة . قال سعد : وكنت تركت أخى عميرا يتوضأ ، قال : فقلت : هو عمير . قال : فجاء عبد الله بن سلام فأكلها .

هذا حديث حسن وقال الحاكم (ج ٣ ص ٤١٦) صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٩٣١) : حدثنا قتيبة بن سعيد وإسحاق بن إبراهيم ، واللفظ لقتيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن سليمان بن مسهر ، عن خرشة بن الحر قال : كنت جالسا فى حلقة فى مسجد المدينة قال : وفيها شيخ حسن الهيئة وهو عبد الله بن سلام قال : فجعل يحدثهم حديثا حسنا . قال : فلما قام قال القوم : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا . قال : فقلت والله لأتبعنه فلأعلمن مكان بيته . قال فتبعته فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة . ثم دخل منزله . قال فاستأذنت عليه فأذن لى ، فقال ما حاجتك يا ابن أخى ؟ قال : فقلت له سمعت القوم يقولون لك لما قمت : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا ، فأعجبنى أن أكون معك قال : الله أعلم بأهل الجنة ، وسأحدثك مم قالوا ذاك إنى بينما أنا نائم إذ أتانى رجل فقال لى : قم . فأخذ بيدى فانطلقت معه قال : فإذا أنا بجواد عن شمالى . قال فأخذت لآخذ فيها فقال لى : لا تأخذ فيها فإنها طرق أصحاب الشمال . قال : فإذا جواد منهج على يمينى فقال لى : خذ هٰهنا فأتى بى جبلا فقال لى : اصعد . قال فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على إستى . قال حتى فعلت ذلك مرارا . قال

ثم انطلق بى حتى أتى بى عمودا رأسه فى السماء وأسفله فى الأرض فى أعلاه حلقة فقال لى : اصعد فوق هذا . فقلت : كيف أصعد هذا ؟ قال : فأخذ بيدى فزجل . قال : فإذا أنا متعلق بالحلقة . قال ثم ضرب العمود فخر . قال وبقيت متعلقا بالحلقة حتى أصبحت قال : فأتيت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقصصتها عليه . فقال أما الطرق التى رأيت عن يمينك فهى طرق أصحاب اليمين ، وأما الجبل فهو منزل الشهداء ، ولن تناله وأما العمود فهو عمود الإسلام ، وأما العروة فهى عروة الإسلام ، ولن تزال متمسكا بها حتى تموت .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٠ ص ١٥٥) : حدثنا عمران بن ميسرة ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا حصين عن عامر[1] ، عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : لا رقية إلا من عين أو حمة . فذكرته لسعيد بن جبير فقال : حدثنا ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « عرضت على الأمم ، فجعل النبى والنبيان يمرون معهم الرهط ، والنبى ليس معه أحد ، حتى رفع لى سواد عظيم ، قلت ما هذا ؟ أمتى هذه ؟ قيل : بل هذا موسى وقومه ، قيل : انظر إلى الأفق ، فإذا سواد يملأ الأفق ، ثم قيل لى : انظر هـٰهنا وهـٰهنا فى آفاق السماء ، فإذا سواد قد ملأ الأفق . قيل : هذه أمتك ، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب ثم دخل ولم يبين لهم ، فأفاض القوم وقالوا : نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم ، أو أولادنا الذين ولدوا فى الإسلام ، فإنا ولدنا فى الجاهلية ، فبلغ النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فخرج فقال : هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، ولا يكتوون ، وعلى ربهم يتوكلون . فقال عكاشة بن محصن : أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال : نعم . فقام آخر فقال : أمنهم أنا ؟ قال : سبقك بها عكاشة » . وأخرجه مسلم (ج ١ ص ١٩٩) .

---

(١) قال الحافظ فى الفتح : ثم وجدت فى نسخة الصغانى : قال أبو عبد الله هو المصنف : إنما أردنا من هذا حديث ابن عباس والشعبى عن عمران مرسل .

قال البخارى رحمه الله (ج ١٠ ص ٢٧٦) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهرى قال : حدثنى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « يدخل الجنة من أمتى زمرة ، هى سبعون ألفا تضىء وجوههم إضاءة القمر » فقام عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه قال : ادع الله لى يا رسول الله أن يجعلنى منهم ، فقال : « اللهم اجعله منهم » ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، ادع الله لى أن يجعلنى منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « سبقك بها عكاشة » . وأخرجه مسلم (ج ١ ص ١٩٧) .

قال أبو داود الطيالسى رحمه الله كما فى ترتيب المسند (ج ٢ ص ١٥١) : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « أريت الأمم بالموسم ، فرأيت أمتى قد ملأوا السهل والجبل ، فأعجبتنى كثرتهم وهيأتهم ، فقيل : أرضيت قلت : نعم . قال : ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب . لا يكتوون ، ولا يتطيرون ، ولا يسترقون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن الأسدى فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « سبقك بها عكاشة » .

هذا حديث حسن .

قال أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص ٤٠١) : حدثنا حفص بن عمر النمرى ، أخبرنا شعبة ، عن الحر بن الصباح ، عن عبد الرحمن بن الأخنس أنه كان فى المسجد فذكر رجل عليا ، فقام سعيد بن زيد فقال : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنى سمعته وهو يقول : « عشرة فى الجنة ، النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الجنة ، وأبو بكر فى الجنة ،

وعمر فى الجنة ، وعثمان فى الجنة ، وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة ، والزبير ابن العوام فى الجنة ، وسعد بن مالك فى الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة ، ولو شئت لسميت العاشر » . قال فقالوا من هو ؟ قال هو سعيد بن زيد .

عبد الرحمن بن الأخنس مستور الحال ، لكنه قد تابعه رباح بن الحارث ، وهو مستور الحال ، فالحديث حسن ، بل قد رواه جماعة عن سعيد بن زيد ، كما ذكره الحافظ الذهبى فى الميزان فى ترجمة عبد الله بن ظالم .

قال أبو داود رحمه الله (ج ١٢ ص ٤٠٢) : حدثنا أبو كامل ، أخبرنا عبد الواحد بن زياد ، أخبرنا صدقة بن المثنى ، حدثنى جدى رباح بن الحارث قال : كنت قاعدا عند فلان فى مسجد الكوفة وعنده أهل الكوفة ، فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، فرحب به وحياه وأقعده عند رجله على السرير ، فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة ، فاستقبله فسب وسب فقال سعيد : من سب هذا الرجل ؟ قال : يسب عليا . قال : لا أرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسبون عندك ، ثم لا تنكر ولا تغير أنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول وإنى لغنى أن أقول عليه ما لم يقل فيسألنى عنه غدا إذا لقيته : « أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة » وساق معناه ثم قال لمشهد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمّر عمر نوح .

قال الإمام الترمذى رحمه الله (ج ١٠ ص ٢٥٠) : أخبرنا أبو مصعب قراءة ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن عبد الرحمن بن حميد ، عن أبيه ، عن سعيد بن زيد ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم نحوه[1] ولم يذكر

---

(١) أى نحو حديث من طريق عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف فى أن العشرة فى الجنة .

فيه عن عبد الرحمن بن عوف ، وقد روى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه ، عن سعيد بن زيد ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم نحو هذا وهذا أصح من الحديث الأول[1] .

قال الترمذى رحمه الله (ج ١٠ ص ٢٥٠) : حدثنا صالح بن مسمار المروزى ، أخبرنا ابن أبى فديك ، عن موسى بن يعقوب ، عن عمر بن سعيد ، عن عبد الرحمن بن حميد ، عن أبيه أن سعيد بن زيد حدثه فى نفر أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « عشرة فى الجنة : أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعلى ، وعثمان ، والزبير ، وطلحة ، وعبد الرحمن ، وأبو وأبو عبيدة ، وسعد بن أبى وقاص » قال فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر ، فقال القوم ننشدك الله يا أبا الأعور مَن العاشر قال : نشدتمونى بالله . أبو الأعور فى الجنة قال هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . وسمعت محمدا يقول هذا أصح من الحديث الأول .

قال أبو عبد الرحمن موسى بن يعقوب هو الزمعى ، وهو لين الحديث لكنه قد توبع كما ترى .

قال الترمذى رحمه الله (ج ١٠ ص ٢٨٤) : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ، وإسحاق بن منصور قالا : أخبرنا محمد بن يوسف ، عن إسرائيل ، عن ميسرة بن حبيب ، عن المنهال بن عمرو ، عن زر بن حبيش ، عن حذيفة قال : سألتنى أمى متى عهدك تعنى بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقلت : مالى به عهد منذ كذا وكذا ، فنالت منى فقلت لها : دعينى آتى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأصلى معه المغرب وأسأله أن يستغفر لى ولك ، فأتيت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فصليت معه المغرب ، فصلى حتى

---

(١) من حديث عبد الرحمن بن عوف .

صلى العشاء ، ثم انفتل فتبعته فسمع صوتى فقال : « من هذا ؟ حذيفة ؟ » قلت نعم . قال : « ما حاجتك غفر الله لك ولأمك ؟ » قال : إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم على ويبشرنى بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة » .

هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث إسرائيل .

قال الإمام محمد بن حبان رحمه الله كما فى الموارد (ص ٥٥١) : أخبرنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف[1] ، حدثنا زياد بن أيوب ، حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا الحكم بن عبد الرحمن بن أبى نعم ، حدثنى أبى عن أبى سعيد الخدرى ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، إلا ابنى الخالة ؛ عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما » .

هذا حديث حسن .

الحكم بن عبد الرحمن قال إسحاق بن منصور عن يحيى ضعيف وقال أبو حاتم : صالح الحديث .

ثم قال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله : أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا زيد بن الحباب عن إسرائيل ، عن ميسرة النهدى[2] ، عن المنهال بن عمرو ، عن زر بن حبيش عن حذيفة قال : أتيت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فصليت معه المغرب ثم قام يصلى حتى صلى العشاء ثم خرج فاتبعته فقال : « عرض لى ملك استأذن ربه أن يسلم على ويبشرنى أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

---

(١) هو الشهير بأبى العباس السراج النيسابورى حافظ كبير له ترجمة فى تذكرة الحفاظ .
(٢) هو ميسرة بن حبيب وثقه أحمد وابن معين ، والنسائى كما فى تهذيب التهذيب .

هذا حديث حسن وقال الحافظ الذهبى فى تلخيص المستدرك : قلت صحيح .

فصل : ومن مطابقة الواقع للقدر قوله تعالى فى شأن يوسف عليه السلام : ﴿ وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ .

ثم قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : ﴿ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون * قالوا أئنك لأنت يوسُفُ قال أنا يوسف وهذا أخى قد منّ الله علينا إنه من يتقِ ويصبر فإنَّ الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ . ومنه أيضا قوله تعالى : ﴿ وأوحَينَا إلى أُم موسى أن أرضعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه فى اليم ولا تخافِى ولا تحزنى إنا رادوهُ إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ . وأعلم أن باب مطابقة الواقع للقدر باب واسع يدخل فيه ما أخبر الله به فى كتابه فوقع نحوه قوله تعالى : ﴿ الـم * غلبت الروم * فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * فى بضع سنين ﴾ .

قال الإمام الترمذى رحمه الله (ج ٩ ص ٥١) : حدثنا الحسين بن حريت ، أخبرنا معاوية بن عمرو ، عن أبى إسحاق الفزارى ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ الـم * غلبت الروم * فى أدنى الأرض ﴾ قال : غلبت وغلبت . قال : كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم ؛ لأنهم وإياهم أهل الأوثان ، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل الكتاب ، فذكروه لأبى بكر فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « أما إنهم سيغلبون » فذكره أبو بكر لهم فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلا ، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا ، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا ،

فجعل أجلا خمس سنين فلم يظهروا ، فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « ألا جعلته إلى دون قال : أراه العشر قال : قال سعيد والبضع ما دون العشر قال : ثم ظهرت الروم بعد . قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ ألم * غلبت الروم ﴾ إلى قوله : ﴿ ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ قال سفيان سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر .

هذا حديث حسن صحيح غريب . إنما نعرفه من حديث سفيان الثورى عن حبيب ابن أبى عمرة .

أخبرنا أبو موسى محمد المثنى ، أخبرنا محمد بن خالد بن عتمة ، حدثنى عبد الله بن عبد الرحمن الجمحى ، حدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لأبى بكر فى مناجبة : « ﴿ الـم * غلبت الروم ﴾ ألا احتطت يا أبا بكر ، فإن البضع ما بين ثلاث إلى تسع » .

هذا حديث غريب حسن من هذا الوجه . من حديث الزهرى ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس .

حدثنا محمد بن إسماعيل ، أخبرنا إسماعيل بن أبى أويس ، حدثنى ابن أبى الزناد عن أبى الزناد عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم الأسلمى[1] قال لما نزلت : ﴿ الـم * غلبت الروم * فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * فى بضع سنين ﴾ فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم ، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم ، لأنهم وإياهم أهل كتاب ، وفى ذلك قول الله تعالى : ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من

---

(١) نيار بن مكرم مختلف فى صحبته ، فإن ثبتت صحبته وإلا فالحديث فى الشواهد كما ترى .

يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ وكانت قريش تحب ظهور فارس ؛ لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان يبعث ، فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر الصديق يصيح فى نواحى مكة ﴿ الـم * غلبت الروم * فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * فى بضع سنين ﴾ قال ناس من قريش لأبى بكر فذلك بيننا وبينكم ، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس فى بضع سنين ، أفلا نراهنك على ذلك قال : بلى . – وذلك قبل تحريم الرهن – فارتهن أبو بكر والمشركون ، وتواضعوا الرهان وقالوا لأبى بكر : كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين ، فسم بيننا وبينك وسطا ننتهى إليه قال فسموا بينهم ست سنين قال : فمضت الست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبى بكر ، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس ، فعاب المسلمون على أبى بكر تسمية ست سنين قال : لأن الله تعالى قال فى بضع سنين قال : وأسلم عند ذلك ناس كثير .

هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد .

وقد أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير (ج ٨ ص ١٣٩) بهذا السند ، وشيخ البخارى إسماعيل متكلم فيه ، ولكن البخارى انتقى من حديثه كما فى مقدمة الفتح .

ويدخل فى هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوارة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾ .

فقد وقع ما بشر به عيسى وهو نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ويدخل فيه ما أخبر به الأنبياء صلوات الله عليهم من هلاك أممهم إذا لم يؤمنوا بهم ، ولو تتبع هذا من القرآن لكان مجلدا ، وكل هذا يزداد به المؤمن إيمانا والحمد لله .

من عجائب قدرة الله الخارقة للعادة

عجائب قدرة الله الخارقة للعادة كثيرة ، وقد اقتصرنا على الواضح منها ، والكتابة فى قدرة الله الخارقة للعادة تغيض كثيرا من الناس : تغيض الشيوعيين الملحدين ، والمستشرقين العلمانيين ، وبعض أذنابهم ممن ينتسب إلى الإسلام ، وقبل أذناب المستشرقين أئمة الاعتزال ، فحنين الجذع ، وانشقاق القمر مما يتنكر لهما بعض أئمة الاعتزال ، ولا تؤمن بذلك ، وزاد عليهم أذناب المستشرقين إنكار إحياء الموتى ، كما فى قصة بقرة بنى إسرائيل ، وقصة عزير ، وقصة طيور إبراهيم ، وغيرها من القصص التى تدل على خوارق العادات ، ونحن نقول لهؤلاء وأولئك : موتوا بغيظكم فأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تؤمن بما جاء فى كتاب الله وبما ثبت فى سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فحنين الجذع وانشقاق القمر ثابتان من قبل أن يخلق إبراهيم النظّام المعتزلى ، ومن قبل أن يخلق جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده المصرى .

وإذا ثبت الحديث وسلم من العلة والشذوذ وجب قبوله ، وقد أغنانا الله عن فلسفة ضلّال الاعتزال وأذنابهم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم بعلماء السنة الذين هم حريصون على البلاغ والبيان وخدمة الدين . والحمد لله .

منها إحياء الموتى

(١) قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفسا فادّارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ .

(٢) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ .

(٣) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يُحيِى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبينَ له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير ﴾ .

(٤) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ .

حديث يتعلق بهذه الآية

قال البخارى رحمه الله (ج ٨ ص ٢٠١) : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهيب ، أخبرنى يونس عن ابن شهاب ، عن أبى سلمة ، وسعيد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ﴿ رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ﴾ . فيه نفى الشك عن إبراهيم عليه السلام .

(٥) وقال سبحانه وتعالى فى صفة عيسى عليه السلام : ﴿ ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن اللهِ وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ .

واعلم أن هذه الآيات قد حرفها محمد عبده المصرى فيما أملاه على محمد رشيد رضا فى كتابه المنار ، وقد نقلنا تحريفاته فى كتابنا : (ردود أهل العلم على الطاعنين فى حديث السحر وبيان بعد محمد رشيد رضا عن السلفية) فكن على حذر من كتب أهل الزيغ والضلال .

(٦) ومما له تعلق بالموضوع قوله تعالى : ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوارة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبيناتِ فقالَ الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين ﴾ .

من عجائب القدرة الإلٰهية كلام الطفل الصغير

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٤٧٦) : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا جرير بن حازم ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى ، وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلى فجاءته أمه فدعته فقال : أجيبها أو أصلى ؟ فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجه المومسات ، وكان جريج فى صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى ، فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقالت : مِن جريج ، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه ، وسبوه ، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال الراعى . قالوا نبنى صومعتك من ذهب ؟ قال : لا إلا من طين . وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بنى إسرائيل فمر رجل راكب ذو شارة فقالت : اللهم اجعل ابنى مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال : اللهم لا تجعلنى مثله ثم أقبل على ثديها

يمصه . قال أبو هريرة : كأنى أنظر إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يمص إصبعه ثم مر بأمة فقالت : اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه فترك ثديها فقال : اللهم اجعلنى مثلها . فقالت : لم ذاك ؟ فقال : « الراكب ، جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون : سرقت زنيت و لم تفعل » . الحديث أخرجه مسلم (ج ٤ ص ١٩٧٦) .

كلام الطفل الصغير الذى لم يبلغ أوان الكلام آية من آيات الله ، وقد ورد به القرآن الكريم ، ففى الآية المتقدمة ﴿ وتكلم الناس فى المهد ﴾ وقال سبحانه وتعالى فى سورة مريم : ﴿ فناداها من تحتها ألّا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا * وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * فكلى واشربى وقرى عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيا * فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئًا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوكِ امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغيا فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا * قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا * وجعلنى مباركًا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدتى و لم يجعلنى جبارا شقيا ﴾ .

الشاة التى ليس فيها حليب يجعل الله فيها حليبا

قال الحاكم رحمه الله (ج ٣ ص ٨) حدثنا أبو بكر بن إسحاق[1] ، ثنا أبو الوليد ، ثنا عبيد الله بن إياد بن لقيط ، ثنا إياد بن لقيط ، عن قيس

---

(١) هو أحمد بن إسحاق النيسابورى ، له ترجمة فى طبقات الشافعية الكبرى (ج ٣ ص ٩) وأثنى عليه الحاكم وغيره خيرا . وشيخه أبو الوليد هو هشام بن عبد الملك الطيالسى .

ابن النعمان قال : لما انطلق النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبو بكر مستخفيين مرا بعبد يرعى غنما ، فاستقياه من اللبن فقال : ما عندى شاة تحلب غير أن ههنا عناقا حملت أول الشتاء وقد أخدجت وما بقى لها لبن فقال : ادع بها فدعا بها ، فاعتقلها النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت قال : وجاء أبو بكر رضى الله عنه بمحجن ، فحلب ، فسقى أبا بكر ثم حلب ، فسقى الراعى، ثم حلب فشرب فقال الراعى : بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط . قال : « أو تراك تكتم على حتى أخبرك ؟ » قال نعم . قال : « فإنى محمد رسول الله » . فقال أنت الذى تزعم قريش أنه صابئ ؟ قال : « إنه ليقولون ذلك » . قال فأشهد أنك نبى وأشهد أن ما جئت به حق وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبى وأنا متبعك . قال : « إنك لا تستطيع ذلك يومك ، فإذا بلغك أنى قد ظهرت فائتنا » .

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقال الحافظ فى الإصابة : أخرجه الطبرانى وسنده صحيح .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص ٣٧٩) : ثنا أبو بكر بن عياش ، حدثنى عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود قال : كنت أرعى غنما لعقبة بن أبى معيط فمر بى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبو بكر فقال : يا غلام هل من لبن ؟ قال : قلت : نعم ولكنى مؤتمن . قال فهل من شاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بشاة فمسح ضرعها ، فنزل لبن فحلبه فى إناء فشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع : « اقلص » فقلص . قال : ثم أتيته بعد هذا فقلت : يا رسول الله علمنى من هذا القول . قال : فمسح رأسى وقال : « يرحمك الله فإنك غليم معلم » .

ثم قال الإمام أحمد رحمه الله : ثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بإسناده . قال : فأتاه أبو بكر بصخرة منقورة فاحتلب فيها ، فشرب وشرب

أبو بكر . وشربت قال : ثم أتيت بعد ذلك قلت علمنى من هذا القرآن . قال : « إنك غلام معلم » . قال : فأخذت من فيه سبعين سورة .

هذا حديث حسن .

حديث المقداد بن الأسود

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى (ج ٣ ص ١٦٢٥) : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا شبابة بن سوار ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن المقداد قال : أقبلت أنا وصاحبان لى وقد ذهبت أسماعنا ، وأبصارنا من الجهد ، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فليس أحد منهم يقبلنا . فأتينا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فانطلق بنا إلى أهله فإذا ثلاثة أعنز فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « احتلبوا هذا اللبن بيننا » قال : فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه ونرفع للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم نصيبه قال : فيجىء من الليل فيسلم تسليما لا يوقظ نائما ، ويسمع اليقظان قال : ثم يأتى المسجد فيصلى ، ثم يأتى شرابه فيشرب ، فأتانى الشيطان ليلة وقد شربت نصيبى فقال : محمد يأتى الأنصار فيتحفونه ويصيب عندهم ما به حاجة إلى هذه الجرعة فأتيتها فشربتها ، فلما أن وغلت فى بطنى وعلمت أنه ليس إليها سبيل قال : ندمنى الشيطان فقال : ويحك ما صنعت أشربت شراب محمد فيجىء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك فتذهب دنياك وآخرتك ، وعلى شملة إذا وضعتها على قدمى خرج رأسى وإذا وضعتها على رأسى خرج قدماى ، وجعل لا يجيئنى النوم وأما صاحباى فناما ولم يصنعا ما صنعت قال : فجاء النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما يسلم ، ثم أتى المسجد فصلى ، ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئا ، فرفع رأسه إلى السماء فقلت : الآن يدعو علىّ فأهلك فقال : « اللهم أطعم من أطعمنى ، وأسق من أسقانى »

قال : فعمدت إلى الشملة فشددتها علىّ وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإذا هى حافلة ، وإذا هنّ حفل كلهن ، فعمدت إلى إناء لآل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه قال : فحلبت فيه حتى علته رغوة فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « أشربتم شرابكم الليلة » قال : قلت : يا رسول الله اشرب فشرب ، ثم ناولنى فقلت : يا رسول الله اشرب فشرب ، ثم ناولنى ، فلما عرفت أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد روى وأصبت دعوته ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض قال : فقال النبى ﷺ : « إحدى سوآتك يا مقداد » فقلت : يا رسول الله كان من أمرى كذا وكذا وفعلت كذا فقال النبى ﷺ : « ما هذه إلا رحمة من الله أفلا كنت آذنتنى فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها » قال : قلت : والذى بعثك بالحق ما أبالى إذا أصبتَها وأصبتُها معك ، من أصابها من الناس » .

وحدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا النضر بن شميل ، حدثنا سليمان بن المغيرة بهذا الإسناد .

فصل
فى رميه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بكف من حصى فى وجوه الكفار وما حصل بسبب ذلك بقدرة الله

قال مسلم رحمه الله (ج ٣ ص ١٣٩٨) : وحدثنى أبو الطاهر أحمد ابن عمرو بن سرح ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال : حدثنى كثير بن عباس بن عبد المطلب قال : قال عباس : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث

ابن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى ، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أكفها إرادة ألا تسرع ، وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أى عباس ناد أصحاب السمرة » فقال عباس وكان رجلا صيتا ، فقلت بأعلى صوتى : أين أصحاب السمرة ؟ قال فوالله لكأن عطفتهم ، حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها فقالوا : يا لبيك يا لبيك . قال فاقتتلوا والكفار . والدعوة فى الأنصار يقولون : يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار . قال : ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث ابن الخزرج فقالوا : يا بنى الحارث بن الخزرج يا بنى الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « هذا حين حمى الوطيس » . قال ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال : « انهزموا ورب محمد » . قال فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى . قال : فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا .

وحدثنا إسحاق بن إبراهيم ، ومحمد بن رافع ، وعبد بن حميد جميعا عن عبد الرزاق ، أخبرنا معمر . عن الزهرى بهذا الإسناد نحوه غير أنه قال : فروة ابن نعامة الجذامى وقال : « انهزموا ورب الكعبة ، انهزموا ورب الكعبة » . وزاد فى الحديث : حتى هزمهم الله . قال وكأنى أنظر إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يركض خلفهم على بغلته .

وحدثنا ابن أبى عمر ، حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى قال : أخبرنى كثير بن العباس عن أبيه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم حنين وساق الحديث . غير أن حديث يونس وحديث معمر أكثر منه وأتم .

قال مسلم رحمه الله (ج ٣ ص ١٤٠٢) : وحدثنا زهير بن حرب ، حدثنا عمر بن يونس الحنفى ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنى إياس بن سلمة ، حدثنى أبى قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حنينا ، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية فاستقبلنى رجل من العدو ، فأرميه بسهم ، فتوارى عنى . فما دريت ما صنع ، ونظرت إلى القوم ، فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى فالتقوا هم وصحابة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فولى صحابة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأرجع منهزما ، وعلى بردتان متزرا بإحداهما ، مرتديا بالأخرى فاستطلق إزارى فجمعتهما جميعا ، ومررت على رسول الله منهزما[1] ، وهو على بغلته الشهباء فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لقد رأى ابن الأكوع فزعا » فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ، ثم استقبل به وجوههم فقال : « شاهت الوجوه » فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة ، فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل ، وقسم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم غنائمهم بين المسلمين .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ١ ص ٣٦٨) : حدثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر ، عن ابن خثيم[2] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أن الملأ من

---

(١) منهزما حال من سلمة بن الأكوع وأما الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإنه لم يفر .
(٢) هو عبد الله بن عثمان بن خثيم من رجال مسلم ، وأخرج له البخارى تعليقا كما فى التقريب .

قريش اجتمعوا فى الحجر ، فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأينا محمدا قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله . قال : فأقبلت فاطمة تبكى حتى دخلت على أبيها فقالت : هؤلاء الملأ من قومك فى الحجر قد تعاهدوا أن لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك . قال : « يا بنية أدنى وضوأ » ، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا : هو هذا فخفضوا أبصارهم وعقروا فى مجالسهم فلم يرفعوا إليه أبصارهم ولم يقم منهم رجل فأقبل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى قام على رءوسهم فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها ، وقال : « شاهت الوجوه » . قال : فما أصابت رجلا منهم حصاة إلا قد قتل يوم بدر كافرا .

هذا حديث حسن .

خضوع الجمادات والشجر والحيوان لله تعالى[1]

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ .

---

(١) وقد تقدم شيء من هذا فى هدايته تعالى الحيوان وهو تابع للهدى والضلال .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾ .

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ٤٢) : حدثنا مسدد حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد بن أبى عروبة وقال لى خليفة : حدثنا محمد بن سواء ، وكهمس بن المنهال . قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : صعد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال : « أثبت أحد فما عليك إلا نبى (أو صديق أو شهيدان) » . ا هـ (أو) هنا للتنويع أو بمعنى الواو ، وقد رواه البخارى كذلك . قال رحمه الله (ج ٧ ص ٥٣) : حدثنا مسدد حدثنا يحيى بن سعيد ، عن قتادة أن أنسا رضى الله عنه حدثهم قال : صعد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال : « اسكن أحد » أظنه ضربه برجله ، « فليس عليك إلا نبى وصديق وشهيدان » .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٥٨٧) : حدثنى محمد بن المثنى ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا . كنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى سفر فقل الماء فقال : « اطلبوا فضلة من ماء » فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده فى الإناء ثم قال : « حى على الطهور المبارك والبركة من الله » فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٥٠٥) : حدثنا إسماعيل بن خليل ، أخبرنا على بن مسهر ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله عنهما . أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم ، فقال بعضهم لبعض : إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه ، فقال واحد منهم : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى أجير عمل لى على فرق من أرز فذهب وتركه وإنى عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أنى اشتريت منه بقرا وأنه أتانى يطلب أجره فقلت له : اعمد إلى تلك البقر فسقها فقال لى : إنما لى عندك فرق من أرز فقلت له : اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة ، فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لى فأبطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلى وعيالى يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ، ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء ، فقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى ابنة عم من أحب الناس إلىّ وأنى راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتنى من نفسها فلما قعدت بين رجليها فقالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا » .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٢ ص ٣٤٨) : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا ليث يعنى ابن سعد ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه ذكر أن

رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار قال ائتنى بشهداء أشهدهم . قال : كفى بالله شهيدا . قال : ائتنى بكفيل . قال : كفى بالله كفيلا . قال : صدقت ، فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه للأجل الذى كان أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها وأدخل فيها ألف دينار وصحيفة معها إلى صاحبها ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر ثم قال : اللهم إنك قد علمت أنى استلفت من فلان ألف دينار فسألنى كفيلا قلت : كفى بالله كفيلا فرضى بك ، وسألنى شهيدا فقلت : كفى بالله شهيدا فرضى بك ، وأنى قد جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه بالذى له فلم أجد مركبا وأنى استودعتكها فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف ينظر وهو فى ذلك يطلب مركبا يخرج إلى بلده . فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا يجىء بماله فإذا بالخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطبا فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذى كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال : والله ما زلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بما لك فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه قال : هل كنت بعثت إلى بشىء ؟ قال : ألم أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل هذا الذى جئت فيه قال فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت به فى الخشبة فانصرف بألفك راشدا .

وأخرجه البخارى (ج ٤ ص ٤٦٩) معلقا فقال : وقال الليث حدثنى جعفر بن ربيعة به .

وقال الحافظ فى الفتح (ج ٤ ص ٤٧٠) قوله : وقال الليث حدثنى جعفر ابن ربيعة الخ : وقع هنا فى نسخة الصنعانى : حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى الليث ، وقد تقدم فى باب التجارة فى البحر أن أبا ذر وأبا الوقت وصلاه فى آخره .

قال البخارى : حدثنى عبد الله بن صالح ، حدثنى الليث به ووصله أبو ذر هنا من روايته ، عن شيخه على بن وصيف ، حدثنا محمد بن غسان ،

حدثنا عمر بن الخطاب السجستانى ، حدثنا عبد الله بن صالح به ، وكذلك وصله بهذا الإسناد فى باب ما يستخرج من البحر من كتاب الزكاة ولم ينفرد عبد الله بن صالح فقد أخرجه الإسماعيلى من طريق عاصم بن على ، وآدم بن أبى إياس ، والنسائى من طريق داود بن منصور كلهم عن الليث .

وأخرجه الإمام أحمد ، عن يونس بن محمد ، عن الليث أيضا ، وله طريق أخرى عن أبى هريرة ، علقها المصنف فى كتاب الاستئذان من طريق عمر ابن أبى سلمة ،عن أبيه ، عن أبى هريرة ووصلها فى الأدب المفرد وابن حبان فى صحيحه من هذا الوجه .

قال مسلم رحمه الله (ج ٤ ص ١٧٨٢) : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا يحيى بن أبى بكير ، عن إبراهيم بن طهمان ، حدثنى سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إنى لأعرفه الآن » .

قال البخارى رحمه الله (ج ٧ ص ١٧١) : حدثنى عبيد الله بن سعيد ، حدثنا أبو أسامة بن أسامة ، حدثنا مسعر ، عن معن بن عبد الرحمن ، قال : سمعت أبى قال : سألت مسروقا من آذن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن فقال حدثنى أبوك (يعنى عبد الله) أنه آذنت بهم شجرة .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٤٠٧) : حدثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن عمرو بن أبى عمرو مولى المطلب ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم طلع له أحد فقال : « هذا جبل يحبنا ونحبه . اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإنى أحرم ما بين لابتيها » .

رواه عبد الله بن زيد ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

حديث عبد الله بن زيد رواه مسلم (ج ٢ ص ٩٩١) .

وحديث أنس أخرجه مسلم (ج ٢ ص ٩٩٣) .

الشاهد من الحديث أن جبل أحد يحب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه .

قال الحاكم رحمه الله (ج ٣ ص ٢٨٨) : حدثنى على بن حمشاذ العدل ، ثنا هشام بن على ، وإسحاق بن الحسن . قالا : ثنا عفان بن مسلم ، ثنا حماد ابن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : كان أسيد بن حضير ، وعباد بن بشر عند النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى ليلة ظلماء حندس[1] فلما انصرفا أضاءت عصا أحدهما فمشيا فى ضوئها فلما افترقا أضاءت عصا الآخر .

صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

قال البخارى رحمه الله (ج ١ ص ٣٨٥) : حدثنا إسحاق بن نصر ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فخرج موسى فى أثره يقول : ثوبى يا حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس ، وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا فقال : أبو هريرة : والله إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضربا بالحجر .

وعن[2] أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « بينا أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب ، فجعل أيوب يحثى فى ثوبه .

---

(١) أى شديد الظلمة .

(٢) قال الحافظ : هو معطوف على الإسناد الأول وقد أخرج البخارى هذا الثانى من رواية عبد الرزاق بهذا الإسناد فى أحاديث الأنبياء .

فناداه ربه : يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى وعزتك ، ولكن لا غنى لى عن بركتك » . ورواه إبراهيم عن موسى بن عقبة ، عن صفوان ابن سليم ،عن عطاء بن يسار ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « بينا أيوب يغتسل عريانا » .

حديث أبى هريرة فى قصة موسى أخرجه مسلم (ج ١ ص ٢٦٧) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٤٣٦) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا عوف ، عن الحسن ومحمد[1] وخلاس ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل . فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة وإما آفة . وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما أقبل إلى ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه عريانا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر ، فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ﴾ .

من عجائب قدرة الله تسخير الرياح

من عجائب قدرة الله الرياح ؛ فالله يرسلها بالرحمة ، ويرسلها بالعذاب ، ويرسلها بالنصر للمؤمنين وبالهلاك لأعداء الدين ، ويسخرها لنبى من أنبيائه تحمله إلى حيث يريد .

---

(١) المعتمد فى هذا على رواية محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة فإن الحسن لم يسمع من أبى هريرة على الصحيح .

ورواية خلاس عن أبى هريرة من صحيفة ، ولم يسمع منه كما فى الفتح .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وهو الذى يرسل الرياح بشرًا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجلعه كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذاهم يستبشرون * وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين * فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شيء قدير * ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٥٨٨) : حدثنا مسدد ، حدثنا حماد ، عن عبد العزيز ، عن أنس ، وعن يونس ، عن ثابت ، عن أنس رضى الله عنه قال : أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فبينا هو يخطب يوم جمعة إذ قام رجل فقال : يا رسول الله ، هلكت الكراع ، هلكت الشاة فادع الله يسقينا فمد يده ودعا . قال أنس : وإن السماء كمثل الزجاجة فهاجت ريح أنشأت سحابا ، ثم اجتمع ، ثم أرسلت السماء عزاليها ، فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا فلم تزل تمطر إلى الجمعة الأخرى فقام إليه ذلك الرجل ـ أو غيره ـ فقال : يا رسول الله تهدمت البيوت فادع الله يحبسه . فتبسم ثم قال : « حوالينا ولا علينا » . فنظرت إلى السحاب يتصدع حول المدينة كأنه إكليل .

وأما إرسالها نصرا للمؤمنين وهزيمة للكافرين ، فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودًا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾ .

قال مسلم رحمه الله (ج ٣ ص ١٤١٤) : حدثنا زهير بن حرب وإسحاق ابن إبراهيم جميعا ، عن جرير . قال زهير : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه . قال : كنا عند حذيفة فقال رجل : لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قاتلت معه وأبليت . فقال حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة » ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال : « ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة » ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال : « ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة » ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد فقال : « قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم فلم أجد بدا إذ دعانى باسمى أن أقوم » . قال : « اذهب فأتنى بخبر القوم ولا تذعرهم علىّ » . فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشى فى حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار ، فوضعت سهما فى كبد قوسى فأردت أن أرميه ، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ولا تذعرهم علىّ » ، ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشى فى مثل الحمام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت ، قُررت ، فألبسنى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال : « قم يا نومان » .

وأما تسخيرها لنبى من أنبيائه تحمله إلى حيث يريد :

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاءً حيث أصاب ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ﴾ .

وأما إرسالها بالعذاب :

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم * ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أوَ لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون * فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر * إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر * تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابى ونذر ﴾ .

قال البخارى رحمه الله (ج ٨ ص ٥٧٨) : حدثنا أحمد[1] ، ثنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو : أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار ، عن عائشة

---

(١) قال الحافظ فى رواية أبى ذر ، أحمد بن عيسى .

زوج النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ضاحكا حتى أرى منه لهواتِهِ إنما كان يتبسم .

قالت : وكان إذا رأى غيما أو ريحا عرف فى وجهه . قالت : يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرف فى وجهك الكراهية فقال : « يا عائشة ما يؤمنى أن يكون فيه عذاب . عذب قوم بالريح ، وقد رأى قوم العذاب فقالوا : هذا عارض ممطرنا .

رواه مسلم (ج ٢ ص ٦١٦) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ٦١٦) : وحدثنى أبو الطاهر أخبـرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبى رباح ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا عصفت الريح قال : « اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به » . قالت وإذا تخليت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا مطرت سرى عنه فعرفت ذلك فى وجهه قالت عائشة : فسألته فقال : « لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا : هذا عارضا ممطرنا » .

وقال مسلم رحمه الله (ج ٢ ص ٦١٦) : حدثنا عبد الله بن مسلمة ابن قعنب ، حدثنا سليمان يعنى (ابن بلال) عن جعفر وهو : ابن محمد ، عن عطاء بن أبى رباح ، أنه سمع عائشة زوج النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تقول : كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك فى وجهه وأقبل وأدبر ، فإذا مطرت سُرَّ به وذهب عنه ذلك قالت عائشة فسألته فقال : « إنى خشيت أن يكون عذابا سلط على أمتى » ، ويقول إذا رأى المطر : « رحمة » .

قال البخارى رحمه الله (ج ٢ ص ٥٢٠) : حدثنا مسلم ، قال : حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « نصرت بالصبا[1] وأهلكت عاد بالدبور » .

أخرجه مسلم (ج ٢ ص ٦١٧) .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ ص ٤٨١) : ثنا عفان ، قال : ثنا سلام أبو المنذر ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبى وائل ، عن الحرث بن حسان ، قال : مررت بعجوز بالربذة منقطع بها من بنى تميم قال : فقالت : أين تريدون ؟ قال : فقلت نريد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . قالت : فاحملونى معكم فإن لى إليه حاجة . قال : فدخلت المسجد فإذا هو غاص بالناس وإذا راية سوداء تخفق فقلت : ما شأن الناس اليوم ؟ قالوا : هذا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها . قال : فقلت يا رسول الله إن رأيت أن تجعل الدهناء حجازا بيننا وبين تميم فافعل فإنها كانت لنا مرة فاستوفزت العجوز وأخذتها الحمية فقالت : يا رسول الله أين تضطر مضرك ؟ قلت يا رسول الله : حملت هذه ولا أشعر أنها كائنة لى خصما . قال قلت : أعوذ بالله أن أكون كما قال الأول ، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « وما قال الأول ؟ » قال على الخبير سقطت . يقول سلام هذا أحمق ، يقول الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم « على الخبير سقطت » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « هيه يستطعمه الحديث » . قال إن عادا أرسلوا وافدهم قيلا فنزل على معاوية بن بكر شهرا ، يسقيه الخمر وتغنيه الجرادتان ، فانطلق حتى أتى على جبال مهرة ، فقال : اللهم إنى لم آت لأسير أفاديه ، ولا لمريض فأداويه ، فاسق عبدك

---

(١) قال الحافظ : يقال لها القبول بفتح القاف ؛ لأنها تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس وضدها الدبور وهى التى أهلكت بها قوم عاد ا هـ المراد فى الفتح .

ما كنت ساقيه ، واسق معاوية بن بكر شهرا يشكر له الخمر التى شربها عنده . قال : فمرت سحابات سود فنودى أن خذها رمادا رمددا لا تذر من عاد أحدا .

قال أبو وائل : فبلغنى أن ما أرسل عليهم من الريح كقدر ما يجرى فى الخاتم .

ثنا زيد بن الحباب ، قال : حدثنى أبو المنذر سلام بن سليمان النحوى ، قال : ثنا عاصم بن أبى النجود ، عن أبى وائل ، عن الحارث[1] بن يزيد البكرى قال : خرجت أشكو العلاء بن الحضرمى إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فمررت بالربذة ، فإذا عجوز من بنى تميم منقطع بها فقالت لى : يا عبد الله إن لى إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حاجة فهل أنت مبلغى إليه ؟ قال : فحملتها فأتيت المدينة فإذا المسجد غاص بأهله وإذا راية سوداء تخفق وبلال متقلد السيف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها . قال : فجلست . قال : فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت فسلمت فقال : « هل كان بينكم وبين بنى تميم شىء » قال : فقلت نعم . قال : وكانت لنا الدبرة عليهم ، ومررت بعجوز من بنى تميم منقطع بها فسألتنى أن أحملها إليك وهاهى بالباب فأذن لها فدخلت فقلت : يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزا فاجعل الدهناء فحميت العجوز واستوفزت قالت : يا رسول الله فإلى أين تضطر مضرك قال : قلت : إنما مثلى مثل ما قال الأول معزاء حملت حتفها حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لى خصما أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد ، قال : هيه وما وافد عاد ،

---

(١) هو الحارث بن حسان كما فى الإصابة .

وهو أعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمه قلت : إن عادا قحطوا فبعثوا وافدا لهم يقال له قيل فمر بمعاوية بن بكر ، فأقام عنده شهرا يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان ، فلما مضى الشهر خرج جبال تهامة فنادى اللهم إنك تعلم أنى لم أجئ إلى مريض فأداويه ، ولا إلى أسير فأفاديه ، اللهم اسق عادا ما كنت تسقيه ، فمرت به سحابات سود فنودى منها خذها رمادا رمددا لا تبقى من عاد أحدا .

قال : فما بلغنى أنه بعث عليهم من الريح إلا قدر ما يجرى فى خاتمى هذا حتى هلكوا .

قال أبو وائل وصدق . قال فكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدا لهم قالوا لا تكن كوافد عاد .

حديث حسن .

النار لا تحرق إذا أمرها الله بعدم الإحراق

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين * إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون * قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين * قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين * قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين * قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين * وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين * فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون * قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين * قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم * قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون * قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون * فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا

إنكم أنتم الظالمون * ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون * قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم * أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون * قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يا نار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم * وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ﴾ .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وإن من شيعته لإبراهيم * إذ جاء ربه بقلب سليم * إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون * أئفكا آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين * فنظر نظرة فى النجوم * فقال إنى سقيم * فتولوا عنه مدبرين * فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضربا باليمين * فأقبلوا إليه يزفون * قال أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون * قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم * فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين * وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين * رب هب لى من الصالحين * فبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم ﴾ .

من عجائب قدرة الله تعالى
حبس الشمس عن الغروب
حتى نصر الله دينه

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٢٢٠) : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبى هريرة رضى الله

عنه . قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « غزا نبى من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما يبن بها ، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ، ولا آخر اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر ولادها . فغزا . فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك ، فقال للشمس : « إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا » فحبست حتى فتح الله عليهم فجمع الغنائم فجاءت ـ يعنى النار ـ لتأكلها فلم تطعمها فقال : « إن فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل » ، فلزقت يد رجل بيده ، فقال : « فيكم الغلول ، فليبايعنى قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال : « فيكم الغلول » ، فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها ، فجاءت النار فأكلتها . ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا » .

أخرجه مسلم (ج ٣ ص ١٣٦٦) .

وهذا النبى هو يوشع بن نون كما فى المسند (ج ٢ ص ٣٢٥) : قال الإمام أحمد رحمه الله : ثنا أسود بن عامر ، أنا أبو بكر ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالى سار إلى بيت المقدس » .

هذا حديث صحيح على شرط البخارى .

وفى حديث أبى هريرة الذى فى مسند الإمام أحمد دليل على ضعف حديث (أن الشمس حبست من أجل أن يصلى على بن أبى طالب رضى الله عنه العصر) ، وقد ذكره ابن الجوزى رحمه الله فى الموضوعات .

من عجائب القدرة الإلهية : انشقاق القمر

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦٣١) : ثنا صدقة بن الفضل ، أخبرنا

ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : انشق القمر على عهد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم شقتين ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اشهدوا » . أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢١٥٨) .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦٣١) : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا يونس ، حدثنا شيبان ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك (ح) . وقال لى خليفة : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦٣١) : حدثنا خلف بن خالد القرشى ، حدثنا بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عراك بن مالك ، عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن القمر انشق فى زمان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٢١٥٩) .

قال أبو داود الطيالسى رحمه الله كما فى ترتيب مسنده (ج ٢ ص ١٢٣) : حدثنا شعبة قال : أخبرنى الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اشهدوا » .

قال الإمام الطحاوى رحمه الله فى مشكل الآثار (ج ١ ص ٣٠١) : حدثنا على بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة المخزومى[١] ، ثنا لوين[٢] ، حدثنا خديج بن معاوية الجعفى[٣] ، عن ابن إسحاق عن أبى حذيفة قال أبو

---

(١) قال ابن أبى حاتم : كتبت عنه بمصر وهو صدوق .

(٢) هو محمد بن سليمان .

(٣) سقط خديج من الأصل ، أثبتناه من كتب الرجال .

جعفر ، وهو سلمة بن صعيب الأرحبى ، عن على بن أبى طالب قال : انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

حديث حسن لغيره ، فإن أبا حذيفة روى عنه جماعة ، ولم يوثقه معتبر ؛ فهو مستور الحال ، يصلح حديثه فى الشواهد ، والمتابعات .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٤ ص ٨١) : ثنا محمد بن كثير ، قال سليمان بن كثير ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فصار فرقتين : فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل ، فقالوا : سحرنا محمد ، فقالوا : إن كان سحرنا ، فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم .

هذا حديث حسن ، فإن سليمان بن كثير فيه كلام لا ينزل حديثه عن الحسن ، وقد تابعه محمد بن فضيل بن غزوان ، كما عند ابن حبان (ص ٥١٩ من الموارد) ، فالحديث صحيح .

من عجائب القدرة الإلـهية : حنين الجذع

قال البخارى رحمه الله (ج ٤ ص ٣١٩) : حدثنا خلاد بن يحيى ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه ؟ فإن لى غلاما نجارا . قال : « إن شئت » ، فعملت له المنبر ، فلما كان يوم الجمعة قعد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم على المنبر الذى صنع ، فصاحت النخلة التى كان يخطب عندها ، حتى كادت أن تنشق ، فنزل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى أخذها فضمها إليه ، فجعلت تئن أنين الصبى الذى يسكَّت ، حتى استقرت . قال : « بكت على ما كانت تسمع من الذكر » .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦٠٢) : حدثنا إسماعيل قال : حدثنى أخى ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد قال : أخبرنى حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك أنه سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول : كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل ، فكان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار ، حتى جاء النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فوضع يده عليها ، فسكنت .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ ص ٢٩٥) : ثنا عبد الرزاق ، أنا ابن جريج ، وروح[1] ، ثنا ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا خطب يستند إلى جذع نخلة من سوارى المسجد ، فلما صنع له منبره استوى عليه ؛ اضطربت تلك السارية كحنين الناقة ، حتى سمعها أهل المسجد ، حتى نزل إليها فاعتنقها ، فسكنت وقال روح : فسكتت . وقال ابن بكر : فاضطربت تلك السارية : وقال روح : اضطربت كحنين .

هذا حديث حسن ، على شرط مسلم .

قال البخارى رحمه الله (ج ٦ ص ٦٠١) : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا يحيى بن كثير أبو غسان ، حدثنا أبو حفص ، واسمه عمر بن العلاء أخو أبى عمرو بن العلاء ،قال : سمعت نافعا ، عن ابن عمر رضى الله عنهما : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطب إلى جذع ، فلما اتخذ المنبر تحول إليه ، فحنّ الجذع ، فأتاه ، فمسح يده عليه . وقال عبد الحميد : أخبرنا عثمان بن عمر ، أخبرنا معاذ بن العلاء ، عن نافع بهذا . ورواه أبو عاصم عن ابن أبى رواد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

---

(١) روح معطوف على عبد الرزاق .

قال الدارمى رحمه الله (ج ١ ص ١٧) : أخبرنا محمد بن أحمد بن أبى خلف ، ثنا عمر بن يونس ، ثنا عكرمة بن عمار ، ثنا إسحاق بن أبى طلحة ، حدثنا أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب فى المسجد ، فيخطب الناس فجاءه رومى فقال : ألا أصنع لك شيئا تقعد عليه وكأنك قائم ؟ فصنع له منبرًا له درجتان ، ويقعد[1] على الثالثة ، فلما قعد نبى الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور ، حتى ارتج المسجد ؛ حزنا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من المنبر ، فالتزمه ، وهو يخور ، فلما التزمه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سكن ، ثم قال : « أما والذى نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة ؛ حزنا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم » فأمر به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فدفن .

حديث صحيح ، على شرط مسلم .

قال الإمام الدارمى رحمه الله (ج ١ ص ١٧) : أخبرنا زكريا بن عدى ، عن عبيد الله بن عمرو[2] ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبى بن كعب ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يصلى إلى جذع ويخطب إليه[3] ؛ إذا كان المسجد عريشا فقال له رجل من أصحابه : ألا نجعل لك عريشا ، تقوم عليه ؛ يراك الناس يوم الجمعة ، وتسمع من خطبتك ؟ قال : « نعم » فصنع له الثلاث درجات ، هن اللواتى على المنبر ، فلما صنع المنبر ، ووضع فى موضعه الذى وضعه فيه رسول الله صلى

---

(١) فيه أن السنة أن المنبر يكون ثلاث درج ، وما زاد فهو مخالف للسنة .
(٢) هو الرقى .
(٣) أى : يتكئ عليه وقت الخطبة .